نُورُ الهُدَى
وَظُلُمَاتُ الضَّلَالِ
في ضَوءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي

نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنّة ./ سعيد بن علي القحطاني ـ الرياض، ١٤٢٤هـ.

٤٦٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ ـ ٥٩٤ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الوعظ والإرشاد أ ـ العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٤/٣٩٣٨

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٣٩٣٨

ردمك : ٦ ـ ٥٩٤ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

الطبعة الثانية ١٤٢١هـ

الطبعة الثالثة

رجب ١٤٢٤هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة في «**في نور الهدى وظلمات الضلالة**» بينت فيها بإيجاز نور الإسلام، والإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والسنة، والتقوى، كما بينت ظلمات الكفر، والشرك، والنفاق، وإرادة الدنيا بعمل الآخرة، والبدعة، والمعاصي، وكل ذلك مقروناً بالأدلة من الكتاب الكريم، والسنة المطهرة.

ولاشك أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ، ليخرج الناس من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى[1]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[2]

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، للطبري، ١٦/ ٥١٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

وقد قسمت البحث إلى سبعة مباحث وتحت كل مبحث مطالب وتحت كل مطلب مسالك على النحو الآتي:

المبحث الأول : النور والظلمات في الكتاب والسنة.

المبحث الثاني : نور التوحيد وظلمات الشرك.

المبحث الثالث : نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

المبحث الرابع : نور الإسلام وظلمات الكفر.

المبحث الخامس : نور الإيمان وظلمات النفاق.

المبحث السادس : نور السنة وظلمات البدعة.

المبحث السابع : نور التقوى وظلمات المعاصي.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذا العمل القليل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به كل من انتهى إليه، إنه خير مسئول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الناس أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في يوم الأربعاء الموافق ٢٨/٣/١٤١٩هـ

المبحث الأول: النور والظلمات في الكتاب والسنة

المطلب الأول: النور والظلمات في الكتاب الكريم

جاء في كتاب الله عز وجل ذكر النور والظلمات في آيات كثيرة، وهذا فيه دلالة على الترغيب في العمل لاكتساب النور وسؤال الله ذلك، والترهيب من الظلمات والاستعاذة بالله من ذلك، ومن هذه الآيات ما يأتي:

١ - قال الله عز وجل في شأن المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[1].

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، ومقاتل، والضحاك، والسدي أن هذه الآيات نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله، فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت نارُه فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أَمِنوا على أموالهم، وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف[2]، واختار الإمام ابن جرير الطبري هذا القول فقال: «وأولى التأويلات بالآية: ما قاله قتادة، والضحاك، وما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»[3]، وذكر رحمه

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٧-١٨.
(٢) تفسير البغوي، ١/ ٥٣.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٣٢٤، وذكر سنده لقولهم في ١/ ٣٢٣.

الله أن هؤلاء المنافقين أظهروا إيمانهم بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، حتى حكم لهم بذلك في الدنيا: في حقن الدماء والأموال، والأمن على الذرية، كمثل استضاءة الموقد للنار بالنار، حتى إذا انتفع بضيائها وأبصر ما حوله خمدت النار فذهب نوره، وعاد في ظلمة وحيرة، فالله عز وجل يطفيء نورهم يوم القيامة، فيستنظروا المؤمنين؛ ليقتبسوا من نورهم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً[1] فقد حصل لهم في الآخرة ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي على اختلاف أنواعها[2] .

واختار الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن هؤلاء آمنوا ثم كفروا فقال: «وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، واستأنس بها، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياءً لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا»[3] ، وقال رحمه الله: «وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[4] ، والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم،

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٣٢٦، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/ ٢٣٠.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨.

وهذا لا ينافي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سُلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[1] » انتهى[2] .

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً، أي كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة، فاستوقدها من غيره ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف، وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك ذهب الله بنوره، فزال عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة، والنار محرقة فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف، فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين ولم تكن صفة لهم، فاستضاؤوا بها مؤقتاً، وانتفعوا، فحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم الموت فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم: ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي، على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ صُمٌّ ﴾ أي عن سماع الخير، ﴿ بُكْمٌ ﴾ أي عن النطق به، ﴿ عُمْيٌ ﴾ أي عن رؤية الحق، ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف

(١) سورة المنافقون، الآية: ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥١.

من ترك الحق عن جهل، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً منهم»[1] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «شبه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً؛ لتضيء لهم، وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم قوم سفر ضلوا الطريق فأوقدوا النار تضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم وأبصروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون، وقد سُدت عليهم أبواب الهدى الثلاثة؛ فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بإذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها»[2] .

وبيّن رحمه الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى: «سمى كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، وهداه نوراً، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله»[3] ، وبين رحمه الله: «أن الخارجين عن طاعة الرسل يتقلبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث، وأتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يتقلبون في عشرة أنوار، ولهذه الأمة ونبيها ﷺ من النور ما ليس لأمة غيرها، ولنبيها ﷺ من النور ما ليس لنبي غيره»[4] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٧ .
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية، ٢/ ٦٣ .
(٣) المرجع السابق، ٢/ ٣٥، وانظر: ٢/ ٤٤ .
(٤) المرجع السابق، ٢/ ٤٣ .

٢- وقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۞ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، وهذا مثل آخر ضربه الله عز وجل للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثِّلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيِّب وهو المطر الذي يصوب: أي ينزل من السماء إلى الأرض، وقيل: ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى الواو، يريد: وكصيب ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ أي: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ البرق في تلك الظلمات ﴿ مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ أي وقفوا متحيرين[2] .

فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة، أصابهم فيها مطر فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها، وصواعق من صفتها أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هولها وقوة صوتها المخيفة، وبرق من صفته أن يقرب من خطف أبصارهم ويعميها من شدة توقُّده. فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن؛ لأنه حياة القلوب، كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات: الكفر والشرك الذي حذر عنه القرآن، والرعد ما خوِّفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، ١/ ٣٣٣-٣٦٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/ ٢٣٣-٢٤٢، وتفسير البغوي، ١/ ٥٣-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٧.

من الهدى والبيان، والوعد، وذكر الجنة، فالمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن، مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أي يبهر قلوبهم»[١] .

وقال العلامة السعدي رحمه الله بعد أن ذكر تفسير الآية: «فهكذا حالة المنافقين إذا سمعوا القرآن، وأوامره، ونواهيه، ووعده، ونهيه، ووعيده جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه، ووعده، ووعيده، فيروعهم وعيده وتزعجهم وعوده فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد فيجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا ربما حصلت له السلامة، وأما المنافقون فأنّى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم: قدرةً وعلماً، فلا يفوتونه، ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها أتم الجزاء، ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ أي الحسية، ففيه تخويف لهم وتحذير من العقوبة الدنيوية؛ ليحذروا فيرتدعوا عن بعض شرهم، ونفاقهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض»[٢] .

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً بعد أن ذكر المثل الناري للمنافقين فقال: «ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب، وهو المطر الذي يصوب: أي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد، وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعده ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه

(١) تفسير البغوي، ١/ ٥٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٧.

الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة، ورعد، وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه»[١].

٣- قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢].

لا شك أن الله عز وجل نصير المؤمنين وظهيرهم، ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والضلالة إلى نور الإيمان والتوحيد، والهداية، وقد جعل سبحانه الظلمات للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجبٌ أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحة أسبابه، فالله عز وجل ولي المؤمنين ومبصِّرهم حقيقة الإيمان وسبله، وشرائعه، وحججه، وهاديهم فموفِّقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظُلَم سواتره عن إبصار القلوب، والذين كفروا بجحد وحدانيته، نُصَراؤهم وظُهراؤهم الذين يتولونهم ﴿ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ وهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون إبصار القلوب، ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسُبُله[٣].

٤- وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى

---

(١) أمثال القرآن، ص ١٨، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، ٢/ ٦٨، ففيه كلام عظيم النفع.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١/ ٣١٨ و ٥/ ٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣/ ٢٨٢.

رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾[١] .

فبيّن الله عز وجل أنه قد جاء جميع الناس حجة منه سبحانه وبرهان قاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة، وهو محمد ﷺ الذي جعله الله حجة قطع بها أعذار الناس، وأنزل الله معه النور الواضح المبين «وهو القرآن الكريم» الذي يبين الحجة الواضحة، والسبل الهادية إلى ما فيه النجاة من عذاب الله وأليم عقابه لمن سلكها واستنار بضوئها[٢] . والله عز وجل قد جعل النور في كتبه التي أنزلها على رسله، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾[٣] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾[٤] ، وقال تعالى في عيسى ﷺ : ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾[٥] ، وقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم وختم به هذه الأنوار، فهو النور الأعظم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾[٦] .

٥- وقال الله عز وجل: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[٧] يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يبين الحق، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧٤-١٧٥ .

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٩/ ٤٢٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٦٠ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩١ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٦ .

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

(٧) سورة المائدة، الآية: ١٥ .

بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[١] ، ومن إنارته ﷺ للحق تبيينه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب، وقوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم: من توحيد الله، وحلاله وحرامه، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ يبيِّن للناس ما بهم الحاجة إليه من أمر دينهم، ويوضحه لهم، حتى يعرفوا حقه من باطله[٢] .

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣]

سبل السلام: طرق السلام، والسلام هو الله عز وجل، وسبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه، وابتعث به رسله: هو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا به، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: يعني من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام وضيائه[٤] ، وقال السعدي رحمه الله: «ظلمات الكفر، والبدعة، والمعصية، والجهل والغفلة إلى نور الإيمان، والسنة، والطاعة، والعلم والذكر»[٥] .

٦- وقال عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٦] قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «واختلف العلماء في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال السدي وقتادة وجمهور المفسرين: المراد سواد الليل وضياء النهار، وقال الحسن: الكفر والإيمان، قلت: اللفظ يعمه»[٧] ، وقال

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥-٤٦ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٠/ ١٤٣ .
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٦ .
(٤) المرجع السابق، ١٠/ ١٤٥ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١٨٨ .
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٣٦١ .

السعدي رحمه الله: «فحمد نفسه على خلق السموات والأرض الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه، ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك: كالليل والنهار، والشمس والقمر، والمعنوي: ظلمات: الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم، والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدين له»[1].

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

هذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي كان ميتاً: أي في الضلالة حائراً فأحيا الله قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسوله ﷺ[3] فقد كان ميت القلب بعدم روح العلم والهدى والإيمان، وبجهله بتوحيد الله وشرائع دينه، وتركه العمل لله بما يؤدي إلى نجاته، فأحياه الله بروح أخرى غير الروح التي أحيا بها بدنه، وهي روح هدايته للإسلام، ومعرفة الله وتوحيده، ومحبته، وعبادته وحده لا شريك له، وجعل له نوراً يمشي به بين الناس وهو نور القرآن والإسلام، فهل يستوي هذا بمن هو في الظلمات: ظلمات الجهل، والكفر، والشرك، والشك، والغي والإعراض، والمعاصي؟ ليس بخارج منها؛ قد التبست عليه الطرق وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهمُّ، والغمُّ، والحزن، والشقاء،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢١٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ١٦٣.

فنبه عز وجل العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات، فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له مسكة من عقل أن يكون بهذه الحالة وأن يبقى في الظلمات متحيراً؛ فأجاب بأنه ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم ويزينها في قلوبهم، حتى استحسنوها ورأوها حقاً، وصار ذلك عقيدة في قلوبهم وصفة راسخة ملازمة لهم[١].

٨- وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

بيّن وأوضح سبحانه وتعالى أن اليهود والنصارى ومن معهم من المشركين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ونور الله: دينه الذي أرسل به محمداً ﷺ، وسماه الله نوراً؛ لأنه يستنار به في ظلمات الجهل، والأديان الباطلة، فإنه علمٌ بالحق، وعملٌ بالحق، ويدخل في هذا النور حجج الله على توحيده، فإن البراهين نور لما فيها من البيان، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهاهم من المشركين يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم الباطلة وجدالهم، وافترائهم، فمثلهم كمثل من يريد أن يطفيء شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فلا على مرادهم حصلوا ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها[٣]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٢/ ٨٨، ومدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٢٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ١٦٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٣٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٤/ ٢١٣-٢١٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٨/ ٦١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٣٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في=

إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١) .

٩- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾(٢) ، قال قتادة: «أما الأعمى والبصير: فالكافر والمؤمن، وأما الظلمات والنور: فالهدى والضلالة»(٣) .

١٠- وقال عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(٤) ، قال قتادة: ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى»(٥) قال السعدي رحمه الله: ليخرج الناس من ظلمات الجهل، والكفر، والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم، والإيمان، والأخلاق الحسنة»(٦) .

١١- وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٧) أي ادعهم من الضلالة إلى الهدى(٨) ، وقال السعدي رحمه الله: «أي ظلمات الجهل والكفر وفروعه إلى نور العلم والإيمان وتوابعه»(٩) .

= تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٩٥، وص ٧٩٧.

(١) سورة الصف، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٦/ ٤٠٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري، ١٦/ ٥١٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٧٥.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٦/ ٥١٨.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣١٦.

١٢- وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

وقد فُسِّرَ قوله تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فقيل في تفسير ذلك أقوال:

١- الله هادي أهل السموات والأرض.

٢- الله يدبر الأمر في السموات والأرض: نجومها، وشمسها، وقمرها، فهو سبحانه منوِّر السموات والأرض.

٣- الله ضياء السموات والأرض[2] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها»[3] .

فالله عز وجل هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من الضلالة ينجون، وهو سبحانه منوِّر السموات والأرض، ومدبر الأمر فيهما: بنجومها، وشمسها، وقمرها، وهو عز وجل نور؛ فقد سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، ودينه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً تتلألأ[4] ،

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ١٩/ ١٧٧، وتفسير البغوي، ٣/ ٣٤٥، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١/ ٢٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢٨٠، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ٢/ ٤٤.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٤٤.

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه نور، الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك المعنوي يرجع إلى الله: فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات ولهذا كل محل يفقد نوره فثَمَّ الظلمة والحصر»[١] والنور يضاف إلى الله عز وجل على وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله، فالأول كقوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٢] فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء[٣]، وقد ثبتت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات صفة النور والفعل لله عز وجل، وأنه نور السموات والأرض وما فيهما ومنورهما وما فيهما:

١- فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام يتهجد من الليل قال: **«اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن..»** الحديث[٤].

٢- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: **«إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويُرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٥١٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٥.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، ١/ ٥٣٢، برقم ١١٢٠، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٩.

النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[١] .

فالله عز وجل لا ينام وهو منزه عن ذلك، قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[٢] والسنة: النعاس. وهو عز وجل يخفض الميزان ويرفعه، وسمِّي الميزان قسطاً؛ لأن القسط العدل وبالميزان يقع العدل. والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة، وقيل: المراد بالقسط: الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره ويرفعه فيوسعه، والله أعلم[٣] ، وهو عز وجل يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده؛ فإن الملائكة الحفظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل، والله أعلم[٤] ، والله تبارك وتعالى حجابه النور: أي الحجاب المانع والساتر من رؤيته النور، وسبحات وجهه: نوره وجلاله، ولو كشف وأزال الحجاب المُسمَّى نوراً وتجلى لخلقه لأحرقت سبحات وجهه جميع مخلوقاته؛ لأن بصره عز وجل محيط بجميع الكائنات[٥] .

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «إن الله لا ينام»، ١/ ١٦٢، برقم ١٧٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٦ .

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣/ ١٧ .

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣/ ١٧ .

قال: «نورٌ أنَّى أراه» وفي رواية: «رأيتُ نوراً»[١] والمعنى حجابه النور فكيف أراه[٢]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «... سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «معناه كان ثم نور، أو حال دون رؤيته نور فأنى أراه»[٣].

وقوله عز وجل ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قيل في تفسير «الهاء» أقوال:

١- مثل نور الله: أي مثل: هدى الله في قلب المؤمن.

٢- وقيل: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من القرآن والإيمان.

٣- وقيل: مثل نور محمد ﷺ.

٤- وقيل: مثل نور القرآن[٤].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والصحيح أنه يعود على الله عز وجل، والمعنى: مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ، فهذا مع تضمن عود الضمير إلى المذكور وهو وجه الكلام يتضمن التقادير الثلاثة، وهو أتم معنىً ولفظاً، وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل؛ ولهذا النور فاعل، وقابل، ومحل، وحامل، ومادة، وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل: فالفاعل هو الله تعالى، مفيض الأنوار، الهادي لنوره من يشاء، والقابل العبد المؤمن، والمحل قلبه، والحامل: همته،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، ١/ ١٦١، برقم ١٧٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٥.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٧.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٩/ ١٧٨-١٧٩، وتفسير البغوي، ٣/ ٣٤٥، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١/ ٢٦١، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢٨٠.

وعزيمته، وإرادته، والمادة: قوله وعمله»[1].

وقوله عز وجل: ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ فيه أقوال:

١- قيل المشكاة: كل كوة لا منفذ لها، وهذا مثل ضربه الله لمحمد ﷺ، والمصباح قلبه، والزجاجة صدره.

٢- وقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والمصباح القرآن والإيمان، والزجاجة قلبه.

٣- وقيل: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده، والمشكاة مثل لجوفه، ومعنى نور على نور: يعني إيمانه وعمله.

٤- وقيل: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن.

واختار الإمام ابن جرير رحمه الله أن أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلوب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم، فآمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي في الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط لا تنفذ، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾: والمصباح هو السراج وجعل السراج هو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات البينات، ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾: يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل: وهو الزجاجة وذلك مثل القرآن، يقول القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله، والشك فيه واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٩-٥٠.

ربه البينات، ومواعظة فيها بالكوكب الدري، فقال ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه، كأنه كوكب دري»[١] .

وقوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ وفي تفسيرها أقوال:

١- قيل: شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها، فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشي، وهذا أجود لزيتها.

٢- وقيل: هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب.

٣- وقيل: هي شجرة ليست من شجر الدنيا.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وأولى هذه الأقوال قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية»[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

والمعنى: هذا القرآن نور من عند الله أنزله إلى خلقه يستضيئون به ﴿ عَلَىٰ نُورٍ ۚ ﴾ على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن، مما يدل على حقيقة وحدانيته، وذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله، والله عز وجل يوفق لاتباع

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/ ١٨٤، بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/ ١٨٧، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١/ ٢٦١، وتفسير البغوي، ٣/ ٣٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢٨١، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٥١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٥١٧.

نوره من يشاء من عباده، ويمثل الأمثال والأشباه للناس كما مثل لهم هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال، وهو سبحانه يضرب الأمثال عن علم سبحانه عز وجل[1].

وذكر ابن كثير رحمه الله أن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال في تفسير ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [إيمان العبد وعمله]: «فهو يتقلب في خمسة أنوار: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة»[2].

وتكلم العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله على تفسير ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان والقرآن في قلب المؤمن ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ أي كوة ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ من صفائها وبهائها ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ أي مضيء إضاءة الدُّر ﴿ يُوقَدُ ﴾ ذلك المصباح الذي في تلك الزجاجة الدرية ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ أي يوقد من زيت الزيتون، الذي ناره من أنور ما يكون ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ ﴾ فقط فلا تصيبها الشمس آخر النهار ﴿ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض كزيتون الشام تصيبه الشمس أول النهار وآخره، فيحسن ويطيب ويكون أصفى لزيتها؛ ولهذا قال ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ من صفائها ﴿ يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فإذا مسته النار أضاء إضاءة بليغة ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي نور النار ونور الزيت ووجه هذا المثل الذي ضربه الله وتطبيقه على حالة المؤمن ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٩/ ١٨٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٢٨١، وانظر: تفسير البغوي، ٣/ ٣٤٧.

المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة إشعال النار فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب: من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان أضاء إضاءة عظيمة؛ لصفائها من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له: نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، ونور على نوره، ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك قال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ممن يعلم زكاءه وطهارته، وأنه يزكى معه وينمو، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ ليعقلوا عنه، ويفهموا لطفاً منه بهم، وإحساناً إليهم؛ وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علماً واضحاً ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعلمه محيط بجميع الأشياء فَلْتَعْلَموا أن ضربه الأمثال ضربُ من يعلم حقائق الأشياء، وتفاصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فليكن اشتغالكم بتدبُّرها وتعقُّلها، لا بالاعتراض عليها، ولا بمعارضتها، وأنتم لا تعلمون»[1]، وهذه الآية من أولها إلى آخرها فيها فوائد عظيمة وأمثال حكيمة بليغة؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقـرُّ به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم، وفي التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

أحدهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن الكريم، فتأمل صفة مشكاة، وهو كوة لا تنفذ لتكون أجمع

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٥١٧.

للضوء، وقد وضع فيها مصباح وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصل، فقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، وشبه قلبه بالزجاجة لرقتها، وصفائها، وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة: فهو يرحم، ويحسن، ويتحنن ويشفق على الخلق برأفته، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى ويتصلب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: «القلوب آنية الله في أرضه وأحبها إليه: أرقها وأصلبها وأصفاها»[1] والمصباح: هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين الحق، وهي مادة المصباح، التي يتقد منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نوراً على نور؛ ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل

---

(١) عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة يرفعه: «إن لله تبارك وتعالى في الأرض آنية وأحب آنية الله إليه ما رق منها وصفا وآنية الله في الأرض قلوب عباده الصالحين» أحمد في الزهد ص ٢٨٣، برقم ٨٢٧، وصححه الألباني بعد أن ذكر طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٢٦٣، برقم ١٦٩١.

ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل، والشرع، والفطرة، والوحي، فيريه عقله، وفطرته، وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل ألبتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة، والخيالات الفاسدة[١].

١٣- وضرب الله عز وجل مثلين لبطلان عمل الكفار فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[٢].

فالمثال الأول ضربه الله عز وجل لأعمال الكفرة الذين جحدوا توحيده وكذبوا بالقرآن وبما جاء به، مَثَلُ أعمالهم التي عملوها كسراب بقيعة - جمع قاع - يحسبه العطشان ماءً حتى إذا جاءه ملتمساً ماءً يستغيث به من عطشه لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن السراب ماءً، فظنه يرويه من ظمائه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئاً لأنه عمله على كفر بالله ووجد هذا الكافر الله عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٩-٥٢، بتصرف يسير.
(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٩-٤٠.

والمثل الثاني: ضربه الله عز وجل في بطلان أعمال الكفار، مثل ظلمات في بحر عميق كثير الماء، يغشاه موج، ومن فوق الموج موج آخر يغشاه، ومن فوق الموج الثاني سحاب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللُّجيِّ مثلاً لقلب الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات: يغشاه الجهل بالله؛ لأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله، وختم على سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حق الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض[1]، وهذا كقوله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2] قال السعدي رحمه الله: «فالكفار تراكمت على قلوبهم الظلمات: ظلمة الطبيعة التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك ظلمة الجهل، وفوق ذلك ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرون، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله خذلهم فلم يعطهم من نوره»[3].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً بعد أن فسر الآيات من قول الله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ هذا مضمونه: فانظر كيف تضمنت هذه الآيات طوائف بني آدم كلهم أتم انتظام واشتملت عليهم أكمل اشتمال؛ فإن الناس قسمان:

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٩/ ١٩٥-١٩٩، وأمثال القرآن، لابن القيم، ص ٢٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢٨٦.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٥١٩.

١- أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله وأن كل ما عارضه فشبهات تشتبه على من قل نصيبه من العقل والسمع . . . وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق، أصحاب العلم النافع والعمل الصالح.

٢- أهل الجهل والظلم، وهؤلاء قسمان:

(أ) الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالونه ويوالون أهله، وهم يحسبون أنهم على شيء ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

(ب) أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل، بحيث قد أحاط بهم من كل جهة، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضل سبيلاً، فأعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، كظلمات: ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق؛ فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة: فقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم[1].

ثم ذكر رحمه الله أن شيخه ابن تيمية قال: الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام:

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية، ٢/ ٥٣-٥٨.

○ **القسم الأول:** قبلوه ظاهراً وباطناً وهم نوعان:

* **النوع الأول:** أهل الفقه فيه، والفهم، والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده، وبلغوه إلى الأمة، واستنبطوا أسراره، وكنوزه، فهؤلاء كمثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت، والدواء، وسائر ما يصلح لهم.

* **النوع الثاني:** حفظوه، وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة، فحفظوا عليهم النصوص، وليسوا من أهل الاستنباط والفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط، وأداء لما سمعوه، وهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه، وشربو منه، وسقوا منه أنعامهم، وزرعوا به.

○ **القسم الثاني:** من رده ظاهراً وباطناً، وكفر به ولم يرفع به رأساً وهؤلاء أيضاً نوعان:

* **النوع الأول:** عرفه وتيقن صحته، وأنه حق، ولكن حمله الحسد، والكبر، وحب الرئاسة، والملك، والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين.

* **النوع الثاني:** أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء سادتنا وكبراؤنا، وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه، ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله، وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم[1].

---

(١) انظر: وصف الله لهم في سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦-١٦٧، وسورة الأحزاب، الآيات: ٦٦-٦٨،=

○ **القسم الثالث:** الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ، وآمنوا به ظاهراً، وجحدوه وكفروا به باطناً وهم المنافقون، وهم أيضاً نوعان:

* **النوع الأول:** من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقرَّ ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وسادتهم، وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

* **النوع الثاني:** ضعفاء البصائر الذي أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها، لضعفها وقوته، وأصم آذانهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق، فلا يقربون من سماع القرآن والإيمان بل يهربون منه، ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنيه.

○ **القسم الرابع:** يكتمون إيمانهم في أقوامهم، ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون، الذي يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، فإنه كان ملك نصارى الحبشة، وكان في الباطن مؤمناً، وغير ذلك كثير[1].

١٤- وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2] أي الله عز وجل الذي يذكركم ويثني عليكم، وملائكته يدعون لكم ويستغفرون لكم، وبسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال، والكفر، والمعاصي والذنوب إلى نور الهدى

= وسورة غافر، الآيتان: ٤٧-٤٨، وسورة ص، الآيات: ٥٧-٦١.

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٧٢-٧٦، بتصرف يسير.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

والإيمان، واليقين، والتوفيق، والعلم والعمل[١] ، قال القرطبي رحمه الله: «ومعنى هذا التثبيت على الهداية، لأنهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية»[٢] .

١٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٣] .

هذه أمثال ضربها الله عز وجل للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر، كما أن هذه الأشياء المذكورات المتباينة المختلفة لا تتساوى فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى، فلا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والضال والمهتدي، ولا أصحاب النار وأصحاب الجنة، ولا أموات القلوب وأحيائها؛ فإن بين هذه الأشياء من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه ما هو أولى وأحق بالإيثار[٤] ، وقد جاء هذا التفسير عن السلف الصالح، فقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال: «هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية، يقول: وما يستوى

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢/ ٢٨٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٤٤٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ١٩٣.

(٣) سورة فاطر، الآيات: ١٩-٢٢.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢٠/ ٤٥٧، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٤/ ٣٢٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٥٣٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٣٤.

الأعمى، والظلمات، والحرور، ولا الأموات فهو مثل أهل المعصية، ولا يستوي البصير، والنور، ولا الظل، والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة»[١]، وقال قتادة: «... خلقاً فُضِّل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت: ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل»[٢] فاتضح بذلك أن الأعمى عن دين الله لا يستوي هو والذي قد أبصر دينه، وعلم وعمل، قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وقد قال الله عز وجل عن أصحاب الظلمات: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] فهم صم عن سماع الحق، بكم عن النطق به، فلا ينطقون إلا بالباطل، في الظلمات منغمسون: ظلمات الجهل، والكفر، والشرك، والظلم، والعناد، والإعراض، والمعاصي، وهذا من إضلال الله إيَّاهم؛ فإنه المنفرد بالهداية والإضلال بحسب ما اقتضاه فضله، وحكمته، وعدله[٥].

١٦ - وقال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٦] يقول

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢٠/ ٤٥٨.
(٢) المرجع السابق، ٢٠/ ٤٥٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.
(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١١/ ٣٥٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢١٨.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

تعالى: أفمن فسح الله قلبه وشرح صدره لمعرفته والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته فهو على نور من ربه وعلى بصيرة مما هو عليه ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك الأمر متبع وعما نهاه الله عنه منته، وقد انشرح صدره للإسلام فاتسع لتلقي أحكام الله والعمل بها، منشرحاً قرير العين، كمن أقسى الله قلبه فأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب، فهو لا يلين لكتاب الله ولا يتذكر آياته، ولا يطمئن بذكره بل هو معرض عن ربه ملتفت إلى غيره، فهذا له الويل الشديد والشر الكبير[1]، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2].

١٧- وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[3].

كما كان الله عز وجل يوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كذلك أوحى إلى محمد ﷺ هذا القرآن العظيم، وسماه روحاً؛ لأن الروح يَحْيىٰ به الجسد والقرآن تَحْيىٰ به القلوب والأرواح وتحيا به مصالح الدنيا والدين؛ لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير، وما كان

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢١/ ٢٧٧، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٥/ ٢٣٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٥١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٦٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣.

محمد ﷺ قبل نزول القرآن يدري ما شرائع الإيمان ومعالمه على التفصيل الذي شرع له في القرآن، ولكن جعل الله القرآن نوراً يرشد به ويهدي من يشاء من عباده، فيستضيئون بهذا القرآن في ظلمات الكفر، والشبهات، والضلال، والبدع، والشرك، والشهوات، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم[1]، كقوله عز وجل: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] فهذا القرآن يعظ عن الأعمال الموجبة لسخط الله المقتضية لعقابه، ويحذر عنها ببيان آثارها ومفاسدها، وهو شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادرة عن [عدم][3] الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني؛ فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد مما يوجب للعبد الرغبة في الخير، والرهبة عن الشر[4]، وكقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[5] فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة للمؤمنين به المصدقين بآياته، العاملين بها، وأما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، لأن الحجة تقوم عليهم به. فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالات، والآراء الفاسدة، والانحراف السيء، والقصود الرديئة،

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢١/ ٥٩٩-٥٦١، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٦/ ٥٣-٥٩، وتفسير البغوي، ٤/ ١٣٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ١٢٤، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم ٢/ ٨٧-٨٨، والضوء المنير على التفسير، من كتب ابن القيم، جمع: علي الصالحي، ٥/ ٣٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) يقتضيها السياق، أو الصادة عن الانقياد للشرع.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٢٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

لأنه مشتمل على العلم اليقين الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، فمتى عمل به العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل[1]، كقوله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[2] فهو يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وهو شفاء لهم من الأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفي القلوب، أما الذين لا يؤمنون بالقرآن ففي آذانهم صمم عن استماعه وإعراض عنه، وهو عليهم عمى فلا يبصرون به رشداً ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً؛ لأنهم إذا ردوا الحق ازدادوا عمى إلى عماهم، وغيًّا إلى غيهم، وينادون إلى الإيمان ويدعون إليه فلا يستجيبون، بمنزلة الذي يُنادىٰ وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً ولا يجيب منادياً، والمقصود أن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيراً، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم[3].

وقوله عز وجل في أول الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ مال الإمام ابن جرير رحمه الله إلى أن الروح هنا هو القرآن الكريم، وجزم به الحافظ ابن كثير رحمه الله، والسعدي رحمه الله، وقيل: إن الروح هنا: النبوة، وقيل: الرحمة، وقيل: الوحي[4]، وقال الإمام ابن القيم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٩٧.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢١/٥٥٩، وتفسير البغوي، ٤/١٣٢، والجامع=

رحمه الله في تفسير هذه الآية: «أي جعلنا ذلك الروح نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، فسمَّى وحيه روحاً، لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، التي هي الحياة الحقيقية، ومن عدمها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله ﷺ فمن لم يحيى به في الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم حياة في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء أعظمهم نصيباً من هذه الحياة بهذه الروح وسماه نوراً لما يحصل به من استنارة القلوب، وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة، والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، فإن كان العبد مشاراً إليه: بالزهد، والفقه، والفضيلة؛ فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده وراء ذلك كله، فليس العلم كثرة النقل، والبحث، والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها، وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال»[1]، وقد أمر الله عز وجل بالإيمان بهذا النور العظيم فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2] ولاشك أن ما في الكتاب الكريم من الأحكام، والشرائع، والأخبار أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل؛ ولهذا سماه الله نوراً[3].

= لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٦/ ٥٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ١٢٤.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، ٢/ ٨٨.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢٣/ ٤١٩، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٨/ ١٣٢، وتسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٠٣.

وقد كتب الله الفوز والفلاح لمن آمن بالنبي ﷺ ونصره، واتبع النور الذي أنزل معه، فقال عز وجل: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١)، ومع هذا البيان الواضح والنور الساطع فقد كذب المشركون واليهود النبي ﷺ فعزَّاه الله ملسياً له(٢) فقال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾(٤)، قد ذم الله عز وجل من يجادل بالباطل بغير علم صحيح، ولا هدى، ولا كتاب منير يوضح الحق ويبينه، فلا عقل مرشد، ولا متبوع مهتدٍ، ولا حجة عقلية ولا نقلية، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٥).

١٨ - وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٦) الله عز وجل الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آياتٍ واضحات، وحججاً دامغاتٍ، ودلائل باهراتٍ، وبراهين قاطعات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وما أنزله عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة، والشرك والكفر، والجهل، والأراء المتضادة، إلى

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٧/ ٤٥٠، ١٧/ ٤٥٩، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ٣٠٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٤٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الحج، الآية: ٨، وسورة لقمان، الآية: ٢، وانظر: تفسير السعدي، ص ٤٨٣، ٥٩٨.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٩.

نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، وهذا من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، فله الشكر والحمد والثناء الحسن، لا إله غيره ولا رب سواه[١] وهذا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا * رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾[٢] .

١٩ - وقال عز وجل ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ * يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ * فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٣] .

فقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ جاء عن الضحاك أن معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى هداهم بين أيديهم، وبأيمانهم كتبهم[٤] ، وقيل: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ الباء بمعنى في: أي في أيمانهم، أو بمعنى عن: أي عن أيمانهم[٥] وقال أكثر المفسرين يعطي الله المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم، يمشون به على

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢٣/ ١٧٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧/ ٢٣٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٣٠٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٧٨.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠-١١.

(٣) سورة الحديد، الآيات: ١٢-١٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٣/ ١٧٩، واختاره ابن جرير في هذا الموضع.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧/ ٢٣٥.

الصراط، ويُعطى المنافقون أيضاً نوراً خديعة لهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾(١) وقيل: إنما يعطون النور لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره؛ لنفاقه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور، فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين، فيخشى المؤمنون أن يسلبوا نورهم كما سُلبه المنافقون، فيسألون الله عز وجل أن يتمَّ لهم نورهم، قال سبحانه عن ذلك: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) ، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾(٣) .

وقد جاء في هذا النور أحاديث وآثار كثيرة، منها:

١ - حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سئل عن الورود، وفيه رؤية الله تعالى: «فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلِقُ بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسانٍ منهم - منافق أو مؤمن - نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جِسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأُ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء. . .»(٤) .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢ .

(٢) سورة التحريم، الآية: ٨ .

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٢٣/ ١٧٨-١٨٧، و ٤٩٣-٤٩٦، وتفسير البغوي، ٤/ ٢٩٥، و ٣٦٧، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧/ ٢٣٣-٢٣٩، و ١٨/ ١٩١، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٣٠٨-٣١٠، و ٣٩٢، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ٣/ ٨٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٧٩-٨٠٩ .

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ١/ ١٧٨، برقم ١٩١ .

٢- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم: فمنهم من يُؤتى نوره كالجبل، ومنهم من يُؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة وَيَقِدُ مرة»[١].

٣- وقد بين النبي ﷺ أن إكثار المشي في الظلم إلى المساجد يثمر إعطاء النور التام يوم القيامة، فعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**بشر المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنُّور التَّام يوم القيامة**»[٢].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليضيء للذين يتخللون إلى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة**»[٣]، وذكر الطيبي، والمناوي، ثم المباركفوري: أن هذا النور يحيط بالمشائين إلى المساجد في الظلم من جميع جوانبهم على الصراط، لما قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل جوزوا بنور يضيء لهم ويحيط بهم

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٣/ ١٧٩، والحاكم وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على شرط البخاري، ٢/ ٤٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة، ١/ ١٥٤، برقم ٥٦١، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، ١/ ٤٣٥، برقم ٢٢٣، وقال: «هو صحيح مسند موقوف إلى أصحاب النبي ﷺ». وأخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد، وأنس رضي الله عنهما، في كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، ١/ ٢٥٦، برقم ٧٨٠، ورقم ٧٨١، والحاكم في المستدرك، ١/ ٥٣، وقال الإمام المنذري عن رواية أبي داود والترمذي: ورجال إسناده ثقات» الترغيب والترهيب، ١/ ٢٨٩، وقال العلامة الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح للتبريزي، ١/ ٢٢٤: «الحديث صحيح لشواهده الكثيرة، عن جماعة من الصحابة جاوزوا العشرة، وقد خرجتها في صحيح أبي داود برقم ٥٧٠».

(٣) الطبراني في المعجم الأوسط، ٢/ ٤٣، برقم ٦٨٠، [مجمع البحرين في زوائد المعجمين] وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٢٩٠: «رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «وإسناده حسن» ٢/ ٣٠.

على الصراط ووصف النور بالتام وتقييده بيوم القيامة تلميح إلى وجه المؤمنين يوم القيامة وقولهم فيه: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وإلى قصة المنافقين وقولهم للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وفيه أن من انتهز هذه الفرص، وهي المشي إلى المساجد في الظلم في الدنيا كان مع النبيين، والذين آمنوا: من الصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[١]، ولاشك أن سرعة المرور على الصراط بحسب النور، فمن كان نوره أعظم كان مروره على الجسر أسرع، وهو أحدُّ من السيف، وأدق من الشعر، فمن الناس من يمر عليه ويتجاوزه كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يتجاوزه كالطير، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل[٢]، ومنهم من يزحف زحفاً[٣] حتى يجيء آخرهم يسحب سحباً[٤].

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الأنوار تقسم دون الجسر على حسب الأعمال، فيعطى العبد من النور هناك بحسب قوة نوره، وإيمانه، ويقينه، وإخلاصه، ومتابعته للرسول ﷺ في دار الدنيا، فقال رحمه الله: «فمنهم من يكون نوره كالشمس[٥]، ودون ذلك كالقمر، ودونه كأشد

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٤١-٩٤٢، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ٣/ ٢٠١، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٢/ ١٤.

(٢) هذه الدرجات الست في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٦٩، برقم ١٨٣، قال أبو سعيد الخدري: «بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف» مسلم، ١/ ١٧١، رواية الحديث رقم ١٨٣، والبخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٨/ ٢٢٨، برقم ٧٤٣٩.

(٣) من رواية لمسلم، ١/ ١٨٧، برقم ١٩٥.

(٤) من رواية للبخاري، برقم ٧٤٣٩، وانظر: معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٨٥٠- ٨٥٧.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد، ٢/ ٧٧، ٢/ ٢٢٢، وشرح أحمد شاكر للمسند، برقم ٦٦٥٠، ٧٠٧٢.

كوكب في السماء إضاءة، ومنهم من يكون نوره كالسراج في قوته وضعفه، وما بين ذلك، ومنهم من يعطى نور على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى بحسب ما كان معه من نور الإيمان في دار الدنيا، فهو هذا النور الذي بعينه أبرزه الله لعبده في الآخرة ظاهراً يُرى عياناً بالأبصار، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحد إلا في نور نفسه، إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نوراً أصلاً لم ينفعه نور غيره، ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه، ولا له مادة من الإيمان أعطي في الآخرة نوراً ظاهراً لا مادة له، ثم يُطفىء عنه أحوج ما كان إليه»[1]، وبين رحمه الله أن مشي الناس على الصراط بحسب سرعتهم في الخير في الدنيا فقال: «مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيراً هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتاً على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات، والشبهات، والبدع المضلة هنا خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير الكلاليب فيه هناك على حسب تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومخزول ـ أي مقطع بالكلاليب ـ مكردس في النار كما أثرت فيه تلك الكلاليب في الدنيا ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾»[2].

٢٠- وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ٢/ ٨٦.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ٨٦-٨٧.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

ضمن الله عز وجل للمؤمنين بالتقوى ثلاثة أمور :

١- أعطاهم نصيبين من رحمته : نصيباً في الدنيا ونصيباً في الآخرة ، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة فيصير نصيبين .

٢- أعطاهم نوراً يمشون به في الظلمات .

٣- مغفرة ذنوبهم ، وهذا غاية التيسير ، فقد جعل سبحانه التقوى سبباً لكل يسر ، وترك التقوى سبباً لكل عسر[١] .

وهذا الخطاب في هذه الآية فيه قولان لأهل التفسير :

١- قيل تحمل على مؤمني أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين ، لإيمانهم بأنبيائهم ، ثم إيمانهم بمحمد ﷺ ، فيعطون بذلك : نصيبين من الأجر ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[٢] فلا شك أن من آمن من أهل الكتاب بنبيه ، ثم آمن بمحمد ﷺ فإنه يعطى أجرين ، قال النبي ﷺ : **«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به ، واتبعه ، وصدقه ، فله أجران ، وعبد مملوك أدَّى حق الله تعالى وحقَّ سيده فله أجران ، ورجل كانت له أمةٌ فغذَّاها فأحسن غذاءها ، ثم أدبها فأحسن أدبها ، ثم أعتقها وتزوجها ، فله أجران»**[٣] .

٢- وقيل : هي في حق هذه الأُمَّة ؛ لما ذكره سعيد بن جبير أن أهل الكتاب

---

(١) الضوء المنير على التفسير ، من كتب ابن القيم ، للصالحي ، ٥/ ٦٢٤ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٤ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه : البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين ، ٤/ ٢٥ ، برقم ٣٠١١ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، ١/ ١٣٤ ، برقم ١٥٤ ، واللفظ له .

افتخروا بأنهم يؤتون أجرهم مرتين فأنزل الله عز وجل هذه الآية في حق هذه الأمة[١] .

ومما يؤيد هذا القول ما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجُلٍ استأجر قوماً يعملون له يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا له نصفَ النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملًا، فأبوا وتركوا، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطتُ لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهم: أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومَثَل ما قبلوا من هذا النور»[٢] .

قال العلامة السعدي رحمه الله: «ويحتمل أن يكون الأمر عاماً يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا هو الظاهر وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم أعطاهم ﴿ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ لا يعلم قدرهما ولا وصفهما إلا الله تعالى: أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، وأجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى»[٣] .

---

(١) أخرجه ابن جرير بسنده، في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٣/ ٢٠٩ .
(٢) البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل، ٣/ ٦٩، برقم ٢٢٧١ .
(٣) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٨٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وفي هذا أقوال:

١- قيل: النور هنا: القرآن الكريم.

٢- وقيل: الهدى.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نوراً يمشون به، والقرآن مع اتباع النبي ﷺ نور لمن آمن بهما، وصدقهما، وهدىً؛ لأن من آمن بذلك فقد اهتدى»[1] وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يعني هدى يتبصرون به من العمى والجهالة، ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة.. وهذه الآية[2] كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3] وقال العلامة السعدي رحمه الله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ أي يعطيكم علماً، وهدىً، ونوراً تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فلا يستغرب كثرة هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السموات والأرض، فلا يخلوا مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك»[4].

وقوله تعالى: ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ قيل: تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام[5] وقيل: تمشون به على الصراط[6] وقد جمع بين هذين القولين الإمام ابن القيم رحمه الله، فقال: «وفي قوله ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ إعلام بأن

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٣/ ٢١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٣١٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٨٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧/ ٢٥٦.

(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٣٠٢.

تصرفهم وتقلبهم الذي ينفعهم إنما هو بالنور، وأن مشيهم بغير نور غير مجد عليهم، ولا نافع لهم، بل ضرره أكثر من نفعه، وفيه أن أهل النور هم أهل المشي، ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع، فلا مشي لقلوبهم، ولا لأحوالهم، ولا لأقوالهم، ولا لأقدامهم إلى الطاعات، وكذلك لا تمشي على الصراط، إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم، وفي قوله تعالى: ﴿ تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ نكتة بديعة، وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما يمشون بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشيء أحوج ما يكون إليه»[1].

***

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٤٣.

المطلب الثاني: النور والظلمات في السنة النبوية

جاء في أحاديث النبي ﷺ ذكر النور والحث على اكتسابه والترغيب فيه، وسؤال الله عز وجل ذلك، وجاء ذكر الظلمات والتحذير من أسباب ذلك، ومن الأحاديث والآثار في ذلك ما يأتي:

١- كان النبي ﷺ يقول في دعائه: **«اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، وعظّم لي نوراً، واجعل لي نوراً، واجعلني نوراً، اللهم أعطني نوراً، واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً»**[(١)] .

قال ابن الأثير رحمه الله: «أراد ضياء الحق، وبيانه، كأنه قال: اللهم استعمل هذه الأعضاء منّي في الحق، واجعل تصرفي وتقلبي فيها على سبيل الصواب والخير»[(٢)] ، وقال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء سأل النور في أعضائه، وجسمه، وتصرفاته، وتقلباته، وحالاته، وجملته في جهاته الست، حتى لا يزيغ شيء منها عنه»[(٣)] ويزيد لك وضوحاً ما بينه

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذ انتبه من الليل، ٧/ ١٩١، برقم ٦٣١٦، ومسلم، صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٢٥، برقم ٧٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع الواو، مادة «نور»، ٥/ ١٢٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٩١، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٨.

الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال: «يمكن أن تحمل على ظاهرها، فيكون معنى سوأله: أن يجعل الله له في كل عضو من أعضائه نوراً يوم القيامة يستضيء به في تلك الظلم، هو ومن تبعه، أو من شاء الله ممن تبعه، والأولى أن يقال: هذه الأنوار هي مستعارة للعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[2] أي علماً وهداية» ثم قال: «والتحقيق في معنى النور مظهرٌ ما ينسب إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور الشمس: مظهرٌ للمبصرات، ونور القلب: كاشفٌ عن المعلومات، ونور الجوارح: ما يبدو عليها من أعمال الطاعات، فكأنه دعا بإظهار الطاعات عليها دائما، والله أعلم»[3]، وذكر الطيبي رحمه الله: أن معنى طلب النور للأعضاء: عضواً عضواً، أن يتحلَّ بأنوار المعرفة والطاعة، ويتعرّى عن ظلمة الجهالة والمعاصي، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس فكان التخلص منها بالأنوار السادَّة لتلك الجهات، وكل هذه الأنوار راجعة إلى الهداية، والبيان، وضياء الحق، وإلى مطالع هذه الأنوار يرشد قوله تعالى[4] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[5].

٢- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد**

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٣٩٥.
(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٤/ ١١٨٣، وفتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٨.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٥.

تملآن أو يملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور . . . » الحديث[١] .

قوله ﷺ: «**والصلاة نور**» قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير ذلك: «معناه: أن الصلاة إذا فعلت بشروطها: المصححة، والمكملة نورت القلب؛ بحيث تشرق فيه أنوار المكاشفات والمعارف، حتى ينتهي أمر من يراعيها حق رعايتها أن يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٢] ، وأيضاً: فإنها تنوِّر بين يدي مراعيها يوم القيامة في تلك الظلم، وأيضاً: تنوِّر وجه المصلي يوم القيامة، فيكون ذا غرة وتحجيل»[٣] ، وقال الإمام النووي: «وأما قوله ﷺ: «**والصلاة نور**» فمعناه: أنها تمنع صاحبها من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به، وقيل: معناه: أن يكون أجرها نوراً لصاحبها يوم القيامة، وقيل: لإشراق أنوار المعارف، وانشراح القلب، ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها، وإقباله إلى الله تعالى، بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤] وقيل: معناه: أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاء بخلاف من لم يصلِّ والله أعلم»[٥] ، قلت: النور يشمل ذلك كله في كل ما ذُكِرَ والله أعلم.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي

---

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ١/ ٢٠٣، برقم ٢٢٣.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥، والنسائي في كتاب عشرة النساء، باب: حب النساء، ٧/ ٦٢.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١/ ٤٧٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٠٣.

ﷺ سمع نقيضاً[١] من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[٢] وقد بين الإمام القرطبي رحمه الله معنى ذلك: وأن قول الملك: «أبشر بنورين» أي أبشر بأمرين عظيمين، نيِّرين، تنير لقارئهما، وتنوِّره، وخصت الفاتحة بهذا؛ لأنها تضمنت جملة معاني: الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلى الجملة فهي آخذة بأصول القواعد الدينية، والمعاقد المعارفية، وخُصت خواتيم سورة البقرة بذلك، لما تضمنته من الثناء على النبي ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم، بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهالهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم، ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها، فخفف عنهم، وغفر لهم، ونُصِروا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبُّعه»[٣].

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها، وإن الله عز وجل ينوِّرها لهم بصلاتي عليهم»**[٤].

قال الطيبي رحمه الله: «أما قوله ﷺ: **«إن هذه القبور مملوءة ظلمة»** إلى آخره، فكالأسلوب الحكيم، يعني ليس النظر في الصلاة على الميت إلى حقارته ورفعة شأنه، بل هي بمنزلة الشفاعة له، لينوَّر قبره. . . »[٥].

---

(١) نقيضاً: أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح. شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٣٩.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ١/ ٥٥٤، برقم ٨٠٦.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٣٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، ٢/ ٦٥٩، برقم ٩٥٦.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٤/ ١٣٩٥، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، ٤/ ١٧.

٥- وعن أمّ سلمة رضي الله عنها في دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة عند إغماضه: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»(١) ، وهذا دعاء عظيم لأبي سلمة، فإن النبي ﷺ دعا له برفع الدرجة: أي: ارفع درجته واجعله في زمرة الذين هديتهم للإسلام، وكن الخليفة على من يتركه من عقبه: كأهله وأولاده فاحفظ أمورهم ومصالحهم، ولا تكلهم إلى غيرك؛ فإنهم عقبة: أي الذين تأخروا عنه، ويعني بالغابرين: الباقين، كما قال الله عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾(٢) أي من الباقين في العذاب، وغبر من الأضداد، يأتي بمعنى بقي، وبمعنى ذهب(٣) ، قوله ﷺ: «وافسح له في قبره، نوِّر له فيه» أي وسع في قبره، وادفع عنه ظلمة القبر»(٤) .

٦- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله: فيه الهدى والنور [وهو حبل الله المتين، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه . . » الحديث(٥) .

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، ٢/ ٦٣٤، برقم ٩٢٠ .
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٣ .
(٣) انظر؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٢/ ٥٧٣، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٧٨، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٤/ ١٣٧٤ .
(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملاّ علي القاري، ٤/ ٨٧ .
(٥) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ٤/ ١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨ .

قال الإمام النووي رحمه الله في قوله ﷺ: «هو حبل الله» قيل: «المراد بحبل الله: عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه، ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به»[1]، ولاشك أن العمل بكتاب الله يوصل إلى رحمته، ورضاه، وهدايته وتوفيقه، والله المستعان.

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في فتنة القبر، وإجابة المسلم على الأسئلة: «ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينوّر له فيه»[2]، والمعنى أنه يوسع له في قبره سبعون ذراعاً في الطول وسبعون ذراعاً في العرض، ثم يجعل له النور في هذا القبر الذي وسع له[3].

٨- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ نهى عن نتف الشيب وقال: «إنه نور المسلم»[4].

٩- وعن كعب بن مرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»[5].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٩١.

(٢) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ٤/ ٢٧٤، برقم ١٠٧١، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة، ٢/ ٤١٦، برقم ٨٦٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٣٦٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢٤٣.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ٤/ ٦٨٣.

(٤) الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب، ٥/ ١٢٥، برقم ٢٨٢١، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب نتف الشيب، ٢/ ١٢٢٦، برقم ٣٧٢١، وأحمد في المسند، ٢/ ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٣٦٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٤٣.

(٥) الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، ٤/ ١٧٢، برقم ١٦٣٤، والنسائي، في كتاب الزينة، باب النهي عن نتف الشيب، ٨/ ١٣٦، برقم ٥٠٦٨، وابن حبان في صحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ٧/ ٢٥١، برقم ٢٩٨٣، وأبو داود بنحوه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في كتاب الترجل، بابٌ: في نتف الشيب، ٤/ ٨٥، برقم ٤٢٠٢، وأحمد في المسند، ٤/ ٤١٣، ٢٣٦، ٦/ ٢٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٢٤٨، برقم ١٢٤٤، وفي صحيح سنن الترمذي، ٢/ ١٢٦.

١٠- وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة»[١].

١١- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة»[٢].

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «لا تنتفوا الشيب؛ فإنه نورٌ يوم القيامة، ومن شاب شيبة في الإسلام، كتب له بها حسنة، وحُط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة»[٣].

جاءت الأحاديث الكثيرة في هذا المعنى عن أكثر من عشرة من أصحاب النبي ﷺ، وهذه الأحاديث الخمسة السابقة تبين فضل الشيب، وأنه لا ينتف؛ لأنه نور المسلم، ووقاره؛ لأن الوقار يمنع الشخص عن الغرور والطرب، ويميل إلى الطاعة والتوبة، وتنكسر نفسه عن الشهوات، فيصير ذلك نوراً يسعى بين يديه في ظلمات الحشر إلى أن يدخله الجنة[٤]، فالشيب يصير نفسه نوراً يهتدي به صاحبه ويسعى بين يديه يوم القيامة، والشيب وإن لم يكن من كسب العبد، لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه، فيكره نتف

---

(١) الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، ٤/ ١٧٢، برقم ١٦٣٥، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي نجيح السلمي، ٧/ ٢٥٢، برقم ٢٩٨٤.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٥/ ٢٠٥، برقم ٦٣٨٧، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٤٣. ورواه أبو داود بنحوه، في كتاب الترجل، باب في نتف الشيب، ٤/ ٨٥، برقم ٤٢٠٢.

(٣) ابن حبان في صحيحه، ٧/ ٢٥٣، برقم ٢٩٨٥، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٢٤٧، برقم ١٢٤٣.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٩/ ٢٩٣٤.

الشيب من نحو: لحية، وشارب، وعنفقة، وحاجب، قال النووي: لو قيل يحرم لم يبعد[١]، ومن غير بالسواد لا يحصل على هذا النور إلا أن يتوب أو يعفوا الله عنه[٢] وهذا الشعر الأبيض يؤدي إلى نور الأعمال الصالحة، فيصير نوراً في قبر المسلم، ويسعى بين يديه في ظلمات حشره[٣]، ويحصل هذا الفضل بشعرة واحدة بيضاء، تكون ضياء ومخلصاً عن ظلمات الموقف، وشدائده[٤].

وهذا الفضل في هذه الأحاديث يرغب المسلم في ترك نتف الشيب، وأعظم من النتف التغيير بالسواد، فقد نهى عنه النبي ﷺ وحذر منه، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أوتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد»[٥]، والثغامة نبت أبيض الزهر، والثمر، شُبِّه بياض الشيب به، وقيل: شجرة تبيض كأنها الثلجة، أو كأنها الملح[٦] وقوله ﷺ: «غيروا هذا بشيء» أمرٌ بتغيير الشيب، قال به جماعة من: الخلفاء، والصحابة، لكن لم يَصِر أحد إلى أنه للوجوب، وإنما هو مستحب[٧].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «أما قولهم: إن النبي ﷺ لم يخضب

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ٦/ ١٥٦.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٦/ ١٥٧.
(٣) انظر: مرقاة المفاتيح، للملاّ علي القاري، ٨/ ٢٣٥.
(٤) انظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، للمباركفوري، ٥/ ٢٦١.
(٥) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، ٣/ ١٦٦٣، برقم ٢١٠٢.
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٥/ ٤١٨.
(٧) المرجع السابق، ٥/ ٤١٨، وسمعت العلامة عبدالعزيز ابن باز حفظه الله أثناء شرحه لحديث رقم ٥٠٧٣، من سنن النسائي في ٢١/ ٨/ ١٤١٨هـ يقول: «الخضاب سنة مؤكدة وليس واجباً».

فليس بصحيح، بل قد صح عنه أنه خضب بالحناء، وبالصفرة»[١]، ولعل القرطبي رحمه الله يشير إلى حديث أبي رمثة رضي الله عنه حيث قال: «أتيت أنا وأبي النبي ﷺ، وكان قد لطخ لحيته بالحناء»[٢]، وعنه رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ ورأيته قد لطخ لحيته بالصفرة»[٣]، وعن زيد بن أسلم قال: «رأيت ابن عمر يصفر لحيته، فقلت يا أبا عبدالرحمن، تصفر لحيتك بالخلوق؛ قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصفر بها لحيته ولم يكن شيء من الصبغ أحب إليه منها»[٤]، وهذا من فعله ﷺ، أما من قوله فقد ثبت عنه أحاديث، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناءُ والكتم**»[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر على النبي ﷺ رجل قد خضب بالحناء فقال: «**ما أحسن هذا؟**»، قال: فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال: «**هذا أحسن من هذا**»، قال: فمر آخر قد خضب بالصفرة فقال: «**هذا أحسن من هذا كله**»[٦]، وعن ابن عمر رضي الله

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٤١٨.

(٢) النسائي، في كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، ٨/ ١٤٠، برقم ٥٠٨٣، وأبو داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب، ٤/ ٨٦، برقم ٤٢٠٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١٠٤٤.

(٣) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، ٨/ ١٤٠، برقم ٥٠٨٤، وأبو داود في كتاب الترجل، باب في الخضاب، ٤/ ٨٦، برقم ٤٢٠٨، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١٠٤٤، وفي مختصر الشمائل المحمدية، ص ٤٠-٤١، برقم ٣٦-٣٧.

(٤) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالصفرة، ٨/ ١٤٠، برقم ١٠٨٥، وصححه الألباني، في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٠٤٤.

(٥) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، ٨/ ١٣٩، برقم ٥٠٧٧-٥٠٨٠، ومن حديث عبدالله بن بريدة، برقم ٥٠٨١-٥٠٨٢، وأخرجه أبو داود، كتاب الترجل، باب الخضاب، ٤/ ٨٥، برقم ٤٢٠٥.

(٦) أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، ٤/ ٨٦، برقم ٤٢١١، وقال العلامة الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح: «وإسناده جيد»، ٢/ ١٢٦٦.

عنهما قال: «كان النبي ﷺ يلبس النعال السبتية، ويصفِّر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعله»[(١)] ، وسمعت العلامة عبدالعزيز ابن عبدالله ابن باز حفظه الله يقول: «وقد جاء التصفير عن ابن عمر في الصحيحين، ويستثنى من التزعفر: ما كان في اللحية، أو الشارب، أو الرأس»[(٢)] ، وسمعته أيضاً يقول: «والسنة الخضاب بالحناء أو بالصفرة، أو بالحناء والكتم»[(٣)] ، قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وأما الصباغ بالحناء بحتاً، وبالحناء والكتم، فلا ينبغي أن يختلف فيه؛ لصحة الأحاديث بذلك، غير أنه قد قال بعض العلماء: إن الأمر في ذلك محمول على حالين:

○ أحدهما: عادة البلد، فمن كانت عادة موضعه ترك الصبغ فخروجه عن المعتاد شهرة تَقْبُح وتكره.

○ وثانيهما: اختلاف حال الناس في شيبهم، فربَّ شيبة نقية هي أجمل بيضاء منها مصبوغة، وبالعكس فمن قبَّحه الخضاب اجتنبه، ومن حسنه استعمله، وللخضاب فائدتان:

* إحداهما: تنظيف الشعر مما يتعلق به من الغبار والدخان،

* والأخرى: مخالفة أهل الكتاب[(٤)] ؛ لقوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى**

---

(١) النسائي، كتاب الزينة، باب تصفير اللحية بالورس والزعفران، ٨/ ١٨٦، برقم ٥٢٤٤، وأبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، ٤/ ٨٦، برقم ٤٢١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٠٦٥، برقم ٤٨٣٩، وصحيح سنن أبي داود، ٢/ ٧٩٢.

(٢) سمعته من سماحته، يوم الأحد بعد المغرب، في جامع الأميرة سارة أثناء شرحه لحديث رقم ٥٢٤٤، من سنن النسائي، بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤١٨هـ.

(٣) سمعته من سماحته أثناء شرحه لحديث رقم ٥٠٨٥، من سنن النسائي في المكان السابق، بتاريخ ٢٤/ ٨/ ١٤١٨هـ.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٤٢٠.

لا يصبغون فخالفوهم»[1] ، ثم قال رحمه الله : «ولكن هذا الصباغ بغير السواد، تمسكاً بقوله ﷺ: «**واجتنبوا السواد**» والله أعلم»[2] ، وقال رحمه الله : «وقوله ﷺ: «**واجتنبوا السواد**» أمر باجتناب السواد، وكرهه جماعة منهم : علي بن أبي طالب، ومالك، وهو الظاهر من هذا الحديث، وقد علل ذلك بأنه من باب التدليس على النساء؛ وبأنه سواد في الوجه، فيكره؛ لأنه تشبه بسيما أهل النار»[3] ، ثم ذكر رحمه الله جماعة كثيرة من السلف كانوا يخضبون بالسواد، وقال: «ولا أدري عذر هؤلاء عن حديث أبي قحافة ما هو؟ فأقل درجاته الكراهة كما ذهب إليه مالك»[4] قلت: أما عذر السلف الذين كانوا يخضبون بالسواد، فيحمل على أنه لم يبلغهم حديث النهي الصريح عن الصبغ بالسواد، والله أعلم. وقال الإمام النووي رحمه الله: «ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة، أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح»[5] .

ويؤكد اختيار الإمام النووي ومن سلك مسلكه في تحريم الخضاب بالسواد ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة**»[6] ، وسمعت سماحة العلامة الإمام عبدالعزيز

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٧٥، برقم ٣٤٦٢، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصبغ، ٣/ ٦٣١٦، برقم ٢١٠٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٤٢٠.

(٣) المرجع السابق، ٥/ ٤١٩.

(٤) المرجع السابق، ٥/ ٤١٩.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ٣٢٥.

(٦) أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب السواد، ٤/ ٨٧، برقم ٤٢١٢، والنسائي في=

ابن عبدالله ابن باز حفظه الله يقول عن هذا الحديث: «إسناده جيد، وهذا يدل على تحريم تغيير الشيب بالسواد، ويقتضي أنه كبيرة؛ لأنه وعيد»[١] ، وقوله ﷺ: : «كحواصل الحمام» أي كصدور الحمام في الغالب؛ لأن صدور بعض الحمام ليست بسود[٢] ، ومما يدل على قبح الخضاب بالسواد ما بينه بعض السلف الذين كانوا يخضبون بالسواد حيث قيل: إنه قال:

نُسَوِّدُ أعلاها وتأبى أُصُولُها ولا خير في الأعلى إذا فسد الأصل[٣]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والصواب أن الأحاديث في هذا الباب لا اختلاف بينها بوجه؛ فإن الذي نهى عنه النبي ﷺ من تغيير الشيب أمران: أحدهما: نتفه، والثاني: خضابه بالسواد. . . والذي أذن فيه: هو صبغه وتغييره بغير السواد: كالحناء والصفرة، وهو الذي عمله الصحابة رضي الله عنهم. . . وأما الخضاب بالسواد فكرهه جماعة من أهل العلم وهو الصواب بلا ريب لما تقدم، وقيل للإمام أحمد: تكره الخضاب بالسواد؟ قال: إي والله، وهذه المسألة من المسائل التي حلف عليها. . . ورخص فيه آخرون، منهم أصحاب أبي حنيفة، وروي ذلك عن الحسن، والحسين، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن جعفر، وعقبه بن عامر، وفي ثبوته عنهم نظر، ولو ثبت فلا قول لأحد

= كتاب الزينة، باب النهي عن الخضاب بالسواد، ٨/ ١٣٨، برقم ٥٠٧٥، وأحمد في المسند، ١/ ٢٧٣، وقال ابن حجر في فتح الباري، ٦/ ٤٩٩: «إسناده قوي»، وصحح إسناده العلامة الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، وقال: على شرط الشيخين، ص ٨٤.

(١) سمعته منه أثناء شرحه لحديث رقم ٥٠٧٥، من سنن النسائي، في جامع الأميرة سارة بالبديعة، بعد مغرب يوم الأحد الموافق ٢١/ ٨/ ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٩/ ٢٩٣٣، ومرقاة المفاتيح، للملأ علي القاري، ٨/ ٢٣٢.

(٣) شرح مشكل الآثار، للطحاوي، ٩/ ٣١٤.

مع رسول الله ﷺ، وسنته أحق بالاتباع، ولو خالفها من خالفها»(١)

ويستخلص من الأحاديث الواردة في الشيب وخضابه ما يأتي

١- الشيب نور المسلم في الدنيا والآخرة.

٢- المنع من نتف الشيب ثابت عن النبي ﷺ.

٣- الشيب تزاد به الحسنات.

٤- الشيب ترفع به الدرجات.

٥- الشيب تحط به الخطايا.

٦- تحريم صبغ الشيب بالسواد.

٧- صبغ الشيب بالحناء، أو الصفرة، أو الحناء والكتم سنة مؤكدة.

٨- الحناء: لونه أحمر، والحناء والكتم: لونه بين السواد والحمرة.

٩- من صبغ الشيب بالسواد من السلف فلا دليل له من كتاب ولا سنة.

١٠- لا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ كائناً من كان.

١١- الشيب له أسباب غير كبر السن، فقد يكون مبكراً؛ لخوف الله عز وجل، أو لغيره من الأسباب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت؟ قال: **«شيبتني هودٌ، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتسآلون، وإذا الشمس كوِّرت»**(٢)، وعن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: قالوا: يا رسول الله، نراك قد شبت؟ قال: **«شيبتني هودٌ وأخواتها»**(٣)، والله عز وجل الموفق للصواب.

---

(١) تهذيب ابن القيم المطبوع مع معالم السنن للخطابي، ٦/ ١٠٤.

(٢) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، ٥/ ٤٠٢، برقم ٣٢٩٧، وحسنه، وصححه الألباني مختصر شمائل الترمذي، ص ٤٠، برقم ٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٤٠، برقم ٣٥.

١٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ»(١) .

والمقصود بالنور الذي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو القرآن العظيم؛ لأن فيه الهدى والنور، فمن عمل بما فيه كان على الصراط المستقيم وعلى الحق المبين(٢) .

١٤- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله**»(٣) ، وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل خلق الخلق في ظلمة، وألقى عليهم شيئاً من نوره، فمن أصابه شيء من ذلك النور اهتدى إلى طريق الجنة، ومن أخطأه ذلك النور وجاوزه ولم يصل إليه ضل وخرج عن طريق الحق؛ لأن الاهتداء والضلال قد جرى على علم الله وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل، وجفاف القلم عبارة عنه. وقيل: من أجل عدم تغير ما جرى في الأزل تقديره: من الإيمان، والطاعة، والكفر، والمعصية، أقول: جف القلم(٤) .

١٥- عن أنس رضي الله عنه أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في

---

(١) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ٨/ ١٦٠، برقم ٧٢١٩.
(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٢٠٩، وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١٥/ ١٨٠.
(٣) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ٥/ ٢٦، برقم ٢٦٤٢، وقال: «هذا حديث حسن»، وأخرجه أحمد، ٢/ ١٧٦، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٣٠، وصحح إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٧٦.
(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٧/ ٤٠١.

ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما»، وقال معمر عن ثابت عن أنس: «إن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار»، وقال حماد: أخبرنا ثابت عن أنس: «كان أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر عند النبي ﷺ»[1]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فأما رواية معمر فوصلها عبدالرزاق في مصنفه عنه، ومن طريقه الإسماعيلي بلفظ: «إن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عُصية فأضأت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله»، وأما رواية حماد بن سلمة فوصلها أحمد والحاكم في المستدرك بلفظ: «إن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء حندس، فلما خرجا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر»[2].

وهذه من كرامات الأولياء؛ فإن أهل الصلاح إذا حصل لهم أمر خارق للعادة فهي كرامة، أما إذا حصل ذلك لفاسق فهي من عمل الشيطان، وإذا حصل لإنسان مجهول مستور فيعرض أمره على الكتاب والسنة. وهذا النور الذي حصل لهذين الصحابيين مبني على نور الإيمان والتقوى، فاستنار الباطن، وجعل الله نوراً في عصا كل واحد منهما، فاستنار الظاهر، وليس من شرط أن يحصل ذلك لكل مؤمن، وإنما ذلك راجع إلى الله عز وجل.

١٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشير، ٣/ ٢٧٠، برقم ٢٨٠٥.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٧/ ١٢٥.

قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[(١)] ، ذكر العلامة الملاّ علي القاري أن معنى: «أضاء له من النور» أي: في قلبه، أو قبره، أو يوم حشره في الجمع الأكبر، «ما بين الجمعتين» أي: مقدار الجمعة التي تليها من الزمان، وهكذا كل جمعة تلا فيها هذه السورة»[(٢)] ، قال الطيبي رحمه الله: «أضاء له» يجوز أن يكون لازماً، وقوله: «ما بين الجمعتين» ظرف، فيكون إشراق ضوء النور فيما بين الجمعتين، بمنزلة إشراق النور نفسه مبالغة، ويجوز أن يكون متعدياً، والظرف مفعول به»[(٣)] .

• ١٧ - وذكر مالك رحمه الله: أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بالركب فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء»[(٤)] ، فقوله: «جالس العلماء وزاحمهم بالركب» عبارة عن مزيد القرب منهم، وقوله: «فإن الله يحيي الأرض بنور الحكمة» هي تحقيق العلم وإتقان العمل، والإصابة في القول والفعل، وهي العلم المشتمل على الفقه في الدين، والمعرفة بالله مع نفاذ البصيرة، وتحقيق الحق للعمل، والكف عن الباطل[(٥)] ، فالله سبحانه يحيي القلوب بذلك كما يحيي الأرض بالمطر، وهذا يؤكد على فضل العلم النافع والعمل الصالح؛ ولهذا الفضل قال

---

(١) البيهقي، ٣/ ٢٤٩، والحاكم في المستدرك وصحح إسناده، ٢/ ٣٦٨، والدارمي موقوفاً في حكم الرفع، في فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف، ٢/ ٣٢٦، برقم ٣٤١٠، وصححه الألباني بطرقه، في إرواء الغليل، ٣/ ٩٤، برقم ٦٢٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٧٨ .

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٥/ ١٦٧٥ .

(٤) موطأ الإمام مالك، ٢/ ١٠٠٢ .

(٥) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٤/ ٥٥٣، والحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، لسعيد بن علي القحطاني [الكاتب]، ص ٢٧ .

محمد بن سيرين رحمه الله: «إن قوماً تركوا طلب العلم، ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة، والصيام حتى يبس جلدُ أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة فهلكوا، وسفكوا دماء المسلمين، فوالذي لا إله غيره ما عمل أحد عملاً على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح»[١].

١٨- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً، فأيُّ قلب أُشر بها نُكت فيها نكتٌ سوداءُ، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا لا تضرهُ فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسودُ مرباداً كالكُوز مجخِّيًا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرِب من هواه»**[٢]، الفتنة أصلها في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان، والاختبار، ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، فقيل: فتن الرجل إذا وقع في الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة، وقوله ﷺ: **«تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عُوداً عُوداً»** والمعنى أن الفتن تلصق بعرض القلوب: أي بجانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به، وتعاد وتكرر شيئاً بعد شيء، فأي قلب أُشربها فدخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب نقط فيه نقطة سوداء، ولا يزال هذا القلب يشرب الفتن كلما عرضت عليه كما يشرب السفنج الماء حتى يسود وينتكس، فيكون كالكُوز المائل المنكوس، «والكوز هو ما اتسع رأسه من أواني الشرب إذا كانت بعُرى وآذان، فإن لم يكن لها عُرى فهي أكواب»[٣]، فإذا

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في الاستذكار بسنده، ٢٧/ ٤٣٤، برقم ٤١٧٧٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ١/ ١٢٨، برقم ١٤٤.

(٣) مشارق الأنوار، للقاضي عياض، ١/ ٣٤٩.

انتكس القلب وصار مكبوباً منكوساً عرض له اشتباه المعروف عليه بالمنكر، وربما استحكم عليه المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقاً، وبذلك يحكم هواه على ما جاء به الرسول ﷺ، وينقاد له ويتبعه. والقلب الآخر: قلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتن أنكرها، وردها فازداد نوره، وإشراقه، وقوته؛ ولقوة هذا القلب وشدته على عقد الإيمان، وسلامته من الخلل شُبِّه بالحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فهذا القلب لا تلصق به الفتن ولا تؤثر فيه، بخلاف القلب الأسود المرباد «والمرباد: هو الذي بين البياض والسواد والغبرة، مثل لون الرماده»[1] ، فهذا القلب قد اسودَّ، وقُلِبَ، ونُكِسَ حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، فَشُبِّهَ بالكوز المنحرف الذي لا يثبت فيه الماء، فإنه قد دخل قلبه بكل معصية تعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن، وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك[2] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، وفتن المعاصي، والبدع: فتن الظلم والجهل، فالأولى: توجب فساد القصد والإرادة، والثانية: توجب فساد العلم والاعتقاد»[3] ، وقال رحمه الله: «وقد قسم الصحابة رضي الله عنهم القلوب إلى أربعة كما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله[4] :

(١) انظر: مشارق الأنوار، للقاضي عياض، ١/ ٢٧٩.
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٥٣٠-٥٣١، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، ١/ ١٦.
(٣) المرجع السابق، ١/ ١٧.
(٤) المرجع السابق، ١/ ١٧.

«القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق عرف ثم أنكر، وقلب فيه مادتان: إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب»[١] .

فالقلب الأجرد: المتجرد مما سوى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يزهر، وهو مصباح الإيمان ونوره، فهو متجرد سالم من شبهات الباطل وشهوات الغي، وقد أشرق واستنار بنور العمل والإيمان.

والقلب الأغلف قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، فإذا ذكر له تجريد التوحيد وتجريد المتابعة للنبي ﷺ ولّى مدبراً.

والقلب المنكوس المكبوب قلب المنافق وهذا شر القلوب وأخبثها؛ فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالى أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، ومع ذلك يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

وأما القلب الذي له مادتان فهو القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض، الذي بعث الله عز وجل به رسوله ﷺ، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع[٢] .

---

(١) ذكره ابن تيمية موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه، وعزاه إلى أبي داود السجستاني وذكر إسناده، ثم قال: وقد روي مرفوعاً، وهو في المسند مرفوعاً. كتاب الإيمان لابن تيمية، ص ٢٨٨، قلت: هو في المسند، ٢/ ١٧، وقال العلامة الألباني: «قلت والمرفوع إسناده ضعيف، والصحيح موقوف»، كتاب الإيمان لابن تيمية، ص ٢٨٨ ح.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ١٨-١٩.

١٩- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يرفعه: «طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» قال: وكنا عند رسول الله ﷺ يوماً آخر حين طلعت الشمس فقال رسول ﷺ: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس» قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يحشرون من أقطار الأرض»(١) ، وهذا النور أعظم ما ورد للمؤمن يوم القيامة، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله عند ذكره لنور المؤمنين يوم القيامة، وأنه يكون على حسب قوة إيمانهم، ويقينهم، وإخلاصهم «فمنهم من يكون نوره كالشمس، ودون ذلك القمر، ودونه كأشد كوكب في السماء إضاءة. . .»(٢) .

٢٠- قال يهودي للنبي ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر»(٣) ، قال الإمام القرطبي رحمه الله: «والجَسر - بفتح الجيم وكسرها - ما يُعبر عليه، وهو الصراط هنا، و «دون» بمعنى فوق، كما قال في حديث عائشة: «على الصراط»(٤) ، وقد جاءت الأحاديث التي تدل على أن الناس عند تبديل الأرض غير الأرض يكونون على الصراط بألفاظ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٢/ ١٧٧، وصححه الألباني بطرقه، في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ١٥٣، برقم ١٦١٩، وصححه أحمد محمد شاكر، في ترتيبه وشرحه للمسند، ١٠/ ١٣٥-١٣٦، برقم ٦٦٥٠، و١٢/ ٢٨، برقم ٧٠٧٢، و١٢/ ٧٩، برقم ٧٠٧٢.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعطلة والجهمية، ٢/ ٨٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، ١/ ٢٥٢، برقم ٣١٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١/ ٥٧٤، ٧/ ٣٥٢، وانظر: إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي، ٢/ ١٥٦.

متقاربة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»[١]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي رواية الترمذي «على جسر جهنم» ولأحمد من طريق ابن عباس عن عائشة «على متن جهنم»[٢]، فظاهر الأدلة تقتضي أنه يذهب بهذه الأرض ويُؤتى بأرض أخرى[٣] وقد جاء الحديث الصحيح في صفة الأرض المبدلة، وأنها بيضاء عفراء، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد**»[٤]، والأرض العفراء: البيضاء بياضاً ليس ناصعاً بل يضرب إلى الحمرة، وقوله «**كقرصة النقي**» القرصة: الخبزة، والنقي: هي النقي من الغش والنخال، وقوله «**ليس فيها علم لأحد**» أي ليس فيها علامة لأحد، ولا علامة سكنى، ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها في الطرقات: كالجبل، والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا، وأنها ذهبت[٥].

٢١- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا**

---

(١) مسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ٤/ ٢١٥٠، برقم ٢٧٩١، والآية: ٤٨، من سورة إبراهيم.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١١/ ٣٧٦، ورواية الترمذي هي في سننه برقم ٣١٢١.
(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٧/ ٣٥١.
(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب قبض الله الأرض يوم القيامة، ٤/ ٢٤٨، برقم ٦٥٢١، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ٤/ ٢١٥٠، برقم ٢٧٩٠.
(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٧/ ٣٥٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ١٤٠، وفتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٣٧٥.

محارمهم»[1] ، قال الإمام القرطبي رحمه الله : «ظاهره أن الظالم يعاقب يوم القيامة ، بأن يكون في ظلمات متوالية ، يوم يكون المؤمنون في نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ فيقال لهم : ﴿ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا ﴾[2] » ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله : أن الظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال الغير بغير حق ، ومبارزة الرب بالمخالفة ، والمعصية فيه أشد من غيرها ؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار ، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر ، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً»[3] ، وقوله : «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم» قال جماعة : الشح : أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل ، وقيل : هو البخل مع الحرص ، وقيل : الشح : الحرص على ما ليس عندك ، والبخل : الامتناع عن إخراج ما حصل عندك[4] ولاشك أن الظلم ثلاثة أنواع :

١ - ظلم الشرك ، ٢ - ظلم المعاصي ، ٣ - ظلم النفس ، وبمعنى أوضح : نوعان : ظلم العبد نفسه ، وهو نوعان : الظلم بالشرك ، والظلم بالمعاصي ، وظلم العبد غيره . والله عز وجل الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، ٤/ ١٩٩٦ ، برقم ٢٥٧٨ ، وأخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ : «الظلم ظلمات يوم القيامة» ٣/ ١٣٦ ، برقم ٢٤٤٧ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ٦/ ٥٥٦ ، والآية : ١٣ من سورة الحديد ، وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٦/ ٣٧٠ ، وإكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم ، للأبي ، ٨/ ٥٣٤ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٥/ ١٠٠ .

(٤) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للقرطبي ، ٦/ ٥٥٧ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، ١٦/ ١٧١ ، وإكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، للأبي ، ٨/ ٥٣٤ .

المبحث الثاني: نور التوحيد وظلمات الشرك

المطلب الأول: نور التوحيد

○ المسلك الأول: مفهوم التوحيد:

التوحيد المطلق، هو: العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم، بتفرد الله عز وجل بالأسماء الحسنى، وتوحده بصفات الكمال، والعظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[2] قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي متوحد متفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك: في ذاته، ولا سمي له ولا كفو، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره؛ فإذا كان كذلك فهو المستحق، لأن يُؤَلَّه ويُعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه»[3].

○ المسلك الثاني: البراهين الساطعات في إثبات التوحيد:

البراهين الساطعات، والبينات الواضحات في كتاب الله عز وجل، وفي سنة النبي ﷺ على إثبات التوحيد كثيرة لا تحصر، ولكن منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[4]

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٠.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨.

والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليوحدونِ[1] .

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[2] يخبر الله عز وجل أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قمسين ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ فاتبعوا المرسلين، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ فاتبع سبيل الغي[3] .

٣- وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[4] فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[5] ؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[6] .

٤- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ١٧/ ٥٧ .
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦ .
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٩٣ .
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .
(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨/ ٤٢٧، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤٧٠ .
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٤٥ .

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] فالله عز وجل قضى، ووصّىٰ، وحكم، وأمر بالتوحيد فقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينياً، وأمراً شرعياً، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أحداً: من أهل الأرض والسموات، الأحياء، والأموات، ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد[2].

٥- والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون لأممهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[3] والمعنى اعبدوا الله وحده؛ لأنه الخالق الرازق، المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مُدبَّر ليس له من الأمر شيء[4].

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[5].

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[6] أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: إن صلاتي وذبحي، وحياتي وما آتيه فيها، وما يجريه الله عليَّ وما يقدر علي في الجميع لله رب العالمين، لا شريك له في العبادة، كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير، وبذلك أمرني ربي، وأنا أول من أقرَّ، وأذعن، وخضع من هذه الأمة لربه[7].

٨- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧/ ٤١٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٠٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية، ٥٩، ٦٥.
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٥٥.
(٥) سورة البينة، الآية: ٥.
(٦) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.
(٧) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٢/ ٢٨٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٥.

هل تدري ما حق الله على عباده»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[١]، وهذا الحديث العظيم يبين أن حق الله على عباده أن يعبدوه وحده لا شريك له بما شرعه لهم من العبادات، ولا يشركوا معه غيره، وأن حق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، ولاشك أن حق العباد على الله: هو ما وعدهم به من الثواب، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق، الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فهو حق جعله الله سبحانه على نفسه، تفضلاً وكرماً، فهو سبحانه الذي أوجب على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما حرم الظلم على نفسه، لم يوجب ذلك مخلوق عليه، ولا يقاس بمخلوقاته، بل هو بحكم رحمته، وعدله، كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم.[٢]

٩- وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ: «... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ٧/ ٨٩، برقم ٥٩٦٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، قطعاً، ١/ ٥٨، برقم ٣٠، واللفظ للبخاري برقم ٢٨٥٦، ورقم ٦٥٠٠.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ١/ ٢٠٣، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٤٥ ومجموع فتاوى ابن تيمية، ١/ ٢١٣.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ١/ ١٢٥، برقم ٤٢٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥، برقم ٣٣.

○ **المسلك الثالث: أنواع التوحيد:**

الله سبحانه وتعالى: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى «لا إله إلاّ الله» وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد[1] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

١- التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي[2]: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عما لا يليق به.

٢- التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية أو العبادة[3].

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل ثلاثة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرد بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم، وربى خواص خلقه ـ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم المخلصين ـ بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص ٧٤، والقول السديد، للسعدي، ص ١٧، وبيان حقيقة التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، ص ٢٠.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٤٩.

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، ٢/ ٩٤، ومعارج القبول، ١/ ٩٨، وفتح المجيد، ص ١٧.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضحه الله في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[١].

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم ـ مع العلم والعمل والاعتراف ـ بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحده سبحانه بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

وتوحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾

---

(١) انظر: فتح المجيد، ص ١٧، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبدالرحمن السعدي، ص ١٤-١٧، ومعارج القبول، ١/ ٩٩.

و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] ، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن.

وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛ لأن القرآن كله إما خبر عن الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: «توحيد الربوبية والأسماء والصفات»، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي - «توحيد الألوهية» -. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده سبحانه، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[2] .

○ المسلك الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده:

التوحيد له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج جميلة، ومن ذلك ما يأتي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٥٠، وفتح المجيد، ص ١٧-١٨، والقول السديد، ص ١٦، ومعارج القبول، ١/ ٩٨.

١ ـ خير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته .

٢ ـ التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات .

٣ ـ التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] .

٤ ـ يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة .

٥ ـ يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه : «**ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[2] .

٦ ـ يدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[3] ، وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**»[4] .

٧ ـ التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « . . . **فإن الله حرم على**

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٨٢ .

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ٥/٥٤٨، برقم ٣٥٤٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٧٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢٧، ١٢٨ .

(٣) متفق عليه : البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ ٤/١٦٨، برقم ٣٢٥٢، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/٥٧، برقم ٢٨ .

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ١/٩٤ برقم ٩٣ .

النار من قال: **لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[1] .

٨ ـ يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان[2] .

٩ ـ التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»[3] .

١٠ ـ جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

١١ ـ يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسلِّيه عن المصائب، فالموحد المخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله وعقابه.

١٢ ـ التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٣ ـ التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والآلام بقلب

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ١/١٢٦، برقم ٤٢٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، برقم ٣٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، برقم ٧٤١٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٧٠، برقم ١٨٣، ورقم ١٩٣.

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ١/ ٣٨، برقم ٩٩.

منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضاً بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر.

١٤ـ يحرِّر العبد من رِق المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبداً لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقق نجاحه.

١٥ـ التوحيد إذا كمل في القلب، وتحقَّق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب.

١٦ـ تكفَّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٧ـ الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأُنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: «وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»[٢].

* * *

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص٢٥.
(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٢.

المطلب الثاني: ظلمات الشرك

○ **المسلك الأول: مفهوم الشرك:**

الشِّرْكُ، والشِّرْكَةُ، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: كفر فهو مشركٌ ومشركي، والاسم الشرك فيهما، ورغبنا في شرككم: مشاركتكم في النسب[١]، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه، أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو التعظيم، أو اتبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم ﷺ فهو مشرك[٢].

والشرك شركان: شرك أكبر يخرج من الملة، وشرك أصغر لا يخرج من الملة[٣].

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده **أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله**، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء وأما حد الشرك الأصغر فهو: **كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة**[٤].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الكاف، فصل الشين، ص ١٢٤٠.

(٢) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، لعبد الرحمن الدوسري، ص ٤١.

(٣) انظر: قضية التكفير، للمؤلف، ص ١١٩.

(٤) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣١، ٣٢، ٥٤.

○ المسلك الثاني: البراهين القاطعات والدلائل الواضحات في إبطال الشرك:

الأدلة القاطعة الواضحة في إبطال الشرك، وذم أهله كثيرة، منها ما يأتي:

١- كل من دعا نبيًّا، أو وليًّا، أو ملكاً، أو جنيًّا، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله[1]، وهذا هو حقيقة الشّرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[2].

٢- من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن اتَّخذ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[3].

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجاراً أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّمَـٰوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إِلـٰهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة! وذلك:

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٢٤٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٢١-٢٣.

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معاً، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعاً للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتاً، متحركاً ساكناً.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإلـه القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإلـه الواحد، لا إلـه إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله عز وجل: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ ﴾[2]. وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلـهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧-٣٨٢، ١/ ٣٥-٣٧، وتفسير=

٣- من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً[1].

وقد بين الله عز وجل ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى

= البغوي ٣/ ٢٤١، ٣١٦، وابن كثير ٣/ ٢٥٥، ١٧٦، وفتح القدير للشوكاني، ٣/ ٤٠٢، ٤٩٦، وتفسير عبدالرحمن السعدي، ٥/ ٢٢٠، ٣٧٤، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٣/ ٩٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨-١٦١.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠، وتفسير السعدي ٢/ ٣٢٧، ٤٢٠، ٣/ ٢٩٠، ٤٥١، ٥/ ٢٧٩، ٤٥٧، ٦/ ١٥٣، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨، ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٦٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1] ، وقال عز وجل : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[2] .

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[3] .

٤- ومن المعلوم يقيناً أن ما يعبده المشركون من دون الله : الأنبياء ، أو الصالحين ، أو الملائكة ، أو الجن الذين أسلموا ، أنهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح ، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله؟[4] قال تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[5] .

٥- وقد أوضح وبيّن سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه ؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَـٰوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك ، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[6] ، قال عز وجل : ﴿ قُلِ

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات : ١٩١-١٩٨ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٣ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٥٦ .
(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨ ، وتفسير السعدي ٤/ ٢٩١ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٥٧ .
(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧ ، وتفسير السعدي ٦/ ٢٧٤ .

﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾(١) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٢) .

٦- وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٣) .

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٤) ، وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضر وإنما النافع الضار هو الله، ومن دعا ما لا يضره ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله لكان من الظالمين المشركين، فكيف بغيره؟(٥)، فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٦) .

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٨.
(٤) سورة يونس، الآيتان: ١٠٦-١٠٧.
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٣١.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٧.

٨- وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾(١) فهل هناك أضل من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض(٢).

٩- ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود على النحو الآتي:

(أ) قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٣).

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ٥-٦.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٢٤.
(٣) سورة الحج، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله[1].

(ب) ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتاً وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم[3].

(ج) ومن أبلغ الأمثال التي تُبيِّن أن المشرك قد تشتت شمله واحتار

---

(١) انظر: أمثال القرآن، لابن القيم، ص ٤٧، والتفسير القيم، لابن القيم، ص ٣٦٨، وتفسير البغوي، ٣/ ٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ٣/ ٢٣٦، وفتح القدير للشوكاني، ٣/ ٤٧٠، وتفسير السعدي، ٥/ ٣٢٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١-٤٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٤٦٨، وأمثال القرآن لابن القيم ص ٢١، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٠٤.

في أمره، ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلـهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوى هذان العبدان؟ والجواب: كلاَّ، لا يستويان أبدًا[2] .

١٠- الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشركُ معه غيره[3] .

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٤/٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم، لابن القيم ص ٤٢٣، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

(أ) المتفرد بالألوهية: لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السمٰوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾(١).

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السمٰوات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

(ب) وهو الإلٰه الذي خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها، وحيواناتها، وإنسها، وجنّها، وملائكتها ﴿ وَلَهُۥ

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

﴿أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١] .

(ج) وهو الإلـه الذي بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقاً لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢] .

(د) وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣] .

(هـ) إحاطة علمه بكل شيء، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[٤] : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٥] ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٦] ، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٧] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٨] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة يسٓ، الآية: ٨٢.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، والسعدي ٢/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥.
(٦) سورة يونس: الآية: ٦١.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٨) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإلـه المستحق للعبادة.

○ **المسلك الثالث: الشفاعة:**

أولاً: مفهوم الشفاعة لغة: يُقال شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعاً[١].

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضَّرة[٢].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣].

ثانياً: يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

١- **ليس المخلوق كالخالق**، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين ص ٩٤٧، والنهاية في غريب الحديث، ٢/ ٤٨٥، والمعجم الوسيط ١/ ٤٨٧.

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٨٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

الوجه الأول: إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

الوجه الثاني: أو يكون الملِكُ عاجزاً عن تدبير رعيته فلابدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

الوجه الثالث: أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبهم من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكاً لهم، وقد يكون معاوناً لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه.
ب- وتارة لخوفهم منه.
جـ- وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله عز وجل لا يرجو أحداً ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1]، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2].

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١٢٦-١٢٩.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

الشرك أبلغ سدٍّ وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده(١).

٢- الشفاعة: شفاعتان:

(أ) **الشفاعة المثبتة**: وهي التي تطلب من الله ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع، لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾(٢).

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾(٣)، ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾(٤).

(ب) **الشفاعة المنفية**: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه والشفاعة للكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾(٥)، ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب(٦).

٣- الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع،

---

(١) انظر: التفسير القيم، لابن القيم ص ٤٠٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٦) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٧/ ١٩٣، برقم ٣٨٨٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ١/ ١٩٥، برقم ٢١١.

فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين[1] .

○ المسلك الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة:

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[2] ، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولاً: على وجه الإجمال: قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا . . . ﴾[3] ، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[4] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5] .

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٢، ١٥٨، ١٤/ ٣٩٩-٤١٤، ١/ ١٠٨-١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠-١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل، له، ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان ١/ ١٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسيّة والمعنوية، فجميع ما في السَّمَـٰوات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السَّمَـٰوات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكاً على أن الله هو الحق، وأن ما يدعى من دونه هو الباطل[١]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٢].

ثانياً: على وجه التفصيل: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩، ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥-٢٥٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية: ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعماً كثيرة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟

ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف اجناسها؟[٢].
ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئاً؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

○ المسلك الخامس: أسباب ووسائل الشرك:

حذر النبي ﷺ عن كل ما يوصل إلى الشرك ويسبب وقوعه، وبيَّن ذلك بياناً واضحاً، ومن ذلك على سبيل المثال ما يأتي:

١- الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[٣].

---

(١) سورة النحل، الآيات: ١٤-١٨، وانظر: الآيات: ٣-١٢ من السورة نفسها.
(٢) انظر: فتح القدير ٣/ ١٥٤، ٣/ ١١٠، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/ ٥٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٠١، وعزاه إلى=

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه[١]، وردّ عليه قومه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٢].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عُبِدت»[٣].

وهذا سببه الغلو في الصالحين؛ فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[٤].

= البخاري، وانظر: فتح الباري ٦/ ٣٧٢.
(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٦.
(٢) سورة نوح، الآية: ٢٣.
(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، ٨/ ٦٦٧، برقم ٤٩٢٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٦٢، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤٦.

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[1].

٢- الإفراط في المدح والتجاوز فيه والغلو في الدين: حذّر رسول الله عن الإطراء فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2]، وقال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[3].

٣- بناء المساجد على القبور وتصوير الصور فيها: حذّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، وعن اتخاذها مساجد؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[4].

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: «**لَعْنَةُ**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾، ٦/ ٤٧٨، ١٢/ ١٤٤، وانظر: شرحه في الفتح ١٢/ ١٤٩.

(٣) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٥/ ٢٦٠، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ ١/ ٥٢٣، ٣/ ٢٠٨، ٧/ ١٨٧، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٥.

الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا[١].

وقال قبل أن يموت بخمس: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[٢].

٤- اتخاذ القبور مساجد: حذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثناً يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٣].

٥- إسراج القبور وزيارة النساء لها: حذر ﷺ عن إسراج القبور؛ لأن البناء عليها، وإسراجها، وتجصيصها والكتابة عليها، واتخاذ المساجد عليها من وسائل الشرك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[٤].

٦- الجلوس على القبور والصلاة إليها: لم يترك ﷺ باباً من

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب: حدثنا أبو اليمان ١/ ٥٣٢، ٣/ ٢٠٠، ٦/ ٤٩٤، ٧/ ١٨٦، ٨/ ١٤٠، ١٠/ ٢٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ١/ ٣٣٧.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧.

(٣) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد ٢/ ٢٤٦: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد ص ١٥٠.

(٤) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤/ ٩٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور ٣/ ٢١٨، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ٢/ ١٣٦، وابن ماجه في الجنائز، باب النهي عن زيارة النسائي للقبور ١/ ٥٠٢، وأحمد ١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٢/ ٣٣٧، ٣/ ٤٤٢، ٤٤٣، والحاكم ١/ ٣٧٤، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية ص ٢٧٦.

أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سده[١] ، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»[٢] .

٧- اتخاذ القبر عيداً وهجر الصلاة في البيوت: بيّن ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيداً عن قبره أو قريباً، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيداً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٣] .

وقال ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»[٤] .

فإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً من كان[٥] .

٨- الصور وبناء القباب على القبور: كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[٦] .

٩- شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة: وكما سد ﷺ كل باب

---

(١) انظر: فتح المجيد ص ٢٨١ .

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨ .

(٣) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ٢/ ٢١٨ بإسناد حسن، وأحمد ٢/ ٣٥٧، وانظر: صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٨٣ .

(٤) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ ٣/ ٤٣، وأحمد ١/ ٤٥٢، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، ص ٢٤، وسنده صحيح .

(٥) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥-١٧٤ .

(٦) مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ٢/ ٦٦٦ .

يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[١].

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قول النبي ﷺ، ولهذا عندما ذهب أبو هريرة رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تعمل المطي إلى إلى ثلاثة مساجد...»[٢].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك»[٣].

١٠- الزيارة البدعية للقبور من وسائل الشرك؛ لأن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت ـ بشرط عدم شدِّ الرِّحال ـ ولاتباع سنة النبي ﷺ.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٦٣، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٦.

(٢) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ٣/ ١١٤، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١/ ١٠٩، وأحمد في المسند ٦/ ٧، ٣٩٧، وانظر: فتح المجيد ص ٢٨٩، وصحيح النسائي ١/ ٣٠٩.

(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٤.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[1] ، وهذا النوع ثلاثة أنواع :

أ - من يسأل الميت حاجته ، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام .

ب - من يسأل الله تعالى بالميت ، كمن يقول : أتوسل إليك بنبيك ، أو بحق الشيخ فلان ، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام ، ولا يصل إلى الشرك الأكبر ، فهو لا يُخرج عن الإسلام كما يُخرِج الأول .

ج - من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، وهذا من المنكرات بالإجماع[2] .

١١ - الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها من وسائل الشرك ؛ لما في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها في هذين الوقتين ، قال ﷺ : «**لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان**»[3] .

والخلاصة: أن وسائل الشرك التي توصل إليه : هي كل وسيلة وذريعة تكون طريقاً إلى الشرك الأكبر ، ومن الوسائل التي لم تذكر هنا : تصوير ذوات الأرواح ، والوفاء بالنذر في مكان يُعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، وغير ذلك من الوسائل[4] .

○ المسلك السادس: أنواع الشرك وأقسامه:

أولاً: الشرك أنواع ، منها :

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٣ ، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٣ .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/ ١٦٥-١٧٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها ، ١/ ٥٦٨ ، برقم ٨٢٨ .

(٤) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، للعلامة الدكتور صالح الفوزان ، ص ٥٤-٧٠ ، ١١٣-١٥٢ .

ﵟضَلَٰلَۢا بَعِيدًاﵞ[1] ، وهو أربعة أقسام:

١- **شرك الدعوة:** لقوله تعالى: ﵟفَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَﵞ[2] .

٢- **شرك النية والإرادة والقصد:** لقوله تعالى: ﵟمَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَﵞ[3] .

٣- **شرك الطاعة:** وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى، قال سبحانه: ﵟٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَﵞ[4] .

٤- **شرك المحبة:** لقوله تعالى: ﵟوَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِﵞ[5] .

والخلاصة: أن الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل: كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يتقرب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة، أو يخاف الموتى أن يضروه، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع العبادة التي

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥، وانظر: الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٠-٢٤٤، ومدارج السالكين، لابن القيم ١/ ٣٣٩-٣٤٦.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦، وانظر: سورة الإسراء، الآية: ٨، وسورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

لا تصرف إلا لله عز وجل[١] .

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة ومنه يسير الرياء، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٢] ، ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٣] ، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله؛ وشئت.

ومن أنواع الشرك: شرك خفي: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»[٤] ، وكفارته هي أن يقول العبد: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»[٥] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٦] ، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: واللهِ وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان[٧] .

وقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٨] ، قال

---

(١) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الفوزان ص ١١ .
(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .
(٣) رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ٤/ ١١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٩٩ .
(٤) أخرجه الحكيم الترمذي، انظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، وتخريج الطحاوية للأرنؤوط ص ٨٣ .
(٥) أخرجه الحكيم الترمذي، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، ومجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، وابن تيمية ص ٦ .
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢ .
(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره، ١/ ٥٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(٨) رواه الترمذي عن ابن عمر ٤/ ١١٠، وتقدم تخريجه في الحاشية رقم ٣ .

الترمذي فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»[1]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إلـه إلاّ الله»[2].

* ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله[3].

والخلاصة: أن الشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر، وهو: ألفاظ وأفعال:

فالألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، أو هذا من بركات الله وبركاتك ونحو ذلك. والصواب أن يقول: ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شئت، ولولا الله وحده، أو لولا الله ثم أنت، وهذا من الله وحده، أو هذا من الله ثم منك.

والأفعال: مثل: لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفاً من العين أو الجن، فمن فعل ذلك يعتقد أن هذه الأشياء ترفع البلاء بعد نزوله، أو تدفعه قبل نزوله فقد أشرك شركاً أكبر، وهو

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٢.

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٢.

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٣٣.

شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أن الله عز وجل الدافع للبلاء والرافع له وحده، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر: أما الشرع فإنه نهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة، وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وهو من جملة وسائل الشرك؛ فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات، والنيات، والمقاصد، وهو نوعان:

النوع الأول: الرياء، والسمعة، والرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدوه عليها، والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء لما يُرى من العمل: كالصلاة، والصدقة، والحج، والجهاد، والسمعة لما يسمع: كقراءة القرآن، والوعظ، والذكر، ويدخل في ذلك تحدث الإنسان عن أعماله وإخباره بها.

النوع الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا: وهو إرادته بالعمل الذي يُبتغى به وجه الله عرضاً من مطامع الدنيا، وهو شرك في النيات والمقاصد وينافي كمال التوحيد ويحبط العمل الذي قارنه.[1]

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص ٤٣، والجواب الكافي لمن سأل عند الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٤٠، وكتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص ١١-١٢، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد له، ص ١٣٤-١٤٣.

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.[١]

ثانياً: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- الشرك الأكبر يخرج من الإسلام والأصغر لا يخرج من الإسلام.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الرياء والعمل للدنيا العمل الذي خالطه.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والأصغر ليس كذلك.[٢]

٥- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما معه من التوحيد، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر[٣].

○ المسلك السابع: أضرار الشرك وآثاره:

الشرك له آثار خطيرة، ومفاسد جسيمة، وأضرار مهلكة، منها على سبيل الاختصار والإجمال، ما يأتي:

١ـ شر الدنيا والآخرة من أضرار الشرك وآثاره.

٢ـ الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: التفصيل في ذلك ص ١١٩-١٣٧ من هذا الكتاب

(٢) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ١٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٥.

٣ ـ الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

٤ ـ يحصل لصاحب الشرك الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1].

٥ ـ الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2].

٦ ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

٧ ـ الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[5].

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[6].

٨ ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، ١/ ٩٤، برقم ٩٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٧) سورة البينة، الآية: ٦.

٩ ـ الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال الله سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[(٢)].

١٠ـ الله تعالى بريء من المشركين ورسوله ﷺ، قال عز وجل: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[(٣)].

١١ـ الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغضبه.

١٢ـ الشرك يطفيء نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٤)]. قال النبي ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»**[(٥)]، وفي الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: **«إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً»**[(٦)].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ٢/ ١١٩، برقم ١٣٥٨، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٤/ ٢٠٤٧، برقم ٢٦٥٨.

(٦) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ١/ ٢١٩٧، برقم ٢٨٦٥.

١٣ـ يقضي على الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة وإذا كان الشرك يقضي على الفطرة فمن باب أولى أن يقضي على ما انبنى على فطرة الله من الأخلاق الطيبة الحسنة.

١٤ـ يقضي على عزة النفس؛ لأن المشرك يذل لجميع طواغيت الأرض كلها؛ لأنه يعتقد أنه لا معتصم له إلا هم، فيذل ويخضع لمن لا يسمع ولا يرى، ولا يعقل، فيعبد غير الله، ويذل له، وهذا غاية الإهانة والتعاسة، نسأل الله العافية.

١٥ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»**[(١)].

١٦ـ الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم موالاته ولو كان أقرب قريب.

١٧ـ الشرك الأصغر ينقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

١٨ـ الشرك الخفي وهو شرك الرياء والعمل لأجل الدنيا يحبط العمل الذي قارنه، وهو أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد ﷺ.

فاحذر يا عبدالله الشرك كله: كبيره وصغيره، نعوذ بالله منه ونسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

***

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، ١/ ١٤، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ١/ ٥٣، برقم ٢٠.

المبحث الثالث: نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة

المطلب الأول: نور الإخلاص

○ **المسلك الأول: مفهوم الإخلاص:**

الإخلاص في اللغة: خَلَص يخلص خلوصاً: صفا وزال عنه شوبه، ويقال خلص من ورطته: سلم منها ونجا، ويقال: خلَّصه تخليصاً: أي نجاه. والإخلاص في الطاعة ترك الرياء[١].

وحقيقة الإخلاص: هو أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده.

وقد ذكر أهل العلم تعريفات بعضها قريب من بعض:

فقيل: الإخلاص: إفراد الحق ـ سبحانه ـ بالقصد في الطاعة.

وقيل: الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: تصفية العمل من كل ما يشوبه[٢].

وعلى ما تقدم: يتضح أن الإخلاص: صرف العمل والتقرب به إلى الله وحده، لا رياء ولا سمعة، ولا طلباً للعرض الزائل، ولا تصنعاً، وإنما يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ويطمع في رضاه.

---

(١) المعجم الوسيط ١/ ٢٤٩، ومختار الصحاح ص ٧٧.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٩١.

ولهذا قال القاضي عياض: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما»[١].

والإخلاص: في حياة المسلم أن يقصد بعمله، وقوله، وسائر تصرفاته، وتوجيهاته وتعليمه وجه الله تعالى وحده لا شريك له ولا رب سواه.

○ المسلك الثاني: أهمية الإخلاص:

لقد خلق الله الخلق: الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وأمر جميع المكلفين بالإخلاص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[٣]، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٤]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[٥].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة»[٦]. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٩١.
(٢) سورة البينة، الآية: ٥.
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.
(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.
(٥) سورة الملك، الآية: ٢.
(٦) مدارج السالكين، ٢/ ٨٩.
(٧) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

مُحۡسِنٞ﴾[1] . فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول الله ﷺ وسنته[2] .

وقد ثبت في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله ﷺ: **«ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»**[3] .

والإخلاص هو روح عمل المسلم، وأهم صفاته، فبدونه يكون جهده وعمله هباءً منثوراً.

والإخلاص من أهم أعمال القلوب باتفاق أئمة الإسلام، ولا شك أن أعمال القلوب هي الأصل: لمحبة الله ورسوله ﷺ، والتوكل عليه، والإخلاص له، والخوف منه، والرجاء له، وأعمال الجوارح تبع؛ فإن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح مات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح.

فيجب على المسلم أن يكون مخلصاً لله - عز وجل - لا يريد رياءً ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا مدحهم وحمدهم، إنما يعمل الصالحات ويدعو إلى الله يريد وجهه - تعالى - كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[4] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[5] .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥ .

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٩٠ .

(٣) أخرجه الترمذي، في كتاب العلم، باب: ماجاء في الحث على تبليغ السماع، ٥/ ٣٤، برقم ٢٦٥٨ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه أحمد ٥/ ١٨٣ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وصححه الألباني في مشكات المصابيح ١/ ٧٨ .

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨ .

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٣ .

والإخلاص أعظم الصفات التي تجب على جميع المسلمين فيريدوا بدعوتهم وعملهم وجه الله والدار الآخرة، ويريدوا إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور[١] .

○ المسلك الثالث: مكانة النية الصالحة:

النية: أساس العمل وقاعدته، ورأس الأمر وعموده، وأصله الذي عليه بُنِيَ؛ لأنها روح العمل، وقائده، وسائقه، والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يحصل التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة[٢] ، ولهذا قال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرءٍ ما نوى . . .»**[٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤] .

وهذا يدل على أهمية ومكانة النية، وأن الدعاة إلى الله وغيرهم من المسلمين بحاجة إلى إصلاح النية، فإذا صلحت أُعطي العبد الأجر الكبير والثواب العظيم، ولو لم يعمل إنما نوى نية صادقة، ولهذا قال ﷺ: **«إذا مرض العبد أو سافر كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»**[٥] ،

---

(١) انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ١/ ٣٤٩ و٤/ ٢٢٩ .

(٢) انظر: النية وأثرها في الأحكام الشرعية للدكتور صالح بن غانم السدلان ١/ ١٥١ .

(٣) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: البخاي، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسوله ﷺ، ١/ ٩، برقم ١ . ومسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، ٣/ ١٥١٥، برقم ١٩٠٧ .

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٤ .

(٥) البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة، ٤/ ٢٠٠، برقم ٢٩٩٦ .

وقال ﷺ: «ما من امرئٍ تكون له صلاة بليل فيغلبه عليها نوم إلا كُتبَ له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة»(١).

وقال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلى وحضر لا ينقص ذلك من أجره شيئاً»(٢).

وقال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٣).

وهذا يدل على فضل الله سبحانه وتعالى وإحسانه إلى عباده؛ ولهذا قال ﷺ في غزوة تبوك: «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه»، قالوا: يا رسول الله كيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: «حَبَسهُمُ العذر»(٤).

وبالنية الصالحة يضاعف الله الأعمال اليسيرة، ولهذا قال ﷺ لرجل جاء إليه مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله: أقاتل أو أسلم؟ فقال ﷺ: «أسلم ثم قاتل»، فأسلم ثم قاتل فَقُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلاً وأجر كثيراً»(٥).

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب من نوى القيام فنام، ٢/ ٢٤، برقم ١٣١٤. والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب من كان له صلاة بليل فغلبه عليها نوم، ٣/ ٢٧٥، برقم ١٧٨٤. وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ٢٠٤، وصحيح الجامع ٥/ ١٦٠ برقم ٥٥٦٧.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فيمن خرج يريد الصلاة فسبق بها، ١/ ١٥٤، برقم ٥٦٤. والنسائي، كتاب الإمامة، باب حد إدراك الجماعة، ٢/ ١١١، برقم ٨٥٥. وقال ابن حجر في فتح الباري: «إسناده قوي»، ٦/ ١٣٧.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ٣/ ١٥١٧، برقم ١٩٠٩.

(٤) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، ٣/ ٢٨٠، برقم ٢٨٣٩، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب الرخصة في القعود من العذر، ٣/ ١٢، برقم ٢٥٠٨، واللفظ له.

(٥) متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه: البخاريو كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل=

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فدخل في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام وهو في مسيره فدخل خف بعيره في جحر يربوع فوقصه بعيره فمات، فقال رسول الله ﷺ: عمل قليلاً وأجر كثيراً» قالها حماد ثلاثاً[١].

وبالنية الصالحة يبارك الله في الأعمال المباحة فيثاب عليها العبد، ولهذا قال ﷺ: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة»[٢]، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعلُ في فِي امرأتك»[٣].

وقال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٍ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصلِ فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً فهو بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء»[٤].

= الجهاد، ٣/ ٢٧١، برقم ٢٨٠٨، واللفظ له. ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥٠٩، برقم ١٩٠٠.

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٥٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي مسعود رضي الله عنه: البخاري، كتاب الايمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ١/ ٢٤، برقم ٥٥. ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، والزوج والأولاد، ٢/ ٦٢٥، برقم ١٠٠٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية، ١/ ٢٤، برقم ٥٦. ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ٣/ ١٢٥٠، برقم ١٦٢٨.

(٤) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ٤/ ٥٦٢، برقم ٢٣٢٥، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب النية، ٨/ ١٤١٣، برقم ٤٢٢٨، وأحمد ٤/ ١٣٠، وصححه الألباني =

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة...»[1].

○ **المسلك الرابع: ثمرات الإخلاص وفوائده:**

الإخلاص له ثمرات حميدة وفوائد جليلة عظيمة، منها ما يلي:

١ ـ خير الدنيا والآخرة من فضائل الإخلاص وثمراته.

٢ ـ الإخلاص هو السبب الأعظم في قبول الأعمال مع متابعة النبي ﷺ.

٣ ـ الإخلاص يثمر محبة الله للعبد، ثم محبة الملائكة، ووضع القبول في الأرض.

٤ ـ الإخلاص أساس العمل، وروحه.

٥ ـ يثمر الأجر الكبير والثواب العظيم بالعمل اليسير، والدعاء القليل.

٦ ـ يكتب لصاحب الإخلاص كل عمل يقصد به وجه الله ولو كان مباحاً.

٧ ـ يكتب لصاحب الإخلاص ما نوى من العمل ولو لم يعمله.

٨ ـ إذا نام أو نسي كُتب له عمله الذي كان يعمله.

٩ ـ إذا مرض العبد أو سافر كُتب له بإخلاصه ما كان يعمل صحيحاً مقيماً.

١٠ ـ ينصر الله الأمة بالإخلاص.

= في صحيح الترمذي ٢/ ٢٧٠.

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة، ٧/ ٢٣٩، برقم ٦٤٩١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١/ ١١٧، برقم ١٣١.

١١ـ الإخلاص يثمر النجاة من عذاب الآخرة .
١٢ـ تفريج كروب الدنيا والآخرة من ثمرات الإخلاص .
١٣ـ رفع المنزلة في الآخرة يحصل بالإخلاص .
١٤ـ الإنقاذ من الضلال .
١٥ـ الإخلاص سبب لزيادة الهدى .
١٦ـ الصيت الطيب عند الناس من ثمار الإخلاص .
١٧ـ طمأنية القلب والشعور بالسعادة .
١٨ـ تزيين الإيمان في النفس .
١٩ـ التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص .
٢٠ـ حسن الخاتمة .
٢١ـ استجابة الدعاء .
٢٢ـ النعيم في القبر والتبشير بالسرور .
٢٣ـ دخول الجنة والنجاة من النار .

وهذه الثمرات والفوائد أدلتها كثيرة من الكتاب والسنة[١] .
فأسأل الله لي ولإخواني المسلمين الإخلاص في القول والعمل .

---

(١) يدل على ذلك ما تقدم في المسلكين السابقين، وانظر: كتاب الإخلاص لحسين العوايشة ص٦٤ .

المطلب الثاني: ظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة

○ المسلك الأول: خطر إرادة الدنيا بعمل الآخرة:

من الخطر العظيم أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به عرضاً من الدنيا، وهذا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط العمل، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا.

والفرق بين الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا: هو أن بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في أن الإنسان إذا أراد بعمله التزين عند الناس، ليروه ويعظِّموه ويمدحوه، فهذا رياء، وهو أيضاً إرادة للدنيا؛ لأنه تصنّع عند الناس وطلب الإكرام منهم والمدح والثناء.

أما العمل للدنيا فهو أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً لا يقصد به الرياء للناس، وإنما يقصد به عرضاً من الدنيا: كمن يحج عن غيره ليأخذ مالاً، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك، فالمرائي عمل لأجل المدح والثناء من الناس، والعامل للدنيا يعمل العمل الصالح يريد به عرض الدنيا وكلاهما خاسر نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

وقد جاءت النصوص تدل على خسران صاحب هذا العمل في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ

---

(١) انظر: فتح المجيد ص ٤٤٢، وتيسير العزيز الحميد ص ٥٣٤.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(١) ، وقال عز وجل : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٣) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾(٤) .

وقال ﷺ : «من تعلم علماً مما يُبتغىٰ به وجه الله عز وجل لا يتعلمُهُ إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها(٥) .

وعن جابر رضي الله عنه يرفعه : «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتخيّروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»(٦) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «لا تعلموا العلم لثلاث : لتماروا به السفهاء ، وتجادلوا به العلماء ، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم ما عند الله ؛ فإنه يدوم ويبقى وينفد ما سواه»(٧) .

---

(١) سورة هود ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٠ .

(٥) أبو داود ، كتاب العلم ، باب : في طلب العلم لغير الله ، ٣/ ٣٢٣ ، برقم ٣٦٦٤ ، وابن ماجه ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم ، ١/ ٩٣ ، برقم ٢٥٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ، ١/ ٤٨ .

(٦) ابن ماجه ١/ ٩٣ ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، ١/ ٩٣ ، برقم ٢٥٤ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ، ١/ ٤٨ ، وصحيح الترغيب للألباني ١/ ٤٦ ، وفي الموضعين أحاديث أخرى .

(٧) الدرامي ١/ ٧٠ موقوفاً ، وابن ماجه عن أبي هريرة ، في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، ١/ ٩٦ ، برقم ٢٦٠ ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٤٨ ، وصحيح الترغيب والترهيب ١/ ٤٨ .

ولهذا تكفل الله بالسعادة لمن عمل لله، فعن أنس يرفعه: «من كانت الآخرة همَّهُ جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له»(١).

○ **المسلك الثاني: أنواع العمل للدنيا:**

العمل للدنيا أنواع متعددة، وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى أنه جاء عن السلف في ذلك أربعة أنواع:

النوع الأول: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله تعالى: من صدقة، وصلاة، وإحسان إلى الناس، ورد ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله تعالى؛ لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله، وتنميته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليه وعليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة. وهو ما ذكر عن مجاهد رحمه الله تعالى.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً، مثل أن يحج عن غيره لمال يأخذه، ولا يقصد بذلك وجه الله ولا الدار الآخرة، أو

---

(١) الترمذي، كتاب صفة القيامة، بابٌ: حدثنا قتيبة، ٤/ ٦٤٢، برقم ٢٤٦٥، وابن ماجه بنحوه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، كتاب الزهد، ٢/ ١٣٧٥، برقم ٤١٠٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٣٥١، والأحاديث الصحيحة ٩٥٠.

يهاجر لدنيا يصيبها، أو يجاهد لأجل المغنم، أو يتعلم العلم ليحصل على الشهادة وعلى الجاه، ولا يقصد بذلك وجه الله مطلقاً، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة؛ لأجل وظيفة المسجد أو غيره من الوظائف الدينية، ولا يريد بذلك ثواباً مطلقاً.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام، كمن يأتي بناقض من نواقض الإسلام. ذُكِر ذلك عن أنس رضي الله عنه وغيره[١].

فليحذر المسلم مما يحبط عمله ويعرضه لسخط الله وغضبه، وليحذر جميع المسلمين من هذه الأنواع الفاسدة نعوذ بالله منها.

○ المسلك الثالث: خطر الرياء، وأنواعه وأسبابه:

أولاً: خطر الرياء وآثاره:

الرياء خطره عظيم جداً على الفرد والمجتمع والأمة؛ لأنه يحبط العمل والعياذ بالله ويظهر خطره في الأمور الآتية:

١- الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال ﷺ: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»**[٢].

٢- الرياء أشد فتكاً من الذئب في الغنم، قال ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بِأفسَدَ من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[٣].

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤٤٤، وتيسير العزيز الحميد ص ٥٣٦، والقول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي ص ١٢٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، ٢/١٤٠٦، برقم ٤٢٠٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤١٠.

(٣) الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا سويد، برقم ٢٣٧٦، ٤/ ٥٨٨، وأحمد ٣/ ٤٥٦، وصححه=

وهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ بين فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال وذلك بأن يشغله عن طاعة الله، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.

٣- خطورة الرياء على الأعمال الصالحة خطر عظيم؛ لأنه يذهب بركتها، ويبطلها والعياذ بالله: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]

هذه هي آثار الرياء تمحق العمل الصالح محقاً في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عوناً ولا يستطيع لذلك رداً.

قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

فهذا العمل الصالح أصله كالبستان العظيم كثير الثمار، فهل هناك أحد يحب أن تكون له هذه الثمار والبستان العظيم ثم يرسل عليها الرياء فيمحقها محقاً، وهو في أشد الحاجة إليها!!

ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[3]، وفي الحديث:

= الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٨٠.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

(٣) مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩، برقم ٢٩٨٥.

«إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عَمَلٍ عَمِلَهُ لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[١].

٤- يسبب عذاب الآخرة، ولهذا أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان كريم متصدق. ولم تكن أعمالهم خالصة لله تعالى[٢].

٥- الرياء يورث الذل والصغار والهوان والفضيحة، قال ﷺ: «من سمَّع سمَّع اللهُ به، ومن يرائي يرائي الله به»[٣].

٦- الرياء يحرم ثواب الآخرة، قال ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء[٤] والدين، والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»[٥].

٧- الرياء سبب في هزيمة الأمة، قال ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[٦]، وهذا يبين أن

---

(١) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، بابٌ: ومن سورة الكهف، ٥/ ٣١٤، برقم ٣١٥٤، من حديث أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله عنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، ٢/ ١٤٠٦، برقم ٤٢٠٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٨، وفي صحيح الترمذي ٣/ ٧٤.

(٢) انظر: الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ٣/ ١٥١٤، برقم ١٩٠٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، ٧/ ٢٤٢، برقم ٦٤٩٩. ومسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ٤/ ٢٢٨٩، برقم ٢٩٨٦

(٤) معناه ارتفاع المنزلة لأن السناء هو الرفعة. انظر: المصباح المنير ١/ ٢٩٣.

(٥) مسند أحمد ٥/ ١٣٤، والحاكم ٤/ ٤١٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ١٥.

(٦) رواه النسائي بلفظه، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، ٦/ ٤٥، برقم ٣١٧٨، وأصله=

الإخلاص لله سبب في نصر الأمة على أعدائها وأن الرياء سبب في هزيمة الأمة!

٨- الرياء يزيد الضلال، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1].

ثانياً: أنواع الرياء:

أبواب الرياء كثيرة نعوذ بالله من ذلك وهذه الأنواع على النحو الآتي:

١- أن يكون مراد العبد غير الله، ويريد ويحب أن يعرف الناس أنه يفعل ذلك، ولا يقصد الإخلاص مطلقاً نعوذ بالله من ذلك، فهذا نوع من النفاق.

٢- أن يكون قصد العبد ومراده لله تعالى فإذا اطّلع عليه الناس نشط في العبادة وزينها وهذا شرك السرائر، قال ﷺ: **«يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر»**، قالوا: يا رسول الله: وما شرك السرائر؟ قال: **«يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر»**[2].

٣- أن يدخل العبد في العبادة لله ويخرج منها لله فَعُرِفَ بذلك ومُدِح فسكن قلبه إلى ذلك المدح ومنّى النفس بأن يحمدوه ويمجِّدوه، وينال ما يريده من الدنيا، وهذا السرور والرغبة في الازدياد منه والحصول على مطلوبه يدل على رياء خفي.

= في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ٣/ ٢٩٦، برقم ٢٨٩٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٦.

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٦٧، برقم ٩٣٧، وأخرجه البيهقي في السنن، ٢/ ٢٩١، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٧.

٤- وهناك رياء بدني: كمن يظهر الصفار والنحول، ليُرِيَ الناس بذلك أنه صاحب عبادة قد غلب عليه خوف الآخرة. وقد يكون الرياء بخفض الصوت وذبول الشفتين ليدل الناس على أنه صائم.

٥- رياء من جهة اللباس أو الزي: كمن يلبس ثياباً مرقعة؛ ليقول الناس إنه زاهد في الدنيا، أو من يلبس لباساً معيناً يرتديه ويلبسه طائفة من الناس يعدهم الناس علماء فيلبس هذا اللباس ليقال عالم.

٦- الرياء بالقول: وهو على الغالب رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير، وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة والمجادلة والمناظرة، وإظهار غزارة العلم.

٧- الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول الصلاة والركوع والسجود، وإظهار الخشوع، والمراءاة في الصوم والحج والصدقة.

٨- الرياء بالأصحاب والزائرين: كالذي يتكلف أن يستزير عالماً؛ ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً، ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الدين يترددون عليه.

٩- الرياء بذم النفس بين الناس، ويريد بذلك أن يُرِيَ الناس أنه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به وهذا من دقائق أبواب الرياء.

١٠- ومن دقائق الرياء وخفاياه: أن يخفي العامل طاعته بحيث لا يريد أن يطّلع عليها أحدٌ ولا يُسَرَّ بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يسامحوه في البيع والشراء، فإن لم يجد ذلك وجد ألماً في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام

على الطاعة التي أخفاها.

١١- ومن دقائق الرياء أن يجعل الإخلاص وسيلة لما يريد من المطالب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «حُكِيَ أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت الحكمة من قلبه على لسانه. قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجر شيء فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك أخلصت للحكمة لم تخلص لله»(١)، وذلك أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل الحلم والحكمة، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم له، أو غير ذلك من المطالب. وهذا لم يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه؛ وإنما حصل هذا العمل لنيل ذلك المطلوب.

ثالثاً: أقسام الرياء:

الرياء أعاذنا الله منه أقسام ودركات ينبغي لكل مسلم أن يعرف هذه الأقسام؛ ليهرب منها وهي على النحو الآتي:

١- أن يكون العمل رياء محضاً، ولا يراد به إلا مراءاة المخلوقين كحال المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٢)، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، وهذا العمل لاشك في بطلانه وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، والعياذ بالله.

٢- أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء من أصله ـ أي من أوله إلى

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/٦٦، ومنهاج القاصدين ص ٢١٤-٢٢١، والإخلاص للعوايشة ص ٢٤، والإخلاص والشرك الأصغر للدكتور عبدالعزيز بن عبداللطيف ص ٩، والرياء لسليم الهلالي ص ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

آخره - فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً .

٣- أن يكون أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء أثناء العبادة فهذه العبادة لا تخلو من حالين :

(أ) أن لا يرتبط أول العبادة بآخرها ، فأولها صحيح بكل حال وآخرها باطل . مثال ذلك : إنسان عنده عشرون ريالاً يريد أن يتصدق بها ، فتصدق بعشرة خالصة لله ، ثم طرأ عليه الرياء في العشرة الباقية ، فالصدقة الأولى صحيحة مقبولة ، والثانية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص .

(ب) أن يرتبط أول العبادة بآخرها فلا يخلو الإنسان حينئذ من أمرين :

الأمر الأول: أن يكون هذا الرياء خاطراً ثم دفعه الإنسان ولم يسكن إليه ، وأعرض عنه وكرهه ، فإنه لا يضره بغير خلاف ، لقوله ﷺ : **«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلَّموا أو يعملوا»**[١] .

الأمر الثاني: أن يسترسل معه الرياء ويطمئن إليه ولا يدافعه ويحبه فتبطل جميع العبادة على الصحيح ؛ لأن أولها مرتبط بآخرها ، مثال ذلك من ابتدأ الصلاة مخلصاً بها لله تعالى ثم طرأ عليه الرياء في الركعة الثانية واسترسل معه إلى نهاية صلاته ، ولم يدافعه فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها[٢] .

٤- أن يكون الرياء بعد الانتهاء من العبادة[٣] .

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ١/ ١١٦ ، برقم ١٢٧ .

(٢) انظر : هذه الأقسام بالتفصيل في جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٧٩-٨٤ ، وفتح المجيد ص ٤٣٨ ، وفتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٩ .

(٣) انظر : فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٣٠ .

وأما إذا عمل المسلم العمل لله خالصاً ثم ألقى اللهُ الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك لم يضره ذلك، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجلِ يعمل العمل لله من الخير ثم يحمدهُ الناس عليه، فقال: **«تلك عاجل بُشْرَى المؤمن»**(١).

رابعاً: أسباب الرياء ودوافعه:

أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، ومن غلب على قلبه حُبّ هذا صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتردد إليهم، والمراءاة لهم ولايزال في أقواله وأفعاله وتصرفاته ملتفتاً إلى كل ما يعظِّم منزلته عند الناس، وهذا أصل الداء والبلاء، فإن من رغب في ذلك احتاج إلى الرياء في العبادات، واقتحام المحظورات. وهذا باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله، العارفون به، المحبون له.

وإذا فُصِّل هذا السبب والمرض الفتاك رجع إلى ثلاثة أصول:

١- حب لذّة الحمد والثناء والمدح.
٢- الفرار من الذم.
٣- الطمع فيما في أيدي الناس(٢).

ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**(٣).

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ٤/ ٢٠٣٤، برقم ٢٦٤٢.
(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه ص ٢٢١-٢٢٢.
(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ٣/ ٢٧٢، =

فقوله «يقاتل شجاعة» أي ليذكر ويشكر ويمدح ويثنى عليه.

وقوله «يقاتل حمية» أي يأنف أن يغلب ويقهر أو يذم.

وقوله «يقاتل رياءً» أي ليُرىٰ مكانه وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب.

وقد يرغب الإنسان في المدح ولكنه يحذر من الذم كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر، لئلا يذم، وقد يفتي الإنسان بغير علم حذراً من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك إلى الرياء وتدعو إليه فاحذرها!

○ **المسلك الرابع: طرق تحصيل الإخلاص وعلاج الرياء:**

قد عُرِفَ أن الرياء محبط للعمل، وسبب لغضب الله ومقته، وأنه من المهلكات، وأشد خطراً على المسلم من المسيح الدجال.

ومَن هذه حاله فهو جدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته وعلاجه، وقطع عروقه وأصوله. ومن هذا العلاج الذي يزيل الرياء ويحصِّل الإخلاص بإذن الله تعالى مايلي :

١- معرفة أنواع الرياء، ودوافعه، وأسبابه ثم قطعها وقلع عروقها وتقدمت هذه الدوافع والأسباب.[1]

٢- معرفة عظمة الله تعالى، بمعرفة: أسمائه، وصفاته، وأفعاله معرفةً صحيحةً مبنية على فهم الكتاب والسنة، على مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإن العبد إذا عرف أن الله وحده هو الذي ينفع ويضر، ويعز

= برقم ٢٨١٠، ومسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ٣/ ١٥١٢، برقم ١٩٠٤.

(١) انظر: ص ١٢٢.

ويذل، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إذا عرف ذلك وعلم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له فسيُثمرُ ذلك إخلاصاً وصدقاً مع الله. فلابد من معرفة أنواع التوحيد كلها معرفة صحيحة سليمة.

٣- معرفة ما أعده الله في الدار الآخرة من نعيم وعذاب، وأهوال الموت، وعذاب القبر؛ فإن العبد إذا عرف ذلك وكان عاقلاً هرب من الرياء إلى الإخلاص.

٤- الخوف من الرياء المحبط للعمل؛ فإن من خاف أمراً بقي حَذِراً منه فينجو؛ ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة. فينبغي للمرء بل يجب عليه إذا هاجت رغبته إلى آفة حب الحمد والمدح أن يُذَكِّرَ نفسه بآفات الرياء، والتعرض لمقت الله. ومن عرف فقر الناس وضعفهم استراح كما قال بعض السلف: «جاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك، واحرص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم، وعلمهم بها أو غفلتهم عنها واقنع بعلم الله وحده»[١].

وبالله وحده ثم بالخوف من حبوط العمل نجا أهل العلم والإيمان من الرياء وحبوط العمل، فعن محمد بن لبيد رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزئ الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[٢].

---

(١) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر ص ١٥.
(٢) أحمد في المسند ٥/ ٤٢٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٤٥.

ولهذا الخطر العظيم خاف الصحابة والتابعون وأهل العلم والإيمان من هذا البلاء الخطير، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

(أ)- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[1] ، قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله: أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم، ويتصدق، ويصلي وهو يخاف ألاّ يُتقبَّل منه»[2] .

(ب) قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه وما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[3] .

(ج) وقال إبراهيم التيميُّ: «ما عرضتُ قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّبًا»[4] .

(د) ويُذكر عن الحسن أنه قال: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمِنه إلا منافق»[5] .

(هـ) وقال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: «نشدتك بالله هل سمّاني لك رسول الله ﷺ منهم - يعني من المنافقين - قال: لا.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٢) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي في العمل، ٢/ ١٤٠٤، برقم ٤١٩٨، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، بابٌ: ومن سورة «المؤمنون»، ٥/ ٣٢٧، برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٦٢، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٤٠٩.

(٣) البخاري معلقاً مجزوماً به، قال ابن حجر: وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه. انظر: فتح الباري ١/ ١١٠.

(٤) البخاري مع الفتح معلقاً ومجزوماً به. قال ابن حجر: وصله المصنف في التاريخ. انظر: فتح الباري ١/ ١١٠.

(٥) البخاري مع الفتح، وقال ابن حجر: وصله جعفر الفريابي في كتاب صفة المنافقين، وصححه. انظر: الفتح ١/ ١١١.

ولا أزكي بعدك أحداً»[1] .

(و) ويُذكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق» قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: «أن ترى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع»[2] .

(ز) ويُذكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «لئن أستيقن أن الله تقبَّل لي صلاة واحدة أحب إلـيَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾»[3] .

(ك) وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، يُسأل أحدهم عن المسألة، ما منهم رجل إلا ودَّ أن أخاه كفاه»[4] .

٥- الفرار من ذم الله؛ فإن من أسباب الرياء الفرار من ذم الناس، ولكن العاقل يعلم أن الفرار من ذم الله أولى؛ لأن ذمه شين، كما قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن مدحي زين وذمي شين. فقال ﷺ: «ذاك الله»[5] ، ولاشك أن العبد إذا خاف الناس وأرضاهم بسخط الله سخط الله عليه وغضب وأسخط الناس عليه. فهل أنت تخشى غضب الناس؟ فالله أحق أن تخشاه إن كنت صادقاً.

٦- معرفة ما يفر منه الشيطان؛ لأن الشيطان منبع الرياء وأصل البلاء، والشيطان يفر من أمور كثيرة، منها: الأذآن، وقراءة القرآن،

---

(١) ابن كثير بنحوه، في البداية والنهاية ٥/ ١٩، وانظر: صفات المنافقين لابن القيم ص ٣٦.
(٢) ذكره ابن القيم في صفات المنافقين ص ٣٦.
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٤١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والآية من سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٤) الدرامي في سننه ١/ ٥٣، وابن المبارك في الزهد، ١/ ١٤٠، برقم ٤٩.
(٥) أحمد في المسند ٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٤، من حديث الأقرع بن حابس رضي الله عنه، وإسناده حسن، ورواه الترمذي وحسنه برقم ٣٢٦٣.

وسجود التلاوة، والاستعاذة بالله منه، والتسمية عند الخروج من البيت والدخول في المسجد مع الذكر المشروع في ذلك، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات، وجميع الأذكار المشروعة(١) .

٧- الإكثار من أعمال الخير والعبادات غير المشاهدة، وإخفاؤها: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، والله عز وجل يحب العبد التقي الخفي، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»(٢) .

٨- عدم الاكتراث بذم الناس ومدحهم؛ لأن ذلك لا يضر ولا ينفع، بل يجب أن يكون الخوف من ذم الله، والفرح بفضل الله ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾(٣) ، فيا عبدالله أقبل على حب المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة فإذا استقام لك ذلك سَهُل عليك الإخلاص(٤) .

ويسهِّلُ الزهد في حب المدح والثناء: العلم يقيناً أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده، فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذمِّ من لا يشينك ذمهُ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمن فقد الصبر واليقين كان كمن أراد السفر في البحر بغير مركب(٥) .

---

(١) انظر التفصيل في ذلك: كتاب مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة لسليم الهلالي، وهو مهم جداً، والإخلاص لحسين العوايشة ص ٥٧-٦٣ .
(٢) مسلم، كتاب الزهد، ٤/ ٢٢٧٧، برقم ٢٩٦٥ .
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨ .
(٤) الفوائد لابن القيم ص ٦٧ .
(٥) انظر: الفوائد لابن القيم ص ٢٦٨ .

وانظر إلى من ذمك فإن يك صادقاً قاصداً النصح لك فاقبل هديته ونصحه فإنه قد أهدى إليك عيوبك، وإن كان كاذباً فقد جنى على نفسه وانتفعت بقوله؛ لأنه عرَّفك ما لم تكن تعرف وذكرك من خطاياك ما نسيت، وإن كان ذلك افتراءً عليك، فإنك إن خلوت من هذا العيب لم تخلُ من غيره، فاذكر نعمة الله عليك إذا لم يطلع هذا المفتري على عيوبك، وهذا الافتراء كفارات لذنوبك إن صبرت واحتسبت، وعليك أن تعلم أن هذا الجاهل جنى على نفسه وتعرض لمقت الله تعالى، فكن خيراً منه: فاعف واصفح، واستغفر له ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٩- تذكر الموت وقصر الأمل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2]، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

١٠- الخوف من سوء الخاتمة، فعلى العبد أن يخاف أن تكون أعمال الرياء هي خاتمة عمله ونهاية أجله فيخسر خسارة فادحة عظيمة؛ لأن الإنسان يبعث يوم القيامة على ما مات عليه، والناس يبعثون على نياتهم، وخير الأعمال خواتمها.

١١- مصاحبة أهل الإخلاص والتقوى؛ فإن الجليس المخلص لا يعدمك الخير وتجد منه قدوة لك صالحة، وأما المرائي والمشرك فيحرقك في نار جهنم إن أخذت بعمله.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

١٢- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وقد علّمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال بعض الصحابة: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه»[1].

١٣- حب العبد ذكر الله له وتقديم حب ذكره له على حب مدح الخلق ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[3]، والله المستعان[4].

١٤- عدم الطمع فيما في أيدي الناس؛ فإن الإخلاص لا يجتمع في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما في أيدي الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس مما في أيدي الناس، ويسهِّل ذبح الطمع العلم يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٣، وإسناده جيد، وغيره، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ٨/ ٢١٦، برقم ٧٤٠٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله، ٤/ ٢٠٦١، برقم ٢٦٧٥.

(٤) انظر: ما تقدم في منهاج القاصدين ص ٢٢١-٢٢٣، . وكتاب الإخلاص لحسين العوائشة ص ٤١-٦٤، والرياء ذمه وأثره السيء في الأمة لسليم الهلالي ص ٦١-٧٢، والإخلاص والشرك الأصغر ص ١٣.

خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتي العبد منها شيئاً سواه[١] .

١٥- معرفة ثمرات الإخلاص وفوائده وعواقبه الحميدة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك أن الإخلاص سبب لنصر الأمة، والنجاة من عذاب الله، ورفع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة، والسلامة من الضلال في الدنيا، والفوز بحب الله للعبد وحب أهل السماء والأرض، والصيت الطيب، وتفريج كروب الدنيا والآخرة، والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق، وتحمل المتاعب والمصاعب، وتزيين الإيمان في القلوب، واستجابة الدعاء، والنعيم في القبر والتبشير بالسرور، والله الموفق سبحانه[٢] .

فالمسلم الذي يريد رضى الله، والفوز بنجاته ومحبة الله له، عليه أن يعمل جاهداً في تحصيل الإخلاص والفرار من الرياء، أسأل الله أن يعصمني وإياك وجميع دعاة المسلمين وأئمتهم وعامتهم من هذا البلاء الخطير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

---

(١) انظر : الفوائد لابن القيم ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) انظر : كتاب الإخلاص للعوايشة ص ٦٤-٦٦ .

المبحث الرابع: نور الإسلام وظلمات الكفر

المطلب الأول: نور الإسلام

○ **المسلك الأول: مفهوم الإسلام:**

الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، أما في الشرع، فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله: أصوله وفروعه: من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله، فتبين بذلك أن الإسلام عند إطلاقه مفرداً: هو الاعتراف باللسان، والاعتقاد بالقلب، والاستسلام لله في جميع ما قضىٰ وقدَّر، كما ذُكِرَ عن إبراهيم ﷺ في قوله[1] ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وكقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5].

فظهر أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

الحالة الثانية: أن يطلق الإسلام مقترنا بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، وبه يحقن الدم سواء حصل معه

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة «سلم» ص ٤٢٣، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٠٤، ومعارج القبول، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ٢/ ٥٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

الاعتقاد أو لم يحصل معه[١]؛ كقوله تعالى: ﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾[٢].

○ **المسلك الثاني: مراتب دين الإسلام:**

لاشك أن أصول الدين التي يجب على كل مسلم معرفتها والعمل بها ثلاثة: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ. فالإسلام هو الأصل الثاني من أصول الدين، وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة من هذه المراتب لها أركان على النحو الآتي:

أولاً: مرتبة الاسلام وأركانه خمسة: شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً؛ لقول النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام: «**الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»[٣]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»[٤].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة «سلم» ص ٤٢٣، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٩٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ١/ ٣٧، برقم ٨، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس»، ١/ ٩، برقم ٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، ١/ ٤٥، برقم ١٦، وانظر: ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عبدالوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم، ص ٢٥ و ٤٧، فقد ذكر لكل ركن من هذه الأركان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة.

ثانياً: مرتبة الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وأركانه ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(١).

ثالثا: مرتبة الإحسان، وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإحسان فقال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**(٢)، ولا شك أن معنى الإحسان في اللغة: إجادة العمل وإتقانه، وإخلاصه، وفي الشرع: هو ما فسره النبي ﷺ بقوله: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** والمقصود أنه ﷺ فسر الإحسان بتحسين الظاهر والباطن، وأن يستحضر قرب الله عز وجل، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، ويوجب النصح في العبادة بتحسينها، وبذل الجهد في إتمامها، وإكمالها(٣)، ولأهمية الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع: تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى، وتارة مقروناً بالعمل، فالمقرون بالإيمان كقول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟

---

(١) تقدم تخريجه، في ص ١٤٠.

(٢) تقدم تخريجه، في ص ١٤٠.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٢٦، ومعارج القبول، لحافظ الحكمي، ٢/ ٦١١، وثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبدالوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم ص ٦٢ وص ٦٥، فقد ذكر لجميع أركان الإيمان، وركن الإحسان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة لكل ركن.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١] ، والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[٢] ، وقوله: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ ﴾[٣] والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٤] وقد يذكر مفرداً كقوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾[٥] وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة[٦] ، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حالِ عبادته، فكان جزاءُ ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة[٧] .

○ المسلك الثالث: ثمرات الإسلام ومحاسنه

الإسلام له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج كريمة، منها ما يأتي:

١ ـ الإسلام الصحيح يثمر كل خير في الدنيا والآخرة.

٢ ـ أعظم أسباب الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٨] .

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ١/ ١٦٣، برقم ١٨٠.

(٧) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٢٦.

(٨) سورة النحل، الآية: ٩٧.

٣ ـ الإسلام يخرج الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام والإيمان.

٤ ـ الإسلام يغفر الله به جميع الذنوب والسيئات؛ لقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾[1]، وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في قصة إسلامه، قال: (فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك، فَلأُبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: **«مالك ياعمرو؟»** قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: **«تشترط بماذا؟»** قلت: أن يُغفَرَ لي، قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**[2].

٥ ـ إذا أحسن المسلم الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في كفره، لقول النبي ﷺ لرجل سأله: **«إذا أحسنت في الإسلام لم تُؤاخذ بما عملت في الجاهلية، وإذا أسأت في الإسلام أُخذت بالأول والآخر»**[3].

٦ ـ الإسلام يجمع الله به للعبد حسناته في الكفر والإسلام؛ لحديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: قلت: يارسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، من: صدقة، وعتاق، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: **«أسلمت على ما سلف لك من خير»**[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله، ١/ ١١٢، برقم ١٢١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ٣٧٩، وصححه أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند ٥/ ٣٠٩، برقم ٣٥٩٦.

(٤) البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، ٢/ ١٤٦، برقم ١٤٣٦، ورقم ٢٢٢٠، ٢٥٣٨، و٥٩٩٢.

٧ ـ الإسلام يدخل الله به الجنة، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن رسالته، وعن الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وهذه أركان الإسلام، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: **«لئن صدق ليدخلن الجنة»**[1].

٨ ـ سبب في النجاة من النار، فقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»**)[2].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**[3].

٩ ـ الفلاح والفوز العظيم من ثمرات الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه»**[4].

١٠ ـ الإسلام يضاعف الله به الحسنات، فعن أبي هريرة رضي الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، ١/ ٤١، برقم ١٢، وانظر: حديث رقم ١٣، في الكتاب نفسه.

(٢) البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/ ١١٨، برقم ١٣٥٦.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، بابٌ: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، برقم ٣٠٦٢، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٥/ ٨٩، برقم ٤٢٠٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ١/ ١٠٥، برقم ١١١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، ٢/ ٧٣٠، برقم ١٠٥٤.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقى الله»(١).

١١ـ يكون العمل القليل كثيراً بالإسلام الصحيح؛ ولهذا قال النبي ﷺ لرجل جاء إليه مقنع بالحديد، فقال: يارسول الله، أُقاتلِ أو أسلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلِم ثم قاتل»، فأسلم ثم قاتل فقُتِلَ فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلاً وأُجر كثيراً»(٢).

١٢ـ الخير كله في الإسلام، ولا خير في العرب ولا في العجم إلا بالإسلام، وقد ثبت في الحديث: «أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام»(٣).

١٣ـ الإسلام يثمر الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها»(٤).

١٤ـ الإسلام يشرح الله به صدر صاحبه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١/ ١١٨، برقم ١٢٩.

(٢) متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه، البخاري كتاب الجهاد والسير، بابٌ: عمل صالح قبل الجهاد، ٣/ ٣٧١، برقم ٢٨٠٨، واللفظ له، ومسلم كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥٠٩، برقم ١٩٠٠.

(٣) أحمد في المسند، ٣/ ٤٧٧، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٣٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، ٤/ ٢١٦٢، برقم ٢٨٠٨.

يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[١] .

١٥ـ الإسلام يثمر النور لصاحبه في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] .

١٦ـ الإسلام يجعل لصاحبه المكانة العالية عند الله عز وجل، فقد ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»[٣] .

١٧ـ الإسلام الكامل يثمر لصاحبه حلاوة الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[٤] ، وعن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً**»[٥] .

١٨ـ الإسلام صراط الله المستقيم، ومن سلكه كان من الفائزين،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٢ .

(٣) الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ٤/ ١٦، برقم ١٣٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٥٦ .

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، ١/ ١٣، برقم ٢١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ١/ ٦٦، برقم ٤٣ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن، ١/ ٦٢، برقم ٣٤ .

فعن النوّاس بن سمعان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجُّوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبوابَ قال: ويلك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»(١)، زاد الترمذي: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٢).

١٩ـ من رضي بالإسلام ديناً أرضاه الله في الدنيا والآخرة، فقد جاء عن النبي ﷺ: «من قال حين يمسي وحين يصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ثلاث مرات إلا كان حقاً على الله أن يرضيه»(٣).

٢٠ـ الإسلام هو الدين الذي كمله الله ورضيه فختم به الأديان، قال الله سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(٤).

---

(١) أحمد في المسند، ٤/ ١٨٢، ١٨٣، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٧٣، والترمذي، في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، ٥/ ١٤٤، برقم ٢٨٥٩، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ١ ,٦٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٣) أحمد في المسند، ٤/ ٣٦٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٦٨، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٥١٨، وأبو داود برقم ٥٠٧٢، والترمذي برقم ٣٣٨٩، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار ص٣٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

٢١ـ الإسلام يأمر بكل خير وصلاح وينهى عن كل شر وضرر، فما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد إليها، ولا خير إلا دلَّ عليه، ولا شر إلا حذر عنه: فهو يأمر بتوحيد الله والإيمان به، ويحث على العلم والمعرفة، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال والأفعال، وبالبر والصلة والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب وجميع الخلق، وينهى عن الكذب، والظلم، والقسوة، والعقوق، والبخل، وسوء الخلق، ويأمر بالوفاء، وينهى عن الغدر، والغش، ويأمر بالنصح، والاجتماع، والتآلف، والتحابب والإنفاق، وينهى عن التعادي والتباغض والافتراق، والمعاملات السيئة، وأكل المال بالباطل، ويأمر بأداء الحقوق، وينهى عن ضدها، ويأمر بكل معروف وطيِّب ونافع ومستحسن شرعاً وعقلاً وفطرة، وينهى عن كل فاحشة ومنكر وخبيث شرعاً وعقلاً وفطرة، ويأمر بالتعاون على البر والتقوى، وينهى عن التعاون على الإثم والعدوان، والتعلق بالمخلوقين والعمل لأجلهم، ويأمر بعبادة الله وحده، ويحفظ الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، وهذا الدين صالح لكل زمان، ومكان، ولكل أمة، ونبي هذا الدين محمد ﷺ هو أعلى الخلق في كل صفة كمال إنساني، ولذلك صار سيد الخلق ﷺ[1] .

٢٢ـ اختص الإسلام بخصائص عظيمة كريمة، منها:

أ) الإسلام من عند الله، قال الله عز وجل يمدح نبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2] .

ب) شامل لجميع نظم الحياة وسلوك الإنسان شمولاً تاماً.

---

(١) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين، للسعدي، ص٢٢.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

جـ) عام لكل مكلف من الجن والإنس في كل زمان ومكان، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[١] .

د) والإسلام من حيث الثواب والعقاب ذو جزاء أخروي بالإضافة إلى جزائه الدنوي .

هـ) الإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني، وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام .

و) الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٢] ، وهذه خصائص جميلة[٣] .

○ المسلك الرابع: نواقض الإسلام:

نواقض الإسلام كثيرة وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض[٤] .

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى[٥] ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣ .
(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص١١٧ .
(٤) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد ابن عبدالوهاب ص ٢٧، ص ٢٨ .
(٥) انظر: تعريف الشرك في ص ٧٩ من هذا الكتاب .

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٢] ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، فقد كفر إجماعاً .

الثالث: من لم يكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ـ كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ـ فهو كافر .

ويدخل في هذا الناقض : من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام ، أو أنها مساوية لها ، أو أنه يجوز التحاكم إليها ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين ، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى ، ويدخل فيه أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر ، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة ؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة : كالزنا ، والخمر ، والربا ، والحكم بغير شريعة الله

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٦ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .

فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[١].

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٤]، قال طاووس وعطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[٥]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله»[٦]. وقال رضي الله عنه: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر. ومن أقر به ولم يحكم: فهو ظالم فاسق»[٧]. والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتداً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية. والأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه من الملة؛ ولهذا فصَّل العلماءُ

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز ١/ ١٣٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٧.
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨، وانظر: تفسير الطبري ١٠/ ٣٥٥-٣٥٨.
(٦) تفسير ابن جرير ١٠/ ٣٥٦.
(٧) المرجع السابق ١٠/ ٣٥٦.

القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله تعالى :

قال سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله تعالى : «من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع :

١- من قال أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية فهو كافر كفراً أكبر .

٢- ومن قال أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية ، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز ، فهو كافر كفراً أكبر .

٣- ومن قال أنا أحكم بهذا ، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز ، فهو كافر كفراً أكبر .

٤- ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز ويقول : الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها ولكنه متساهل أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر»[1] .

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً ، أو عامله فاسقاً ، وبين تسميته مسلما وجريان أحكام المسلمين عليه ؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً ، ولا كل ما يسمى كفراً ، وظلماً ، يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته ؛ وذلك لأنَّ كلاً من الكفر ، والشرك ، والظلم ، والفسوق ، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين :

---

(١) حدثنا بهذا الشيخ عبدالعزيز بن باز وهو مسجل في شريط في مكتبتي الخاصة ، وانظر : فتاوى سماحته ١/١٣٧ ، وانظر : التفصيل ومتى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أكبر : كتاب «نواقض الإيمان القولية والعملية» ، للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف ص ٣١١-٣٤٣ ، وص ٢٤٩-٣٤٣ .

(أ) أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين.

(ب) أصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه منه. فكفر دون كفر، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصراً عليه ولا يخلده في النار، بل يخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[١].

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٢].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٣].

السابع: السحر ومنه الصرف[٤]، والعطف[٥]، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[٦].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٤٢٣.
(٢) سورة محمد، الآية: ٩.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.
(٤) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.
(٥) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه فيحبه بطرق شيطانية.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

الثامن: مظاهرة[١] المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] .

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[٣] ، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عاقبته[٤] .

* * *

(١) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٢ .

(٤) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: أحمد ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب رحمهما الله ص ٢٧، ٢٨، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ٣٨٧، ومجموعة فتاوى ابن باز ١/ ١٣٥ .

المطلب الثاني: ظلمات الكفر

○ المسلك الأول: مفهوم الكفر:

أولاً: الكفر: بالفتح: الستر والتغطية يقال: كفر الزارع البذر في الأرض: إذا غطاه بالتراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُوراً وكفراناً: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّمٍ: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ. وكَافِرٌ: جاحدٌ لأَنْعُمِ الله تعالى[1].

فالكفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضد المسلم، والمرتد: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شك، وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول ﷺ والتزامه والعمل به جملة وتفصيلاً[2]. والكفر هو: أول ما ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر[4] والكفر كفران:

(أ) كفر يخرج من الملة، وهو «الكفر الأكبر».

(ب) كفر لا يخرج من الملة، وهو «الكفر الأصغر» أو كفر دون كفر[5].

ثانياً: الإلحاد: إلحاد ولحود، ولحد القبر كمنع، وألحده، عمل له

---

(١) القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط ص ٧٩١.

(٢) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للسعدي رحمه الله ص ١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٤) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ص ٥.

(٥) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام، أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب ص ٦.

لحداً، والميت دفنه وإليه مال كالتحد. وألحد مال، وعدل، وماري، وجادل[١] ويلاحظ أن المعاجم الحديثة استعملت كلمة إلحاد، وفسرتها بأنها الكفر. وفَهمُ المفسرين لمادة «لحد» في القرآن الكريم، يمكن تلخيصه في أنه الميل عن دين الله إلى درجة الكفر، وفسروا الإلحاد في سورة الحج، بأنه أي معصية في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا قيست بغيرها في مكان آخر كانت شديدة جداً[٢] .

قال فضيلة الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله: «الإلحاد هو الميل عن الحق والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويلات ولذا سمي لحد القبر لحداً، لميله عن وسطه إلى أحد جوانبه. فالمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه بالتأويل الفاسد وإبداء التشكيك، يسمى ملحداً. . . وأول الناس إلحاداً المشركون الذين اشتقوا لآلهتهم من أسماء الله. كاللات، والعزى، ومن الإل الذي هو الإلـه. . . ثم كل من ألحد في أسمائه وصفاته وصرفها عن ظاهرها. . . فهو ملحد»[٣] .

○ المسلك الثاني: أنواع الكفر:

أولاً: الكفر الأكبر المخرج من الملة، وهو خمسة أنواع[٤] :

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾[٥] .

---

(١) القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال، والمعجم الوسيط ص ٨١٧.
(٢) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي ص ٢١.
(٣) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبدالرحمن الدوسري ص ٤٠.
(٤) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٣٥-٣٣٨
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[2].

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[3].

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[4].

ثانياً: كفر أصغر لا يخرج من الملة:

وهو كفر النعمة: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[5]، والله المستعان[6].

ومما يدل من السنة على الكفر الذي لا يخرج من الملة، قوله ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٥-٣٨.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(٦) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ ابن تيمية رحمهما الله ص ٦.

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١) ، وقوله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»(٢) ، وقوله ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها . فقد كفر بما أنزل على محمد»(٣) ، ونظائر ذلك كثيرة .

وهذا النوع لا يبطل الإسلام ولكن ينقصه ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصي، كالزنا ولكن لا يستحلها فهذا تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح وإن شاء غفر له(٤) .

ثالثاً: الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر:

١- الكفر الأكبر يخرج من الملة والأصغر لا يخرج من الملة .

٢- الكفر الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر لا يحبطها لكنه ينقصها .

٣- الكفر الأكبر يخلد في النار والأصغر لا يخلد، وهذا إذا دخلها فإن الله قد يعفو عنه .

٤- الكفر الأكبر يبيح الدم والمال والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال .

٥- الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر

---

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن، ٧/ ١١٠، برقم ٦٠٤٤، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ١/ ٨١، برقم ٦٤ .

(٢) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ٧/ ١٢٦، برقم ٦١٠٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، ١/ ٧٩، ٦٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/ ٤٠٨، وصححه الألباني في آداب الزفاف ص ٣١ .

(٤) انظر : فتاوى سماحة العلامة ابن باز ٤/ ٢٠ و ٤٥ .

فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما معه من الإيمان، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من العصيان[١] .

○ المسلك الثالث: خطورة التكفير:

الذي ينبغي أن نؤصله هنا : أن الحكم بالكفر على إنسان ما حكم خطير، لما يترتب عليه من آثار، هي غاية في الخطر، منها :

١- إنه لا يحل لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرق بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن .

٢- إن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنه لا يؤتمن عليهم، ويُخشى أن يؤثر عليهم بكفره، وبخاصة أن عودهم طري؛ وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله .

٣- إنه فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والردة البواح .

٤- إنه يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي؛ لينفذ فيه حكم المرتد، بعد أن يستتاب وتزال من ذهنه الشبهات وتقام عليه الحجة .

٥- إنه إذا مات على ردته لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فقلا يُغسل، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما إنه لا يرث إذا مات مورث له قبله .

٦- إنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم. وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير أحدٍ من المسلمين، أن يتريث مرات ومرات

(١) انظر : كتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح الفوزان ص ١٥ .

قبل أن يقول ما يقول[١] .

٧- إنه لا يُدعىٰ له بالرحمة ولا يستغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٢] ، قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «الكفر حق الله ورسوله فلا كافر إلا من كفره الله ورسوله»[٣] .

○ **المسلك الرابع: أصول المكفرات:**

أولاً: الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام ولا انتسبوا للإيمان بمحمد ﷺ من: أميين، ومشركين، وأهل كتاب، من: يهود ونصارى، ومن: مجوس، وعبدة أوثان، ودهريين، وفلاسفة. . . وغيرهم من أصناف الكفار، فهؤلاء الجنس، دل الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، على كفرهم، وشقائهم، وخلودهم في النار، وتحريم الجنة عليهم، ولا فرق بين عالمهم وجاهلهم، وأُميهم، وكتابيِّهم وعوامِّهِمْ وخواصِّهِمْ، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

النوع الثاني: الذين ينتسبون لدين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ، ثم يصدر منهم ما يناقض هذا الأصل، ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام وأنهم من أهله، **فهؤلاء لتكفيرهم أسباب** متعددة

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ٦/ ٤٩، وقد قرأتُ هذه المسائل على معالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان، في ٢٠/ ٦/ ١٤١٧، فأقرها جزاه الله خيراً.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .

(٣) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ص ١٩٨ .

ترجع كلها إلى تكذيب الله ورسوله، وعدم التزام دينه ولوازم ذلك[١] .

ثانياً: جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف. قال سماحة العلامة إمام علماء هذا العصر، عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله ورفع درجاته: «**العقيدة الإسلامية لها قوادح وهذه القوادح قسمان:** قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافراً نعوذ بالله، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

القسم الأول: القوادح المكفرة:

نواقض الإسلام هي الموجبة للرِّدَّة هذه تسمى نواقض، والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شَكّاً.

فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقادٍ يعتقده، أو بشكٍ يطرؤ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذَكَرَها أهل العلم في كتبهم وسَمَّو بابها: «**باب حكم المرتد**»، فكلُّ مذهبٍ من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيهٍ من الفقهاء أَلَّف كُتُباً ـ في الغالب ـ عندما يذكر الحدود ـ يذكر باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، وهذا مرتد، يعني أنَّه رَجَع عن دين الله وارتدَّ عنه، قال فيه النبي ﷺ: «**من بدَّل دينَهُ فاقتلوه**» خرَّجه البخاري في «الصحيح»[٢] .

وفي «الصحيحين»[٣] أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن،

---

(١) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق والأسباب، للسعدي، ص ١٩١-١٩٣.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب: لا يعذب بعذاب الله، ٤/ ٢٧، برقم ٣٠١٧.

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: البخاري، كتاب استتابة المرتدين، ٨/ ٦٤، برقم ٦٩٢٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة، ٣/ ١٤٥٦، برقم ١٧٣٣.

ثم أَتْبَعَهُ معاذ بن جبل، فلما قَدِمَ عليه قال: انزل، وألقى له وسادة، وإذا رجلٌ عنده مُوثَق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديًّا فأسلم ثم راجع دينه ـ دين السَّوء ـ فتهوَّد، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس، نعم، قال: لا أجلس حتَّى يقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به فَقُتِل.

فدلَّ ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل، إذا لم يتب، يستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصر على كفره وضلاله يُقْتَل، ويُعجَّل به إلى النار لقوله ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه»[1].

١- الرّدة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها قولٌ، مثل: سبِّ الله: هذا قولٌ ينقض الدين، وسب الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسبّ لله ولرسوله، أو العيب، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إنَّ الله بخيل، إنَّ الله فقير، إنَّ الله ـ جل وعلا ـ لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور كُلُّ هذه الأقوال رِدَّةٌ عن الإسلام.

من انْتقص الله أو سبَّه أو عابه بشيء فهو كافر مرتدٌ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ هذه ردةٌ قولية، إذا سبَّ الله أو استهزأ به أو تنقَّصه أو وصفه بأمرٍ لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السيئة.

أو قال مثلًا: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، هذه ردة عن الإسلام،

(١) رواه البخاري (٣٠١٧)، وتقدم تخريجه ص١٦١.

من قال إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتدَّ عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلاً بعيداً عن المسلمين لا يعرف، فيُعلَّم، فإنْ أصرَّ كَفَر.

وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدِّين، فإن قال: ليست الصلاة بواجبة؛ فهذه رِدَّة، يستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتِل.

أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، **أو قال**: صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كَفَر إجماعاً، ويستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل ـ نعوذ بالله ـ. وهذه الأمور ردَّةٌ قولية:

٢- الرّدة بالفعل:

والردة الفعلية: مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي، وإن قال: إنها واجبة ـ لكن لا يصلي ـ هذه ردَّة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العَهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تَرَكَها فقد كفر**» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح[1]، وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**» أخرجه مسلم في «صحيحه»[2].

وقال شَقِيقُ بن عبدالله العُقَيليّ التابعي المتفق على جلالته ـ رحمه الله ـ: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة»

---

(١) المسند ٥/ ٣٤٦، وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، ٥/ ١٤، برقم ٢٦٢١، وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، ١/ ٢٣١، ٢٣٢، برقم ٤٦٣، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١/ ٣٤٢، برقم ١٠٧٩، من حديث بريدة رضي الله عنه، وانظر صحيح الترمذي ٣/ ٣٢٩.

(٢) كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ١/ ٨٨، برقم ٨٢.

رواه الترمذي[1] وإسناده صحيح .

وهذه ردةٌ فعلية ، وهي ترك الصلاة عمداً .

ومن ذلك : لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به ، أو لطَّخه بالنجاسة عمداً ، أو وطأه بقدمه يستهين به ، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام .

ومن الردة الفعلية : كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك ، أو يصلي لهم أو للجن . وهذه رِدَّةٌ فعلية .

أما دعاؤه إيَّاهم والاستعانة بهم والنذر لهم : فردَّة قولية .

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله فهو بدعةٌ قادحةٌ في الدِّين ، لا يكون رِدَّة إنما يكون بدعة قادحة في الدين ، إذا لم يقصد التقرب إليه بذلك . وإنما فعل ذلك تقرباً إلى الله سبحانه جهلاً منه .

ومن الكفر الفعلي : كونه يذبح لغير الله ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح ، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبُدُهم بها ، أو للجنِّ يعبدهم بها ، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك ، وهذا ما أُهِلَّ به لغير الله ، فيكون ميتةً ، ويكون كفراً أكبر ـ نسأل الله العافية ـ . هذه كلُّها من أنواع الردة عن الإسلام والنواقض الفعلية .

٣- الرّدة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردة العقدية : التي يعتقدُها بقلبه وإن لم يتكلم ولم يفعل ـ بل بقلبه يعتقد ـ إذا اعتقد بقلبه أنَّ الله جل وعلا فقيرٌ أو أنه بخيل أو أنه ظالم ، ولو أنه ما تكلم ، ولو لم يفعل شيئاً هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين .

---

(١) السنن ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في ترك الصلاة ، ٥/ ١٤ ، برقم ٢٦٢٢ .

أو اعتقد بقلبه أنه لا يُوجد بعثٌ ولا نشور وأن كلَّ ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جَنَّة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفرٌ ورِدَّةٌ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ وتكون أعمالُهُ باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه ـ ولو لم يتكلم ـ أنَّ محمداً ﷺ ليس بصادق، أو أنَّه ليس بخاتم الأنبياء، وأنَّ بعده أنبياء، أو اعتقد أنَّ مُسيلمة الكذَّاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد ـ بقلبه ـ أنَّ نوحاً أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبين أو أحداً منهم، فهذا ردةٌ عن الإسلام.

أو اعتقد أنَّه لا بأس أنْ يُدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مُرتداً عن الإسلام ـ لأن الله تعالى ـ يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3]، وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[4]، وقال: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٤) سورة الإسراء، جزء من الآية: ٢٣.
(٥) سورة غافر، جزء من الآية: ١٤.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

فمن زَعَم أو اعتقد أنَّه يجوزُ أَنْ يُعْبَدَ مع الله غيرُهُ من مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو شجرٍ، أو جنٍّ، أو غير ذلك فهو كافر وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإنْ فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، نسأل الله العافية.

ومما يدخل في هذا ما يفعله عُبَّاد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المَدَدِ منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي المَدَدَ المَدَدَ، يا سيدي الغوثَ الغوثَ، أنا بجوارك، اشفِ مريضي، ورُدَّ غائبي وأصلح قلبي.

يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء ويسألونهم هذا السؤال، نَسُوا الله وأشركوا معه غيره ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

فهذا كفرٌ قوليٌّ وعقديٌّ وفعليّ.

وبعضُهم ينادي من مكانٍ بعيد وفي أمصارٍ متباعدة: يا رسول الله انصرني... ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله اشفِ مريضي، يا رسول الله المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه انصرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القوليِّ العمليّ، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز وأنه لا بأس به صار شركاً قوليًّا وفعليًّا وعقديًّا، نسأل الله العافية.

٤- الرّدة بالشك:

عَرَضْنَا للرِّدَّة التي تكون بالقول، والردة في العمل، والردة في العقيدة، أما الردة بالشك فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ أم لا؟...

أنا شاكٌّ، هذا كافرٌ كُفْرَ شكٍّ، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حقٌ أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حقٌ أم لا؟ . . . أنا لا أدري، أنا شاكٌّ؟ .

فمثلُ هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل كافراً لشكِّه فيما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة وبالنَّصِّ والإجماع .

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حقٌ، أو هل الرسول حقٌ، وهل هو صادقٌ أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين، أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي ـ الذي ادَّعى النبوة في اليمن ـ كاذبٌ أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها ردَّةٌ عن الإسلام يستتاب صاحبها ويبيَّن له الحق فإن تاب وإلاَّ قُتِل .

ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ والزكاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجبٌ أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجبٌ في العُمُرِ مَرَّةً أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر يستتاب صاحبها فإن تاب وآمن وإلاَّ قُتِلَ لقول النبي ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه» رواه البخاري في «الصحيح»[1] .

فلابُدَّ من الإيمان بأنَّ هذه الأمور ـ أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج كلها حق وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية[2] .

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضر إذا دفعها المؤمن ولم

---

(١) ورقمه (٣٠١٧)، وتقدم تخريجه في ص ١٦١ .

(٢) انظر: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ص ٢٧-٤٢، بتصرف يسير جداً.

يسكن إليها ولم تستقر في قلبه؛ لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[١] .

وعليه أن يعمل الآتي:

١- يستعيذ بالله من الشيطان.
٢- ينتهي عما يدور في نفسه[٢] .
٣- يقول آمنت بالله ورسله[٣] .

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبه معرضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافراً، مثل: أكل الربا، وارتكاب المحرمات: كالزنا، والبدع، إذا آمن بأن ذلك حرام، ولم يستحله، أما إذا اعتقد أن ذلك حلالٌ صار كافراً، وغير ذلك مثل الاحتفال بالمولد وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافاً للعقيدة، إلا إذا كان هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ، فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج عن الإسلام. ومن النوع الثاني كذلك التطيّر كما يفعل أهل الجاهلية وقد ردَّ الله عليهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[٤] . فالطيرة شرك دون كفر... وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج،

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ١/ ١١٦.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٤/ ١١٠، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ١/ ١٢٠، برقم ١٣٤.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، ١/ ١١٩، برقم ١٣٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٧.

قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(١) ، انتهى ملخصاً(٢) .

○ **المسلك الخامس: آثار الكفر وأضراره:**

الكفر له آثار خطيرة، وأضرار جسيمة، منها ما يأتي:

١ ـ شر الدنيا والآخرة من أضرار الكفر وآثاره.

٢ ـ الكفر يسبب لصاحبه الضلال، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾(٣) .

٣ ـ الكفر الأكبر لا يغفره الله لمن مات عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾(٤) .

٤ ـ الكفر أعظم أسباب الخزي والعار، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٥) .

٥ ـ يوجب الله لصاحبه النار، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾(٦) .

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ٣/ ٢٢٢، برقم ٢٦٩٧. ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ومحدثات الأمور، ٣/ ١٣٤٤، برقم ٧١٨.

(٢) القوادح في العقيدة للعلامة ابن باز وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام ١٤٠٣هـ، وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة، ثم طبعت والحمد لله تعالى في عام ١٤١٦هـ، بعنوان: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، اعتنى بنشرها وعرضها على مؤلفها: خالد بن عبدالرحمن الشايع جزاه الله خيراً.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

٦ ـ يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٢)، وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾(٤).

٧ ـ يوجب الخلود في النار، قال الله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٥).

٨ ـ يسبب الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾(٦).

٩ ـ أعظم أسباب غضب الله وأليم عقابه، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٧).

١٠ ـ الكفر يجعل صاحبه أضيق الناس صدراً، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٨).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.
(٧) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

١١ـ الكفر يطبع على القلب، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١] .

١٢ـ الكفر الأكبر يبيح الدم والمال عن طريق الجهاد أو عن طريق ولاة أمر المسلمين.

١٣ـ الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب.

١٤ـ الكفر الأصغر ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي[٢] .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٢) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز، ٤/ ٢٠، ٤٥.



المبحث الخامس: نور الإيمان وظلمات النفاق

المطلب الأول: نور الإيمان

○ **المسلك الأول: مفهوم الإيمان:**

أولاً: مفهوم الإيمان: لغة واصطلاحاً:

الإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[1] أي بمصدق لنا.

وحقيقة الإيمان: أنه مركب من قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب: وهو النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله عز وجل، والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧.

عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان[١] .

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «الإيمان . . . التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله»[٢] .

ثانياً: الفرق بين الإيمان والإسلام:

في الشرع: أن الإيمان على حالتين: الحالة الأولى: أن يطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذٍ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣] وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: «إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان».

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام، وحينئذٍ يفسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٣٧٣، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٨٧-٥٩١، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٣٤، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٠٠، ٣٤١.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص ٩، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٤١، وفتاوى ابن تيمية، ٧/ ٥٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾(١) ويفسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة كالنطق بالشهادتين والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال(٢)، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾(٣) الآية، فالإيمان والإسلام إذا افترقا اجتمعا، وإن اجتمعا افترقا، وذلك كالفقير والمسكين، إذا أفرد أحدهما تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كان لكل واحد مسمى يخصه(٤).

○ المسلك الثاني: طرق تحصيل الإيمان وزيادته:

الإيمان كمال العبد وبه ترتفع درجاته في الدنيا والآخرة، وهو السبب والطريق لكل خير عاجل وآجل، ولا يحصل ولا يقوى ولا يتم إلا بمعرفة ما منه يستمد؛ فإنه يحصل ويقوى ويزيد بأمور كثيرة، منها:

أولاً: معرفة أسماء الله الحسنى، الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥)، وقال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**»(٦)، أي من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد لله

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٧.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٧/ ١٣-١٥، و ٥٥١-٥٥٥، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٩٧-٦٠٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٧/ ٥٥١، ٥٧٥-٦٢٣، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٠٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، ٣/ ٢٤٢، برقم ٢٧٣٦، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤/ ٢٠٦٣، واللفظ له.

بها، دخل الجنة، فَعُلِمَ أن ذلك أعظم ينبوع الإيمان، ومادة لحصوله، وقوته، وثباته؛ ومعرفة أسماء الله عز وجل: هي أصل الإيمان، وتتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلـهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، بلا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف[١].

ثانياً: تدبر القرآن على وجه العموم، فإن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه ما يزداد به إيماناً، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، إذا فعل ذلك تيقن أنه من عند الله، وهذا من أعظم مقويات الإيمان[٢].

ثالثاً: معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعوا إليه من علوم الإيمان، وأعماله، كل ذلك من محصلات الإيمان ومقوياته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ازداد إيمانه ويقينه.

رابعاً: معرفة النبي ﷺ ومعرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة؛ فإن من عرفه حق المعرفة لم يَرْتَبْ في صدقه وصدق ما جاء به من الكتاب والدين الحق.

خامساً: التفكر في الكون: في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات؛

(١) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للعلامة السعدي، ص ٤٠.
(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٢٨، والتوضيح والتبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٤١.

فإن ذلك داع قويٌّ للإيمان؛ لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدالة على قدرة خالقها، وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام، والإحكام، الذي يحير العقول، وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء، والافتقار إلى الله والتضرع إليه في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان ويقوى. وكذلك التفكر في كثرة نعم الله العامة والخاصة التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين.

سادساً: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو العبادة؛ فإن الذكر يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها، ويقويها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، ويكون الذكر على كل حال: باللسان، والقلب، والعمل، والحال؛ فنصيب العبد من الإيمان على قدر نصيبه من هذا الذكر.

سابعاً: معرفة محاسن الإسلام؛ فإن الدين الإسلامي كله محاسن: عقائده أصح العقائد، وأصدقها، وأنفعها، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها، وبهذا النظر يزين الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه، فيجد حلاوة الإيمان، فيتجمل الباطن بأصول الإيمان، وحقائقه، ويتجمل الظاهر بأعمال الإيمان.

ثامناً: الاجتهاد في الإحسان في عبادة الله عز وجل، والإحسان إلى خلقه؛ فيجتهد الإنسان في عبادة الله كأنه يشاهده، فإن لم يقوَ على ذلك استحضر أن الله يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، وكذلك

الإحسان إلى الخلق : بالقول والفعل، والمال، والجاه، وأنواع المنافع، فإذا أحسن عبادة الخالق، وأحسن إلى خلقه، وواظب على ذلك قوي إيمانه، ويقينه، ويصل ذلك إلى حق اليقين، الذي هو أعلا مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات، ويجد ثمرة المعاملات، وهذا هو الإيمان الكامل .

تاسعاً: الاتصاف بصفات المؤمنين؛ من الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها، وأداء الزكاة، والإعراض عن اللغو الذي هو كل كلام لا خير فيه، وكل فعل لا خير فيه، بل يقول المسلم الخير ويفعله، ويترك الشر قولاً وفعلاً، لاشك أن ذلك كله يزيد الإيمان، ويقوِّيه، وكذلك العفة عن الفواحش، ورعاية الأمانات والعهود، وحفظها من علامات الإيمان .

عاشراً: الدعوة إلى الله وإلى دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصلِ الدين، والتزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك يُكمِّل العبد نفسه ويكمِّل غيره .

الحادي عشر: الابتعاد عن شعب الكفر والنفاق، والفسوق والعصيان؛ فإنه لابد في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له، ولابد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق، وهي الإقلاع عن المعاصي، والتوبة مما يقع منها، وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات، ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له، والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان .

الثاني عشر: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وتقديم ما يحبه الله على كل ما سواه عند غلبة الهوى .

الثالث عشر: الخلوة بالله وقت نزوله؛ لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

الرابع عشر: مجالسة العلماء الصادقين المخلصين؛ والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر[1].

○ المسلك الثالث: ثمرات الإيمان وفوائده:

الإيمان له فوائد وثمرات لا تعد ولا تحصى، فكم له من ذلك في القلب، والبدن، والراحة، والحياة الطيبة، والدنيا والآخرة، ومجملها أن خيرات الدنيا والآخرة، ودفع الشرور كلها من ثمرات الإيمان، ومن هذه الثمرات والفوائد ما يلي:

أولاً: الاغتباط بولاية الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[3] أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر.

ثانياً: الفوز برضا الله، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ١٧، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٤٠-٦٢.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، فنالوا رضوان الله ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة، بإيمانهم الذي كملوا به أنفسهم، وكملوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحصلوا على أعظم الفوز والفلاح.

ثالثاً: الإيمان الكامل يمنع من دخول النار، والإيمان الضعيف يمنع من الخلود فيها، فإن من آمن إيماناً أدى به جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فإنه لا يدخل النار، كما أنه لا يخلد في النار من كان في قلبه شيء من الإيمان.

رابعاً: إن الله يدافع عن الذين آمنوا جميع المكاره، وينجيهم من الشدائد، قال الله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[2] أي يدافع عنهم كل مكروه، وشر شياطين الإنس والجن، ويدافع عنهم الأعداء، ويدافع عنهم المكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخففها بعد نزولها، قال الله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]،

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١-٧٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧-٨٨.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٣.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[2] ، أي من كل ما ضاق على الناس ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[3] فالمؤمن المتقي ييسر الله له أموره، وييسره لليسرى، ويجنبه العسرى، ويسهل عليه الصعاب، ويجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وشواهد هذا كثيرة من الكتاب والسنة.

خامساً: الإيمان يثمر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4] ، وذلك أن من خصائص الإيمان أنه يثمر طمأنينة القلب، وراحته، وقناعته، بما رزقه الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة: راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح[5] ، والحياة الطيبة تشمل: الرزق الحلال الطيب، والقناعة، والسعادة، ولذَّة العبادة في الدنيا، والعمل بالطاعة والإنشراح بها[6] .

قال الإمام ابن كثير: «والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله»[7] ،

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٥) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٦٨.
(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٥٦٦.
(٧) المرجع السابق، ٢/ ٥٦٦.

قال النبي ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»(١)، وقال ﷺ: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها»(٢).

سادساً: إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها؛ من الإيمان والإخلاص، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾(٣)، أي لا يجحد سعيه ولا يضيع عمله، بل يضاعف بحسب قوة إيمانه، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(٤)، والسعي للآخرة، هو العمل بكل ما يقرب إليها من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ.

سابعاً: صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم، ويهديه في الصراط المستقيم إلى علم الحق، والعمل به، وإلى تلقي المحاب والمسار بالشكر، وتلقي المكاره والمصائب بالرضا والصبر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾(٥)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يحتمل أن تكون الباء هنا سببية، فتقديره: أي بحسب إيمانهم في الدنيا، يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم،

---

(١) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، ٢/ ٧٣٠، برقم ١٠٥٤.

(٢) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، ٤/ ٢١٦٢، برقم ٢٨٠٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩، وانظر: سورة الحج، الآية: ٥٤، وانظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٧٠.

حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة، ويحتمل أن تكون للاستعانة»، كما قال مجاهد: «يهديهم ربهم بإيمانهم» قال: «يكون لهم نوراً يمشون به»[1]، وقيل: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نوراً من بين يديه، حتى يدخله الجنة[2].

ثامناً: الإيمان يثمر محبة الله للعبد ويجعل محبته في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون حصلت له السعادة، والفلاح، والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين: من الثناء الحسن، والدعاء له حياً وميتاً، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[3].

تاسعاً: حصول الإمامة في الدين، وهذا من أجل ثمرات الإيمان، أن يجعل الله للمؤمنين الذين كملوا إيمانهم بالعلم والعمل لسان صدق، ويجعلهم أئمة يهدون بأمره، ويقتدى بهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ لأن رأس الإيمان وكماله: الصبر واليقين.

عاشراً: حصول رفع الدرجات، قال الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[5] فهم أعلا الخلق درجة عند الله، وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح، وعلمهم ويقينهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٩٠.
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٥/ ٢٧، وأسنده إلى قتادة.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١.

الحادي عشر: حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع الوجوه، كما قال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] ، فأطلقها ليعم الخير العاجل والآجل، وقيدها في مثل قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[(٢)] ، فلهم البشارة المطلقة والمقيدة، ولهم الأمن المطلق في الدنيا والآخرة في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(٣)] ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٤)] ، فنفى عنهم الخوف لما يستقبلونه، والحزن مما مضى، وبذلك يتم لهم الأمن، فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة، وله البشارة بكل خير[(٥)] .

الثاني عشر: يحصل بالإيمان الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته، ويمشي به يوم القيامة، ففي الدنيا: يسير بنور علمه وإيمانه، وإذا طفئت الأنوار يوم القيامة مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم، وكذلك رتب الله المغفرة على الإيمان، ومن غفر سيئاته سلم من العقاب، ونال أعظم الثواب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٦)] .

الثالث عشر: حصول الفلاح والهدى للمؤمنين بسبب إيمانهم، قال

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣، وسورة التوبة، الآية: ١١٢، وسورة يونس، الآية: ٨٧، وسورة الأحزاب، الآية: ٤٧، وسورة الصف، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٨.
(٥) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٧٧-٨٨.
(٦) سورة الحديد، الآية ٢٨، وانظر: سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

الله عز وجل بعد ذكره إيمان المؤمنين بما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على من قبله، والإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1]، فهذا هو الهدى التام والفلاح الكامل، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح إلا بالإيمان التام.

الرابع عشر: الانتفاع بالمواعظ من ثمرات الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]، وهذا؛ لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق، واتباعه، علماً وعملاً، ومعه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق ولا من العمل به.

الخامس عشر: الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء، وكسب الخير في كل أوقاته، قال الله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾[4]، ولو لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يسلي صاحبه عن المصائب والمكاره التي كل أحد عرضة لها في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسلٍّ عنها؛ قال النبي ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراءُ شكر، فكان خيراً له، وإن**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١١.

أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له»[١] ، والشكر والصبر هما جماع كل خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته، رابح في كل حالاته، ويجتمع له عند النعم والسراء، نعمتان: نعمة حصول المحبوب، ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلا من ذلك، وبذلك تتم عليه النعمة، ويجتمع له عند حصول الضراء ثلاث نعم: نعمة تكفير السيئات، ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلا من ذلك، ونعمة سهولة الضراء عليه؛ لأنه متى عرف حصول الأجر، والثواب، والتمرن على الصبر هانت عليه المصيبة[٢] .

السادس عشر: الإيمان الصحيح يدفع الريب والشك، ويقاوم ويقطع جميع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضرهم في دينهم، وليس لعلل الشكوك التي تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء دواء إلا تحقيق الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[٣] .

وعلاج هذه الوساوس بأربعة أمور:

١- الانتهاء عن هذه الوساوس الشيطانية.
٢- الاستعاذة من شر من ألقاها وهو الشيطان.
٣- الاعتصام بعصمة الإيمان فيقول: «آمنت بالله».
٤- الانتهاء عن التفكير فيها[٤] .

السابع عشر: الإيمان بالله عز وجل ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم: من سرور وحزن، وخوف وأمن، وطاعة ومعصية، وغير ذلك من الأمور

---

(١) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، ٤/ ٢٢٩٥، برقم ٢٩٩٩.
(٢) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص ٧١، و٨٨.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.
(٤) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٨٣.

التي لابد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان، فيحمدون الله، ويثنون عليه، ويستعملون النعم فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان من جهات عديدة: يتسلون بإيمانهم وحلاوته، ويتسلون بما يترتب على ذلك، من الثواب، ويقابلون الأحزان والقلق براحة القلب، والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان، ويلجؤون إلى الإيمان عند الخوف، فيطمئنون إليه ويزيدهم إيماناً، وثباتاً، وقوة، وشجاعة، ويضمحل الخوف الذي أصابهم، كما قال الله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

الثامن عشر: الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[2]، ومن وقع منه ذلك؛ فلضعف إيمانه، وذهاب نوره، وزوال الحياء من الله، وهذا معروف مشاهد، والإيمان الصحيح الصادق، يصحبه الحياء من الله، والحب له، والرجاء القوي لثوابه، والخوف من عقابه، ورغبته في اكتساب النور، وهذه الأمور تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل شر.

التاسع عشر: خير الخليقة قسمان هم أهل الإيمان، فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن**

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣-١٧٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، ٣/١٤٦، برقم ٢٤٧٥، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، ١/٧٦، برقم ٥٧.

مثل الأترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[١] ، فالناس أربعة أقسام:

القسم الأول: خير في نفسه، متعدٍ خيره إلى غيره، وهو خير الأقسام، فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن وتعلم علوم الدين، فهو نافع نفسه، نافع لغيره، مبارك أينما كان.

القسم الثاني: طيب في نفسه صاحب خير وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره، فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم من الإيمان القاصر، والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

القسم الثالث: من هو عادم للخير، ولكنه لا يتعدى ضرره إلى غيره.

القسم الرابع: من هو صاحب شر على نفسه وعلى غيره، فهذا شر الأقسام.

فعاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه، وعاد الشر إلى فقد الإيمان والاتصاف بضده[٢] .

العشرون: الإيمان يثمر الاستخلاف في الأرض، قال الله عز وجل:
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، ١/ ٥٤٩، برقم ٧٩٧.
(٢) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص ٦٣-٩٠.

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١] .

الحادي والعشرون: الإيمان ينصر الله به العبد، قال الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

الثاني والعشرون: الإيمان يثمر للعبد العزة، قال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

الثالث والعشرون: الإيمان يثمر عدم تسليط الأعداء على المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[٤] .

الرابع والعشرون: الأمن التام والاهتداء، قال الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٥] .

الخامس والعشرون: حفظ سعي المؤمنين؛ قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[٦] .

السادس والعشرون: زيادة الإيمان للمؤمنين؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٧] .

السابع والعشرون: نجاة المؤمنين، قال الله عز وجل في قصة يونس: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨] .

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥ .
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧ .
(٣) سورة المنافقين، الآية: ٨ .
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤١ .
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢ .
(٦) سورة الكهف، الآية: ٣٠ .
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٤ .
(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨ .

الثامن والعشرون: الأجر العظيم لأهل الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

التاسع والعشرون: معية الله لأهل الإيمان، وهي المعية الخاصة: معية التوفيق والإلهام والتسديد، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

الثلاثون: أهل الإيمان في أمن من الخوف والحزن، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

الحادي والثلاثون: الأجر الكبير: قال الله عز وجل: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[4].

الثاني والثلاثون: الأجر غير الممنون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[5].

الثالث والثلاثون: القرآن إنما هو هدى ورحمة للمؤمنين[6]، وشفاء ورحمة[7] وهو لهم هدى وشفاء[8].

الرابع والثلاثون: أهل الإيمان: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[9].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٨.
(٦) انظر: سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٧) انظر: سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٨) انظر: سورة فصلت، الآية: ٢٤.
(٩) سورة الأنفال، الآية: ٤.

○ **المسلك الرابع: شعب الإيمان:**

الإيمان له شعب كثيرة، وهذا يدل على أن الإيمان إذا أفرد شمل الدين كله، وقد بين النبي ﷺ شعب الإيمان إجمالاً وتفصيلاً، أما الإجمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»**، وفي رواية: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[1]. وقد ذكر الإمام أبو بكر البيهقي سبعاً وسبعين شعبة من شعب الإيمان[2] وهذه الشعب باختصار على النحو الآتي:

١- الإيمان بالله عز وجل.

٢- الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

٣- الإيمان بالملائكة.

٤- الإيمان بالقرآن الكريم وجميع الكتب المنزلة.

٥- الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عز وجل.

٦- الإيمان باليوم الآخر.

٧- الإيمان بالبعث بعد الموت.

٨- الإيمان بحشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف.

٩- الإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة، ودار الكافرين ومأواهم النار.

١٠- الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل.

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم: البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ١/ ١٠، برقم ٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، ١/ ٦٣، برقم ٣٥.

(٢) ذكر ذلك في سبعة مجلدات، وشرحها شرحاً نفيساً بالأحاديث بسنده.

١١- الإيمان بوجوب الخوف من الله عز وجل[1] .

١٢- الإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل .

١٣- الإيمان بوجوب التوكل على الله عز وجل .

١٤- الإيمان بوجوب محبة النبي ﷺ .

١٥- الإيمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ، وتبجيله، وتوقيره بدون غلو .

١٦- حب المرء لدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر .

١٧- طلب العلم: وهو معرفة الله، ودينه، ونبيه ﷺ بالأدلة من الكتاب والسنة .

١٨- نشر العلم، وتعليمه للناس .

١٩- تعظيم القرآن الكريم: بتعلمه، وتعليمه، وحفظ حدوده، وأحكامه وعلم حلاله، وحرامه، وتبجيل أهله، وحفظه[2] .

٢٠- الطهارة والمحافظة على الوضوء .

٢١- المحافظة على الصلوات الخمس .

٢٢- أداء الزكاة .

٢٣- الصيام: الفرض والنفل .

٢٤- الاعتكاف .

٢٥- الحج[3]

٢٦- الجهاد في سبيل الله عز وجل .

٢٧- المرابطة في سبيل الله عز وجل .

٢٨- الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف .

---

(١) هذه الشعب في المجلد الأول من شعب الإيمان للبيهقي، ١/ ١٠٣-٤٦٣ .

(٢) هذه الشعب من رقم ١٢-١٩ . في المجلد الثاني من شعب الإيمان للبيهقي، ٢/ ٣-٥٤٨ .

(٣) هذه الشعب من رقم ٢٠-٢٥، في المجلد الثالث من شعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ٣-٤٩٤ .

٢٩- أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو نائبه على الغانمين.
٣٠- العتق بوجه التقرب إلى الله عز وجل.
٣١- الكفارات الواجبة بالجنايات، وهي في الكتاب والسنة أربع: كفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المسيس في صوم رمضان.
٣٢- الإيفاء بالعقود.
٣٣- تعديد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها.
٣٤- حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه.
٣٥- حفظ الأمانات ووجوب أدائها إلى أهلها.
٣٦- تحريم قتل النفس، والجنايات عليها.
٣٧- تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف.
٣٨- قبض اليد عن الأموال المحرمة، ويدخل فيها: تحريم السرقة، وقطع الطريق، وأكل الرشاء، وأكل ما لا يستحقه شرعاً[1].
٣٩- وجوب التورع في المطاعم والمشارب، واجتناب ما لا يحل منها.
٤٠- ترك الملابس والزي والأواني المحرمة والمكروهة.
٤١- تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة.
٤٢- الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل.
٤٣- ترك الغل والحسد.
٤٤- تحريم أعراض الناس وما يلزم من ترك الوقوع فيها.
٤٥- إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء.
٤٦- السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة.
٤٧- معالجة كل ذنب بالتوبة النصوح.

---

(١) هذه الشعب من رقم ٢٦-٣٨، في المجلد الرابع من شعب الإيمان للبيهقي، ٤/ ٣-٣٩٨.

٤٨- القرابين وجملتها: الهدي، والأضحية، والعقيقة[1] .
٤٩- طاعة أولي الأمر.
٥٠- التمسك بما عليه الجماعة.
٥١- الحكم بين الناس بالعدل.
٥٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥٣- التعاون على البر والتقوى.
٥٤- الحياء.
٥٥- بر الوالدين.
٥٦- صلة الأرحام.
٥٧- حسن الخلق.
٥٨- الإحسان إلى المماليك.
٥٩- حق السادة على المماليك.
٦٠- القيام بحقوق الأولاد والأهلين.
٦١- مقاربة أهل الدين، وموادتهم، وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم.
٦٢- رد السلام.
٦٣- عيادة المريض[2] .
٦٤- الصلاة على من مات من أهل القبلة.
٦٥- تشميت العاطس.
٦٦- مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم.
٦٧- إكرام الجار.
٦٨- إكرام الضيف.

---

(١) هذه الشعب من رقم ٣٩-٤٨، في المجلد الخامس من شعب الإيمان للبيهقي، ٥/ ٣-٤٨٥.
(٢) هذه الشعب من رقم ٤٩-٦٣، في المجلد السادس من شعب الإيمان للبيهقي، ٦/ ٣-٥٤٧.

٦٩- الستر على أصحاب الذنوب .
٧٠- الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .
٧١- الزهد وقصر الأمل .
٧٢- الغيرة وترك المذاء .
٧٣- الإعراض عن الغلو .
٧٤- الجود والسخاء .
٧٥- رحمة الصغير وتوقير الكبير .
٧٦- إصلاح ذات البين .
٧٧- أن يحب المرء لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق، المشار إليه في الحديث[١] .

○ المسلك الخامس: صفات المؤمنين:

المؤمنون لهم صفات كريمة وأعمال عظيمة وصفهم الله بها وأثنى عليهم ومن هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أولاً: قال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢] .

وقد ظهر في هذه الآيات صفات عظيمة من صفات المؤمنين وهي :

١- طاعة الله ورسوله ﷺ .

٢- خوف الله ورهبته وخشيته عز وجل .

---

(١) هذه الشعب من رقم ٦٤-٧٧، في المجلد السابع من شعب الإيمان للبيهقي، ٧/ ٣-٥٤٠ .
(٢) سورة الأنفال، الآيات : ١-٣ .

٣- زيادة الإيمان عند سماع القرآن، لتدبرهم له.

٤- التوكل والاعتماد على الله عز وجل مع العمل بالأسباب.

٥- إقام الصلاة: من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة والباطنة.

٦- الإنفاق الواجب: كالزكوات، والكفارات، والنفقة على من تجب نفقته، والصدقة في طريق الخير.

ثانياً: قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ففي هذه الآية صفات عظيمة اتصف بها المؤمنون وهي:

١- موالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم.

٢- الأمر بالمعروف، وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه: من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.

٣- النهي عن المنكر، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه: من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

٤- إقام الصلاة بأعمالها الظاهرة والباطنة، من فرض ونفل.

٥- إعطاء الزكاة لأهلها بأصنافهم الثمانية.

٦- طاعة الله ورسوله ﷺ وملازمة ذلك في جميع الأحوال.

ثالثاً: قال الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] .

فظهر في هاتين الآيتين صفات عظيمة من صفات أهل الإيمان وهي على النحو الآتي :

١- القتال في سبيل الله وبذل الجهد والطاقة في ذلك .

٢- التوبة من جميع الذنوب وملازمتها في جميع الأوقات .

٣- العبودية لله عز وجل بالقيام بجميع الواجبات ، والمستحبات ، والابتعاد عن جميع المحرمات والمكروهات في كل وقت ، فبذلك يكون العبد من العابدين .

٤- الحمد لله في السراء والضراء والثناء عليه بنعمه والاعتراف بالنعم الظاهرة والباطنة .

٥- السياحة في السفر بطلب العلم ، والحج والعمرة ، والجهاد ، وصلة الأقارب ونحو ذلك ، كصيام النفل المشروع .

٦- الإكثار من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود .

٧- الأمر بالمعروف ، ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات .

٨- النهي عن المنكر : ويدخل فيه كل ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ .

٩- تعلم حدود ما أنزل الله على رسوله وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام ، وما لا يدخل ، الملازمون لذلك فعلاً وتركاً .

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان ، ١١١-١١٢ .

رابعاً: قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، وهذه الصفات في هذه الآيات على النحو الآتي:

١- الخشوع في الصلاة وحضور القلب بين يدي الله عز وجل فيها.

٢- الإعراض عن اللغو الذي لا خير فيه، فإن من أعرض عن ذلك كان إعراضه عن المحرم من باب أولى.

٣- تأدية زكاة الأموال وتزكية النفوس من أدناس الأخلاق وذلك بتركها.

٤- حفظ الفروج عن الزنا وتجنب ما يكون وسيلة إلى ذلك: كالنظر، والخلوة، واللمس.

٥- حفظ الأمانات سواء كانت من حقوق الله أو حقوق العباد، والآية عامة.

٦- حفظ العهود والمواثيق بين العبد وبين الله وبين الإنسان وبين العباد.

٧- المحافظة على الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها

وغير ذلك من صفات المؤمنين في كتاب الله عز وجل، وأسأل الله عز وجل أن يوفقني وجميع المسلمين للاتصاف بهذه الصفات الكريمة.

* * *

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١-١١.

المطلب الثاني: ظلمات النفاق

○ المسلك الأول: مفهوم النفاق:

أولاً: مفهوم النفاق لغة وشرعاً:

النفاق: لغة: النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضب واليربوع، وقيل: النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، ونفق اليربوع ونفق «بالفتح» وانتفق، ونفق خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقاً ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق بالكسر، فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر[1]، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذارع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟[2].

والنفاق: شرعاً: كما قال ابن كثير رحمه الله: النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[3].

(١) النفاق وآثاره ومفاهيمه، تأليف الشيخ عبدالرحمن الدوسري ص ١٠٥-١٠٦.
(٢) مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤، برقم ٢٦٦٩.
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٤٨ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨]، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٢٦٨-٢٧٢.

والنفاق نوعان: أكبر يخرج من الملة، وأصغر لا يخرج من الملة[١] .

ثانياً: مفهوم الزنديق:

الزنديق: الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الزنديق في عرف الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمى في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأول؛ لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر، وغير الكافر، والمرتد وغير المرتد، ومن أظهر ذلك أو أسرَّه. وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار، والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والردة؛ فإن الله أخبر بزيادة الكفر، كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾[٣] ، وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر. كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾[٤] . فهذا أصل ينبغي معرفته، فإنه مهم في هذا الباب، فإن كثيراً ممن تكلم في «مسائل

---

(١) انظر: قضية التكفير، للكاتب، ص٦٨، ١٣٢-١٣٤ .
(٢) القاموس المحيط، فصل الزاى، باب القاف، ص ١١٥١ .
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٧.
(٤) سورة النحل، الآية: ٨٨.

الإيمان والكفر» لتكفير أهل الأهواء - لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن تدبر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمناً مخطئاً، جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ. وقد يكون منافقاً زنديقاً يظهر خلاف ما يبطن»[1] .

○ **المسلك الثاني: أنواع النفاق:**

النفاق: نفاقان: نفاق دون نفاق، أو نفاق مخرج من الملة، ونفاق لا يخرج من الملة[2] .

أولاً: النفاق الأكبر:

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار[3] .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض صور النفاق الأكبر فقال: «فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبدالله بن أُبي وغيره، بأن يظهر: تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب طاعته، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءَة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٧/ ٤٧١ .
(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٤٧-٣٥٩ .
(٣) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب رحمه الله تعالى ٢/ ٤٨٠، وانظر: صفات المنافقين، لابن القيم، ص٤ .

إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، ومازال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ. . . »[١] .

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: « . . . فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»[٢] .

فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان أنواعٌ أو صفاتٌ للنفاق الأكبر، وهي:

١- تكذيب الرسول ﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بغض الرسول ﷺ.

٤- بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

٧- عدم اعتقاد وجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به.

٨- عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر به.

وغير ذلك مما دل القرآن الكريم أو السنة المطهرة على أنه من النفاق الأكبر المخرج من ملة الإسلام[٣] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ٢٨/ ٤٣٤ .

(٢) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب ص ٧ .

(٣) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، للدكتور محمد بن عبدالله الوهيبي ٢/ ١٦٠ .

ثانياً: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحةً ويبطن ما يُخالف ذلك وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديث عبدالله بن عمر، وعائشة رضي الله عنهم وهي خمسة أنواع:

١- أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له.

٢- إذا وعد أخلف، وهو على نوعين:

(أ) أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعده وهذا أَشرُّ الخلف، ، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كذباً وخُلْفاً قاله: الأوزاعي.

(ب) أن يعد ومن نيته أن يفي ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.

٣- إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحقّ باطلاً، والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إلى الكذب.

٤- إذا عاهد غدر ولم يف بالعهد، والغدر حرام في كل عهدٍ بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهد كافراً.

٥- الخيانة في الأمانة، فإذا اؤتمن المسلم أمانة، فالواجب عليه أن يؤديها.

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كُلّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج؛ ولهذا قالت طائفة من السلف: خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع[1].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ٤٨٠-٤٩٥، فقد أعطى الموضوع حقه وذكر فوائد جمة فلتراجع. وانظر: مجموعة التوحيد ص ٧.

وهذا النفاق لا يخرج من الملة فهو «نفاق دون نفاق»؛ لحديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»[١]؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان**»[٢].

ثالثا: الفرق بين النفاق الأكبر والأصغر:

١- النفاق الأكبر يخرج من الملة والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة[٣].

٢- النفاق الأكبر يحبط جميع الأعمال.

٣- النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد[٤].

٤- النفاق الأكبر يخلد صاحبه في النار إذا مات عليه.

٥- النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٦- النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه[٥] وإذا تاب فقد اختلف

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١/ ١٧، برقم ٣٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ١/ ٧٨، برقم ٥٨.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١/ ١٦، برقم ٣٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ١/ ٧٨، برقم ٥٩.

(٣) انظر؛ كتاب التوحيد، للدكتور صالح الفوزان، ص١٨.

(٤) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص١٨.

(٥) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص١٨.

في توبته في الظاهر عند الحاكم؛ لكون ذلك لا يعلم إذْ هم دائماً يظهرون الإسلام[1] .

○ **المسلك الثالث: صفات المنافقين:**

المنافقون لهم صفات كثيرة، بينها الله عز وجل في كتابه الكريم، وبينها النبي ﷺ، ولاشك أن ذكر الله عز وجل لصفات المنافقين فيه فوائد عظيمة، منها:

١- نعمة الله عز وجل على المؤمنين بإخبارهم عن أحوال المنافقين وصفاتهم حتى يبتعدوا عنها.

٢- تهديد المؤمنين من سلوك مسالك المنافقين والتحذير من الاتصاف بصفاتهم.

٣- حض المؤمنين على الصدق مع الله وتصفية سرائرهم وإسلام وجوههم لله.

وصفات المنافقين كثيرة، منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] فظهر في هذه الآيات أن من صفات المنافقين هذه الخصال القبيحة:

١- يقولون ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ.

٢- يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟.

٣- فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ.

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٨-٢٠.

٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

٦- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى﴾ كبرائهم ورؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

٧- يشترون ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

ثانياً: قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1]
فظهر من صفات المنافقين في هذه الآيات ما يلي:

١- حسن القول المعجب الذي يكون له وقع في القلوب.

٢- توسيط الله بجعله شاهداً على هذا القول وموثقاً له وهذا من أعظم الجناية على الله عز وجل.

٣- المهارة في الجدل والقوة في الإقناع لقمع كل معارضة تقف أمامه.

٤- إذا اختفى عن الناس وذهب عنهم وانصرف اجتهد في عمل المعاصي التي هي فساد في الأرض.

٥- إذا أُمر بتقوى الله تكبر وأخذته العزة بالإثم، فجمع بين العمل بالجرائم والتكبر.

ثالثاً: قال الله عز وجل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٦.

لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[١] ، فمن صفات المنافقين في هاتين الآيتين ما يلي :

١- أنهم يوالون الكفار ويحبونهم وينصرونهم .

٢- يعتزون بالكفار ويستنصرون بهم .

رابعاً: قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[٢] ، فظهر في هاتين الآيتين أن من صفات المنافقين ما يلي :

١- يخادعون الله وهو خادعهم .

٢- إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى .

٣- يراؤن الناس بأعمالهم .

٤- لا يذكرون الله إلا قليلاً .

٥- مترددون بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

خامساً: قال الله تعالى في شأن المنافقين : ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۞ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٣] ، فظهر في هاتين الآيتين صفات قبيحة من صفات المنافقين هي :

١- وصفهم الله بالفسق فقال : ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ .

٢- كفروا بالله وبرسوله .

---

(١) سورة النساء، الآيتان : ١٣٨-١٣٩ .

(٢) سورة النساء، الآيتان : ١٤٢-١٤٣ .

(٣) سورة التوبة، الآيتان : ٥٣-٥٤ .

٣- لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى.

٤- لا ينفقون إلا وهم كارهون.

وفي هذه الصفات غاية الذم للمنافقين ولمن فعل فعلهم، فينبغي لكل أحد أن يبتعد عن الفسق، ويؤمن بالله ورسوله ﷺ، ويأتي الصلاة وهو نشيط البدن والقلب، وينفق وهو منشرح الصدر ثابت القلب يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

سادساً: قال الله عز وجل: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[1]، فالمنافقون يستهزئون بالله ورسوله، والمؤمنين، وقد فضحهم الله عز وجل وبين صفاتهم للمؤمنين.

سابعاً: قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[2]، فظهر في هاتين الآيتين بعض صفات المنافقين:

١- المنافقون بعضهم من بعض: يتولى بعضهم بعضاً.

٢- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤-٦٦.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٧-٦٨.

٣- يقبضون أيديهم عن الصدقة وطرق الإحسان فهم من أبخل الناس .

٤- نسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلاً فنسيهم من رحمته فلا يوفقهم لخير .

٥- إن المنافقين هم الفاسقون .

ثامناً: قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1] فالمنافقون ظهر لهم صفات في هاتين الآيتين منها :

١- يلمزون المطوعين في الصدقات : يلمزون المكثر في الصدقة فيقولون : قصد بنفقته الرياء ، والسمعة ، ويلمزون المقل الفقير فيقولون : إن الله غني عن صدقة هذا .

٢- السخرية بالمؤمنين .

٣- كفروا بالله ورسوله .

تاسعاً: قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[2] ، فالمنافقون إذا أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها وينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين ، ثم انصرفوا متسللين وانقلبوا معرضين فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم ، فكما انصرفوا عن العمل صرف الله قلوبهم وصدها عن الحق وخذلها بأنهم قوم لا يفقهون فقهاً ينفعهم ، فإنهم لو فقهوا ،

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٧٩-٨٠ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٧ .

لكانوا إذا أنزلت سورة آمنوا بها وانقادوا لأمرها[1] ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

عاشراً: قال النبي ﷺ : «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[4] ، فظهر في هذا الحديث صفتان من صفات المنافقين هما :

١ - تأخير الصلاة عن وقتها .

٢ - ينقر الصلاة ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً .

الحادي عشر: قال الرسول ﷺ: «إنَّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوها ولو حبواً. . .»[5] .

وهذه الصفات من باب الأمثلة ، وإلا فصفات المنافقين كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ص ٣١٣ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ .

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر ، ١/ ٤٣٤ ، برقم ٦٢٢ .

(٥) متفق عليه ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل صلاة العشاء في جماعة ، ١/ ١٨١ ، برقم ٦٥٨ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ، ١/ ٤٥١ ، برقم ٦٥١ .

فظهر أن صفات المنافقين إجمالاً على النحو الآتي :

١ ـ يدَّعون الإيمان وهم كاذبون .
٢ ـ يخادعون الله والذين آمنوا ما يخدعون إلا أنفسهم .
٣ ـ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .
٤ ـ يدَّعون الإصلاح وهم المفسدون .
٥ ـ يرمون المؤمنين بالسفه .
٦ ـ يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم .
٧ ـ يشترون الضلالة بالهدى .
٨ ـ قولهم حسن وهم ألد الخصام .
٩ ـ يُشهدون الله على ما في قلوبهم وهم كاذبون .
١٠ ـ ماهرون في الجدل بالباطل .
١١ ـ إذا اختفوا عن الناس اجتهدوا في الباطل .
١٢ ـ إذا قيل لهم اتقوا الله أخذتهم العزة بالإثم .
١٣ ـ يوالون الكفار وينصرونهم ويخدمونهم .
١٤ ـ يعتزون بالكفار ويستنصرون بهم .
١٥ ـ إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى .
١٦ ـ يراؤن الناس بأعمالهم .
١٧ ـ لا يذكرون الله إلا قليلاً .
١٨ ـ متردِّدُون بين الكفار والمؤمنين .
١٩ ـ يكفرون بالله ورسوله ﷺ .
٢٠ ـ المنافقون هم الفاسقون .
٢١ ـ لا ينفقون إلا وهم كارهون .

٢٢ـ المنافقون يتولى بعضهم بعضاً .
٢٣ـ يقبضون أيديهم فلا ينفقون في طرق الخير .
٢٤ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .
٢٥ـ نسوا الله فنسيهم .
٢٦ـ يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات .
٢٧ـ يؤخرون الصلاة عن وقتها .
٢٨ـ ينقرون الصلاة ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً .
٢٩ـ أثقل الصلوات عليهم العشاء والفجر .
٣٠ـ يتأخرون عن صلاة الجماعة .
٣١ـ قلوبهم قاسية وعقولهم قاصرة .
٣٢ـ لم يرضوا بالإسلام ديناً .
٣٣ـ يأخذون من الدين ما وافق رغباتهم .
٣٤ـ يقولون ما لا يفعلون .
٣٥ـ يظهرون الشجاعة في السلم وجبناء في الحرب .
٣٦ـ لا يتحاكمون إلى الله ورسوله ﷺ .
٣٧ـ يجدون الحرج والضيق في أنفسهم من حكم الله ورسوله ﷺ .
٣٨ـ يخذِّلون المؤمنين عن الجهاد .
٣٩ـ ييأسون من رحمة الله وينقطع أملهم في نصره .
٤٠ـ يقصدون بجهادهم الدنيا وإذا يئسوا من ذلك تثاقلوا .
٤١ـ يفجرون في المخاصمة .
٤٢ـ يحاربون الإسلام وأهله عن طريق الخفية والتسمِّي به .
٤٣ـ لا يهمهم إلا مصالحهم الذاتية .
٤٤ـ يطعنون في العلماء المخلصين بالكذب وتغيير الحقائق .

٤٥ـ يثيرون الشبهات حول الإسلام، ليصدوا الناس عن الدخول فيه.

٤٦ـ يبغضون أنصار الدين.

٤٧ـ يكذبون في الحديث.

٤٨ـ يخونون الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

٤٩ـ يخلفون الوعد.

٥٠ـ لكل واحد منهم وجهان: وجه للمؤمنين، ووجه لأعداء الدين.

٥١ـ لا يعقلون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، ولا ينظرون إلى آيات الله التي تدل على قدرته.

٥٢ـ تسبق يمين أحدهم كلامه لعلمه أن قلوب المؤمنين لا تطمئن إليه.

٥٣ـ قلوبهم عن الخير لاهية وأجسادهم إليه ساعية.

٥٤ـ أخبث الناس قلوباً وأحسنهم أجساماً.

٥٥ـ يُسِرُّون سرائر النفاق فأظهرها الله على وجوههم وألسنتهم.

٥٦ـ ينقضون العهد من أجل الدنيا.

٥٧ـ يسخرون بالقرآن الكريم.

فهذه صفات المنافقين فاحذرها أيها المسلم قبل أن تنزل بك القاضية.

○ المسلك الرابع: آثار النفاق وأضراره:

النفاق له آثار خطيرة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي:

١ ـ النفاق الأكبر يسبب الخوف والرعب في القلوب، قال الله عز وجل: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

٢ ـ النفاق الأكبر يوجب لعنة الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[٢].

٣ ـ النفاق الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام، لأنه إسرار الكفر وإظهار الخير، بل هو أشد من الكفر الظاهر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٣].

٤ ـ النفاق الأكبر لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه، لأنه أشد من الكفر الظاهر الذي قال الله تعالى في أصحابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[٤].

٥ ـ النفاق الأكبر يوجب لصاحبه النار ويُحرِّم عليه الجنة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[٥].

٦ ـ النفاق الأكبر يخلد صاحبه في النار فلا يخرج منها أبداً؛ لقول الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾[٦].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٠ ـ ٦١.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٠.
(٦) سورة التوبة، جزء من الآية: ٦٨.

٧ ـ النفاق الأكبر يسبب نسيان الله لصاحبه، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١] .

٨ ـ النفاق الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[٢] .

٩ ـ النفاق الأكبر يطفىء الله نور أصحابه يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[٣] .

١٠ ـ النفاق الأكبر يَحرِمُ العبد دعاء المؤمنين والصلاة عليه عند موته، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٤] .

١١ ـ النفاق الأكبر يسبب عذاب الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[٥] .

١٢ ـ النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتداً عن الإسلام

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧ .
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٥٣ ـ ٥٤ .
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٣ .
(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٤ .
(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٥ .

فيكون حلال الدم والمال وتطبق عليه أحكام المرتد، إلا أن قبول توبته عند الحاكم فيها خلاف في الظاهر؛ لأن المنافقين يظهرون الإسلام دائماً[1] . أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان والله يتولى السرائر[2] .

١٣ـ النفاق الأكبر إذا أظهر صاحبه كفره يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يوالونه ولو كان أقرب قريب، وأما إذا لم يظهر كفره فيعامل بالظاهر والله يتولَّى السرائر.

١٤ـ النفـاق الأصغـر، وهـو النفـاق العملـي، ينقـص الإيمـان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر من عذاب الله تعالى.

١٥ـ النفاق الأصغر صاحبه على خطر؛ لئلا يجره إلى النفاق الأكبر.

ونعوذ بالله من غضبه، ومن جميع أنواع النفاق صغيره وكبيره، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ٣٣٤.
(٢) انظر: المنافقون في القرآن، للدكتور عبدالعزيز الحميدي، ص ٤٥٠.

المبحث السادس: نور السنة وظلمات البدعة

المطلب الأول: نور السنة

○ **المسلك الأول: مفهومها:**

السنة لها أهل، ولهم عقيدة، واجتماع على الحق، فمن المناسب أن أذكر التعريف لهذه الكلمات الثلاث: «عقيدة أهل السنة والجماعة».

أولاً: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة لغة: كلمة «عقيدة» مأخوذة من العقد والربط، والشدِّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة، يقال: عقد الحبل يعقده: شده، ويقال: عقد العهدَ والبيع: شدّه، وعقد الإزارَ: شده بإحكام، والعقدُ: ضد الحل[1].

مفهوم العقيدة اصطلاحاً: العقيدة تطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرقُ إليه شكٌ، وهي ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به؛ فإن كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلالة[2].

ثانياً: مفهوم أهل السنة:

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم قبيحة[3]، وهي في

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الدال، فصل العين، ٣/ ٢٩٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال، فصل العين، ص ٣٨٣، ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب العين، ص ٦٧٩.

(٢) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ الدكتور ناصر العقل ص ٩-١٠.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، باب النون، فصل السين، ١٣/ ٢٢٥.

اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: علماً واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها ويُحمد أهلُها، ويُذمُّ من خَالَفها؛ ولهذا قيل: فلان من أهل السنة: أي من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة[١].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون: من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه؛ بأنه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله ﷺ، أو فُعِلَ في زمانه، أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه، لعدم المقتضى حينئذٍ لفعله، أو وجود المانع منه»[٣]، وبهذا المعنى تكون السنة: «اتباع آثار رسول الله ﷺ، باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»[٤].

ثالثاً: مفهوم الجماعة:

الجماعة في اللغة مأخوذة من مادة جمع وهي تدور حول الجمع والإجماع والاجتماع وهو ضد التفرق، قال ابن فارس رحمه الله: «الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضامّ الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً»[٥]،

---

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة، للدكتور ناصر العقل، ص ١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ١٢٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢١/ ٣١٧.

(٤) المرجع السابق، ٣/ ١٥٧.

(٥) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، كتاب الجيم، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله جيم، ص ٢٢٤.

والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: هم سلف الأمة: من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة[١].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»، قال نُعيم بن حماد: «يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة، قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ»[٢].

○ المسلك الثاني: أسماء أهل السُّنَّةِ وصِفَاتهم:

١ - أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه، وهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المُتَّبِعون لَهُمْ، وهم الذين استقاموا على الاتِّباع وابتعدوا عن الابتداع في أي مكان وفي أيِّ زمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة[٣]، وسمَّوا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ، واجتماعهم على الأخذ بها: ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد[٤]. فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقتِ النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة،**

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٦٨، وشرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف العلامة محمد خليل هراس، ص ٦١.

(٢) ذكره الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان، ١/ ٧٠، وعزاه إلى البيهقي.

(٣) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل، ص ١٣-١٤.

(٤) انظر: فتح رب البرية بتخليص الحموية، للعلامة محمد بن عثيمين ص ١٠، وشرح العقيدة الواسطية، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص ١٠.

واحدةٌ في الجنة واثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة»[١]، وفي رواية الترمذي عن عبدالله بن عمرٍو: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

٢- الفرقة الناجية: أي الناجية من النار، لأن النبي ﷺ استثناها عندما ذكر الفرق وقال: «كلها في النار إلا واحدة» أي ليست في النار[٣].

٣- الطائفة المنصورة: فعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةٌ بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[٤]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه نحوه[٥]، وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[٦]، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما نحوه[٧].

٤- المعتصمون المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان

---

(١) أخرجه ابن ماجه بلفظه، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ٢/ ٣٢١، برقم ٣٩٩٢، وأبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، ٤/ ١٩٧، برقم ٤٥٩٦، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة، ١/ ٣٢، برقم ٦٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٦٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ٥/ ٢٦، برقم ٢٦٤١.

(٣) انظر: من أصول أهل السنة والجماعة، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص ١١.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، ٤/ ٢٢٥، برقم ٣٦٤١، ومسلم بلفظه، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ٢/ ١٥٢٤، برقم ١٠٣٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، ٤/ ٢٢٥، برقم ٣٦٤٠، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ٢/ ١٥٢٣، برقم ١٩٢١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ٢/ ١٥٢٣، برقم ١٩٢٠.

(٧) صحيح مسلم، في الكتاب والباب السابقين، ٢/ ١٥٢٣، برقم ١٩٢٣.

عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[١]، أي هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

٥- **هم القدوة الصالحة الذين يهدون إلى الحق وبه يعملون**، قال أيوب السختياني رحمه الله: «إن من سعادة الحَدَث[٢] والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»[٣]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «إن لله عباداً يُحيي بِهِمُ البِلادَ وهم أصحاب السنة ومن كان يعقل مَا يَدخُلُ جَوْفَهَ من حله كان من حزب الله»[٤].

٦- **أهل السنة خيار الناس ينهون عن البدع وأهْلِها**، قيل لأبي بكر بن عياش من السني؟ قال: «الذي إذَا ذُكَرِتِ الأَهْوَاء لم يتعصب إلى شيء منها»[٥]، وذكر ابن تيمية رحمه الله: أن أهل السنة هم خيار الأمة ووسطها الذين على الصراط المستقيم: طريق الحق والاعتدال[٦].

٧- **أهل السنة هم الغرباء إذا فسد الناس**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»[٧]، وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاع[٨] من القبائل**»[٩]،

---

(١) وتقدم تخريجه ص ٢٢٠.
(٢) الحَدَث: الشاب. النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الحاء مع الدال، مادة: «حدث» ١/ ٣٥١.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ١/ ٦٦، برقم ٣٠.
(٤) المرجع السابق، ١/ ٧٢، برقم ٥١.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ١/ ٧٢، برقم ٥٣.
(٦) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٣/ ٣٦٨-٣٦٩.
(٧) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ١/ ١٣٠، برقم ١٤٥.
(٨) هو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته: أي بَعُدَ وغاب، والمعنى طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى. النهاية لابن الأثير، ٥/ ٤١.
(٩) المسند ١/ ٣٩٨.

وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير من يعصهم أكثر ممن يطيعَهُمْ»(١)، وفي رواية من طريق آخر: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»(٢)، فأهل السنة الغرباء بين جموع أصحاب البدع والأهواء والفرق.

٨- أهل السنة هم الذين يحملون العلم ويَحْزُنُ الناسُ لِفراقِهم:

أهل السنة هم الذين يحملون العلم وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ ولهذا قال ابن سيرين رحمه الله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فَيُنْظَرُ إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»(٣)، وأهل السنة هم الذين يحزن الناس لفراقهم؛ ولهذا قال أيوب السختياني رحمه الله: «إني أُخْبرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي»(٤)، وقال: «إن الذين يتمنون موتَ أهلَ السُّنَةِ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»(٥).

○ **المسلك الثالث: السنة نعمةٌ مطلقة:**

النعمة نعمتان: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة:

أولاً: النعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي: نعمة الإسلام، والسنة؛ فإن سعادة الدنيا والآخرة، مبنية على أركان ثلاثة: الإسلام،

---

(١) المسند ٢/ ١٧٧ و ٢٢٢.
(٢) مسند الإمام أحمد، ٤/ ١٧٣.
(٣) مسلم، في المقدمة، باب الإسناد من الدين، ١/ ١٥.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ١/ ٦٦، برقم ٢٩.
(٥) المرجع السابق، ١/ ٦٨، برقم ٣٥.

والسنة، والعافية في الدنيا والآخرة. ونعمة الإسلام والسنة هي النعمة التي أمرنا الله عز وجل أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها المعنيون بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[2]، فكان الكمال في جانب الدين، والتمام في جانب النعمة، قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «إن للإيمان حدوداً، وفرائض، وسنناً، وشرائع، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان»[3].

ودين الله هو شرعه المتضمن لأمره ونهيه، ومحابه، والمقصود أن النعمة المطلقة هي التي اختصت بالمؤمنين، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهذه النعمة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[4]، وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته: الإسلام والسنة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشدَّ فرحاً، حتى أن القلب ليرقص فرحاً إذا باشر روح السنة أحزن ما يكون الناس وهو ممتلىء أمناً أخوف ما يكون الناس»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) البخاري معلقاً، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ١/ ٩.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٥) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٢/ ٣٣-٣٦، و٣٨.

ثانياً: النعمة المقيدة: كنعمة الصحة، والغِنىٰ، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذا، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق، والنعمة المقيدة تكون استدراجاً للكافر والفاجر، ومآلها إلى العذاب والشقاء لمن لم يرزق النعمة المطلقة[١].

○ **المسلك الرابع: منزلة السنة:**

السنة: حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، وهي تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودَّت وجوه أهل البدعة، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق»[٣]، والسنة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال الله جل وعلا: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٤]، والله الموفق[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٣) ذكره ابن القيم، في اجتماع الجيوش، ٢/ ٣٩، وابن كثير في تفسيره، ١/ ٣٦٩، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير، ٧/ ٩٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ٢/ ٣٨.

○ المسلك الخامس: منزلة صاحب السنة وصاحب البدعة:

أولاً: منزلة صاحب السنة:

صاحب السنة حي القلب، مستنير القلب، وقد ذكر الله عز وجل الحياة والنورفي كتابه في غير موضع وجعلهما صفة أهل الإيمان، فإن القلب الحي المستنير: هو الذي عقل عن الله، وأذعن، وفهم عنه، وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بعث به رسول الله ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً: في قلبه، وسمعه، وبصره، ولسانه، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه ومن أمامه، وأن يجعل له نوراً، وأن يجعل ذاته نوراً، وفي بشره، ولحمه، وعظمه، ولحمه، ودمه، فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه، ولحواسه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الست، والمؤمن مدخله نور، ومخرجه نور، وقوله نور، وعمله نور، وهذا النور بحسب قوته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة، فيسعى بين يديه، ويمينه، فمن الناس من يكون نوره: كالشمس، وآخر كالنجم، وآخر كالنخلة الطويلة، وآخر كالرجل القائم، وآخر دون ذلك، حتى أن منهم من يُعطى نوراً على رأس إبهام قدمه يضيء مرة ويطفىء أخرى، كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا كذلك، فهو هذا بعينه يظهر هناك للحس، والعيان[1].

ثانياً: علامات أهل السنة كثيرة، يدركها العقلاء من البشر ومن أهم تلك العلامات:

١ - الاعتصام بالكتاب والسنة، والعض على ذلك بالنواجذ.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، ٢/ ٣٨-٤١ بتصرف.

٢- التحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع .

٣- حبهم لأهل السنة والمتمسكين بها وبغضهم لأهل البدع .

٤- لا يستوحشون من قلة السالكين : ؛ لأن الحق ضالة المؤمن يأخذ به ولو خالفه الناس .

٥- الصدق في الأقوال والأفعال، بالتطبيق الصحيح لهدي الكتاب والسنة .

٦- التأسي برسول الله ﷺ الذي كان خلقه القرآن[1] .

ثالثاً: منزلة صاحب البدعة:

صاحب البدعة ميت القلب، مظلمه، وقد جعل الله الموت والظلمة صفة من خرج عن الإيمان، والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا وصف الله سبحانه هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع حياتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قسمت الأنوار يوم القيامة دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة، التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به الشقاوة تركه فيها[2] .

---

(١) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، ص ١٤٧ ، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح بن سعد السحيمي، ص ٢٦٤ .

(٢) اجتماع الجويش الإسلامية، لابن القيم، ٢/ ٣٩-٤٠ بتصرف .

المطلب الثاني: ظلمات البدعة

○ المسلك الأول: مفهومها:

البدعة: لغة: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال[١] ويقال: «ابتدعتُ الشيء، قولاً أو فعلاً إذا ابتدأته عن غير مثال سابق»[٢]، وأصل مادة «بدع» للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] أي: مخترعهما من غير مثال سابق متقدم[٤].

والبدعة في الاصطلاح الشرعي لها عدة تعريفات عند العلماء يكمل بعضها بعضاً، منها:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»[٥].

«**والبدعة نوعان**: نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات، وهذا الثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني»[٦]. «وكان الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم: أن الأعمال عبادات وعادات»، فالأصل في العبادات أنه لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات أنه لا يحظر منها إلا ما حظر الله»[٧].

---

(١) القاموس المحيط، باب العين، فصل الدال، ص ٩٠٦، ولسان العرب ٨/ ٦، وفتاوى ابن تيمية ٣٥/ ٤١٤.
(٢) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ١١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٧، الأنعام، الآية: ١٠١.
(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٩، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة «بدع» ص ١١١.
(٥) فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٠٧-١٠٨.
(٦) المرجع السابق ٢٢/ ٣٠٦.
(٧) فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٩٦.

وقال أيضاً: «والبدعة ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات: كأقوال الخوارج، والروافض، والقدرية، والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم»[١].

٢- قال الشاطبي رحمه الله تعالى: «البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي[٢] الشرعيّة، يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه».

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصُّها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العاديّة في معنى البدعة، فيقول «البدعة: طريقة في الدين مخترعةٌ، تضاهي الشرعيّة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[٣].

ثم قرر رحمه الله تعالى على تعريفه الثاني أن العادات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبد بها، أو توضع وضع التعبُّد تدخلها البدعة، فحصل بذلك أنه جمع بين التعريفين ومثل للأمور العادية التي لابد فيها من التعبُّد: بالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والإجارات، والجنايات. . . . لأنها مقيدة بأمور وشروط وضوابط شرعية لا خيرة للمكلف فيها[٤].

٣- وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى[٥]: «والمراد بالبدعة

---

(١) المرجع السابق ١٨/ ٣٤٦، وانظر: نفس المرجع ٣٥/ ٤١٤.
(٢) تضاهي: يعني أنها تشبه الطريقة الشرعية من غير أن تكون الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها. انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٥٣.
(٣) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ١/ ٥٠-٥٦.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٩٤.
(٥) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٧-١٢٨ بتصرف يسير جداً.

ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغةً، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة. أما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك قال: «نعمة البدعة هذه»[١] . . ومراده رضي الله عنه أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها. فمنها: أن النبي ﷺ كان يحث على قيام رمضان، ويرغب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحداناً، وهو ﷺ صلى بأصحابه في رمضان غير ليله، ثم امتنع من ذلك مُعللاً؛ بأنه خشي أن يُكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أُمن بعده ﷺ[٢] .

ومنها: أنه ﷺ أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين»[٣] .

والبدعة بدعتان: بدعة مكفرة تخرج عن الإسلام، وبدعة مفسّقة لا تخرج عن الإسلام[٤] .

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ٢/ ٣٠٨، برقم ٢٠١٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ٢/ ٣٠٩، برقم ٢٠١٢.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٩.

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٥١٦.

○ **المسلك الثاني: شروط قبول العمل:**

لا يقبل أي عمل مما يتقرب به إلى الله عز وجل إلا بشرطين:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له، لقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى**»(١).

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

فمن أخلص أعماله لله، متبعاً في ذلك رسول الله ﷺ، فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ، أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٣)، ومن جمع الأمرين فهو داخل في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥)، فحديث عمر رضي الله عنه: «**إنما الأعمال بالنيات**» ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ميزان للأعمال الظاهرة، فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كله: أصوله، وفروعه، ظاهره وباطنه، أقواله، وأفعاله(٦).

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/ ٩، برقم ١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» ٢/ ١٥١٥، برقم ١٩٠٧.

(٢) مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ٣/ ١٣٤٤، برقم ١٧١٨، ولفظ البخاري ومسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٥٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٦) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي، ص ١٠.

وقد تكلم الإمام النووي على حديث عائشة رضي الله عنها كلاماً نفيساً، قال فيه: « قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي الرواية الثانية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع، والمخترعات[1]، وفي الرواية الثانية زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سُبِقَ إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل أو غيره سبق بإحداثها»[2].

○ المسلك الثالث: ذم البدعة في الدين:

جاء في ذم البدعة نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وحذر منها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يلي:

أولاً: من القرآن:

١ - قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3]، وقد ذكر الشاطبي رحمه الله آثاراً تدل على أن هذه الآية في الذين يجادلون في القرآن، وفي الخوارج ومن وافقهم[4].

---

(١) المخترعات: أي في الدين.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ٢٥٧، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٦/ ١٧١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٧٠-٧٦.

٢- وقال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] ، فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط وهم أهل البدع[٢] ، فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع[٣] .

٣- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤] فالسبيل القصد هو طريق الحق، وما سواه جائر عن الحق: أي عادل عنه، وهي طرق البدع والضلالات[٥] .

٤- وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[٦] ، وهؤلاء هم أصحاب الأهواء، والضلالات، والبدع من هذه الأمة[٧] .

٥- وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٨] .

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٩] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .
(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٧٦ .
(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٧٨ .
(٤) سورة النحل، الآية: ٩ .
(٥) انظر: المرجع السابق، ١/ ٧٨ .
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩ .
(٧) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ١٧٩ .
(٨) سورة الروم، الآيتان: ٣١-٣٢ .
(٩) سورة النور، الآية: ٦٣ .

٧- وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾[١] .

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[٢] ، والله عز وجل أعلم[٣] .

ثانياً: من السنة النبوية:

جاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ في ذم البدع والتحذير منها، ومن ذلك ما يأتي:

١- حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[٤] ، وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٥] .

٢- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**[٦] .

٣- وفي رواية النسائي: كان رسول الله ﷺ، يقول في خطبته: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: **«من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة،**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٥ .
(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٧٠-٩١ .
(٤) متفق عليه: البخاري، برقم ٢٦٩٧ ، ومسلم برقم ١٧١٨ ، وتقدم تخريجه ص ١٦٩ ، ٢٣٠ .
(٥) مسلم، برقم ١٧١٨ ، وتقدم تخريجه، ص ١٦٩ ، ٢٣٠ .
(٦) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ١/ ٥٩٢ ، برقم ٨٦٧ .

وكل ضلالة في النار»(١) .

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(٢) .

٥- وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»(٣) .

٦- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا؟ قال : «أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطـاعـة ، وإن تـأمرَ عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة»(٤) .

٧- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله

(١) أصله في صحيح مسلم في الحديث السابق ، وأخرجه النسائي بلفظه ، في كتاب صلاة العيدين ، باب كيف الخطبة ، ٣/ ١٨٨ ، برقم ١٥٧٨ .

(٢) مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، ٤/ ٢٠٦٠ ، برقم ٢٦٧٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، ٢/ ٧٠٥ ، برقم ١٠١٧ .

(٤) أبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ٤/ ٢٠١ ، برقم ٤٧٠٧ ، والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، ٥/ ٤٤ ، برقم ٢٦٧٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ١/ ١٥-١٦ ، برقم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وأحمد ٤/ ٤٦-٤٧ .

ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخنٌ**» قلت: وما دَخَنُهُ؟ قال: «**قومٌ يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «**نعم: قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[1]، قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: «**يهدون بغير هديي**» الهدي الهيئة، والسيرة، والطريقة، قوله: «**دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة ضلالة آخر الخوارج، والقرامطة، وأصحاب المحنة»[2].

٨- وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، [هو حبل الله المتين من أتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغب فيه.[3]

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ٨/ ١١٩، برقم ٧٠٨٤، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة، ٣/ ١٤٧٥، برقم ١٨٤٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٤٧٩.

(٣) مسلم، برقم ٢٤٠٨، وتقدم تخريجه ص ٥١.

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لايضلونكم ولايفتنونكم»(١).

ثالثاً: من أقوال الصحابة رضي الله عنهم في ذم البدع:

١- ذكر ابن سعد رحمه الله بإسناده أن أبا بكر رضي الله عنه قال: «أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوِّموني»(٢).

٢- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»(٣).

٣- وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»(٤).

رابعاً: من أقوال التابعين وأتباعهم بإحسان:

١- كتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى رجل فقال: «أما بعد،

---

(١) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ١/ ١٢، برقم ٦، ٧، وابن وضاح في ما جاء في البدع، ص ٦٧، برقم ٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ٣/ ١٣٦.

(٣) أخرجه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/ ١٣٩، برقم ٢٠١، والدرامي في سننه، ١/ ٤٧، برقم ١٢١، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ١٠٤١، برقم ٢٠٠١، ورقم ٢٠٠٣، ورقم ٢٠٠٥.

(٤) أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع، ص ٤٣، برقم ١٤، ١٢، والطبراني في المعجم الكبير، ٩/ ١٥٤، برقم ٨٧٧٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٨١: «ورجاله رجال الصحيح»، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/ ٩٦، برقم ١٠٢، وانظر: آثاراً أخرى عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه في ما جاء في البدع لابن وضاح ص ٤٥، ومجمع الزوائد، ١/ ١٨١.

أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته»[١].

٢- وقال الحسن البصري رحمه الله: «لا يصح القول إلا بعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة»[٢].

٣- وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام»[٣].

٤- وقال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٤]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[٥].

٥- وقال الإمام أحمد رحمه الله: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين»[٦].

خامساً: البدع مذمومة من وجوهٍ:

١- قد علم بالتجارب أن العقول غير مستقلة بمصالحها دون الوحي، والابتداع مضاد لهذا العمل.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ٤/ ٢٠٣، برقم ٤٦١٢، وانظر: صحيح سنن أبي داود، للألباني، ٣/ ٨٧٣.

(٢) أخرجه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/ ٦٣، برقم ١٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٩/ ١١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) الاعتصام، للإمام الشاطبي، ١/ ٦٥.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ١/ ١٧٦.

٢- الشريعة جاءت كاملة، لا تحمل الزيادة ولا النقصان.

٣- المبتدع معاند للشرع ومشاق له.

٤- المبتدع متبع لهواه، لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا اتباع الهوى.

٥- المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم المكلفين بالجري على سننها[١].

○ **المسلك الرابع: أسباب البدع:**

البدع لها أسباب أدت إليها ومن هذه الأسباب[٢] مايلي:

أولاً: الجهل، فهو آفة خطيرة، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفَعُ العلم معهم، ويُبقي في الناس رُؤوساً جُهَّالاً يفتون بغير علم فَيَضِلّون ويُضِلُّون»**[٥].

---

(١) انظر: الاعتصام، للشاطبي، ١/ ٦١-٧٠.

(٢) انظر كثيراً من هذه الأسباب: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٢٨٧-٣٦٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، ٨/ ١٨٧، برقم ٧٣٠٧، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان، ٤/ ٢٠٥٨، برقم ٢٦٧٣.

ثانياً: اتباع الهوى، من الأسباب الخطيرة التي توقع الناس في البدع، والأهواء، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾(١) ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(٢) ، وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) ، وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٤) ، وقال عز وجل: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾(٥) .

ثالثاً: التعلق بالشبهات؛ فإن المبتدعة يتعلقون بالشبهات فيقعون في البدع، قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٦) .

رابعاً: الاعتماد على العقل المجرد، فإن من اعتمد على عقله وترك النص من القرآن والسنة أو من أحدهما ضل، والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٤) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٥) سورة النجم، الآية: ٢٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ﭐلْعِقَابِ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[٢].

خامساً: التقليد والتعصب؛ فإن أكثر أهل البدع يقلدون آباءهم ومشايخهم، ويتعصبون لمذاهبهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[٤]، وأهل البدع زُيِّنت لهم أعمالهم، قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٥]، وقال الله عز وجل مبيناً حال أهل البدع والأهواء: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۞ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[٦].

سادساً: مخالطة أهل الشر ومجالستهم، من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في البدع وانتشارها بين الناس، وقد بين الله عز وجل أن المجالس لأهل السوء يندم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٦) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٦-٦٨.

أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(١) ، وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٣) ، وقال ﷺ : «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة»(٤) .

سابعاً: سكوت العلماء وكتم العلم، من أسباب انتشار البدع والفساد بين الناس، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٥) ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٦) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ

---

(١) سورة الفرقان، الآيات : ٢٧-٢٩ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٦٨ .

(٣) سورة النساء، الآية : ١٤٠ .

(٤) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب السمك، ٦/ ٢٨٧، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ٤/ ٢٠٢٦، برقم ٢٦٢٨ .

(٥) سورة البقرة، الآيتان : ١٥٩-١٦٠ .

(٦) سورة البقرة، الآية : ١٧٤ .

﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(١) ، وقد أوجب الله على طائفة من الأمة الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢) ، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٣) ، وهذا الحديث يبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل أحدٍ على حسب هذه الدرجات.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل»(٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئِلَ عن علم يعلمُهُ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار» .(٥)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ .
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ١/ ٦٩، برقم ٤٩ .
(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٧٠، برقم ٥٠ .
(٥) الترمذي، في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، ٥/ ٢٩، برقم ٢٦٤٩، وأبو داود، في العلم، باب كراهية منع العلم، ٣/ ٣٢١، برقم ٣٦٥٨، وابن ماجه، في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، ١/ ٩٨، برقم ٢٦٦، ومسند أحمد، ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٣٣٦، وصحيح سنن ابن ماجه، ١/ ٤٩ .

ثامناً: التشبه بالكفار وتقليدهم من أعظم ما يحدث البدع بين المسلمين، ومما يدل على ذلك حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح، قال: فمررنا بشجرة فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ وكان للكفار سدرة يعكفون حولها، ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: «**الله أكبر وقلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] ، لتركبن سنن من كان قبلكم**»[2] ، وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل على أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو الذي حمل أصحاب النبي محمد ﷺ على أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله عز وجل، وهكذا غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، كأعياد المواليد، وبدع الجنائز، والبناء على القبور، ولاشك أن اتباع السَّنَن باب من أبواب الأهواء، والبدع[3] ويزيد ذلك وضوحاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم: شِبراً بشبر، وذِراعاً بذِراعٍ، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٢) أخرجه بلفظه، أبو عاصم في كتاب السنة، ١/ ٣٧، برقم ٧٦، وحسن إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة، المطبوع مع كتاب السنة، ١/ ٣٧، وأخرجه الترمذي بنحوه، في كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ٤/ ٤٧٥، برقم ٢١٨٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، لجاسم بن فهيد الدوسري، ص ٦٤-٦٥.

(٣) انظر: تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ١٤٧، ورسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، ٢/ ١٧٠، وكتاب التوحيد، للدكتور العلامة صالح الفوزان ص ٨٧.

اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[١]، قال الإمام النووي رحمه الله: «السنَنَ، بفتح السين والنون: وهو الطريق، والمراد بالشبر، والذراع، وجحر الضب: التمثيل بشدة الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ»[٢].

فظهر أن الشبر، والذراع، والطريق، ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه[٣]، وقد حذر النبي ﷺ عن التشبه بغير أهل الإسلام فقال: **«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلُّ والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[٤].

تاسعاً: الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، من الأسباب التي تؤدي إلى البدع وانتشارها؛ فإن كثيراً من أهل البدع اعتمدوا على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوبة على رسول الله ﷺ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها، وردوا الأحاديث الصحيحة التي تخالف ما هم عليه من البدع، فوقعوا بذلك في المهالك والعطب، والخسارة، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ٨/ ١٩١، برقم ٧٣٢٠، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤، برقم ٢٦٦٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٤٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٣٠١.

(٤) أحمد في المسند، ٢/ ٥٠، ٩٢، وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند برقم ٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٢٢/ ٣٦١-٣٦٣، والاعتصام للشاطبي، ١/ ٢٨٧-٢٩٤، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ٨٤٨، ورسائل=

عاشراً: الغلو أعظم أسباب انتشار البدع، وظهورها، وهو سبب شرك البشر؛ لأن الناس بعد آدم عليه الصلاة والسلام كانوا على التوحيد عشرة قرون، وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، وغلوا فيهم حتى عبدوهم من دون الله عز وجل؛ فأرسل الله تعالى نوحاً ﷺ يدعو إلى التوحيد، ثم تتابع الرسل عليهم الصلاة والسلام[(١)]، والغلو يكون: في الأشخاص، كتقديس الأئمة والأولياء، ورفعهم فوق منازلهم، ويصل ذلك في النهاية إلى عبادتهم، ويكون الغلو في الدين، وذلك بالزيادة على ما شرعه الله، أو التشدد والتكفير بغير حق، والغلو في الحقيقة: هو مجاوزة الحد في الاعتقادات والأعمال، وذلك بأن يزاد في حمد الشيء، أو يزاد في ذمه على ما يستحق[(٢)]، وقد حذر الله عن الغلو فقال عز وجل لأهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[(٣)]، وحذر النبي ﷺ من الغلو في الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(٤)]، فظهر أن الغلو في الدين من أعظم أسباب الشرك، والبدع، والأهواء[(٥)]؛ ولخطر الغلو في الدين حذر النبي ﷺ عن الإطراء فقال: «**لا تطروني**

= ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، ٢/ ١٨٠.

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١/ ١٠٦.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٤) النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، ٥/ ٢٦٨، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ٢/ ١٠٠٨، وأحمد، ١/ ٣٤٧، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٢٨٩.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩، والاعتصام للشاطبي، ١/ ٣٢٩-٣٣١، ورسائل ودراسات في الأهواء والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، ١/ ١٧١، ١٨٣، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٧٧-٨١، والحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، لسعيد بن علي [الكاتب]، ص ٣٧٩.

كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله»[١] .

○ المسلك الخامس: أقسام البدع:

البدع أقسام مختلفة باعتبارات مختلفة، وإليك التفصيل بإيجاز واختصار:

القسم الأول: البدعة الحقيقية والإضافية:

١- البدعة الحقيقية: وهي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا استدلالٍ معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل؛ ولذلك سميت بدعة؛ لأنها شيء مخترع في الدين على غير مثال سابق[٢] ، ومن أمثلة ذلك: التقرب إلى الله عز وجل بالرهبانية: أي اعتزال الخلق في الجبال ونبذ الدنيا ولذاتها تعبداً لله عز وجل، والذين فعلوا ذلك ابتدعوا عبادة من عند أنفسهم وألزموا أنفسهم بها[٣] ، ومن أمثلة ذلك: تحريم ما أحل الله من الطيبات تعبداً لله عز وجل[٤] ، وغير ذلك من الأمثلة[٥] .

٢- البدعة الإضافية: وهي التي لها جهتان أو شائبتان:

إحدهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية: أي أنها بالنسبة

---

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...﴾، ٤/ ١٧١، برقم ٣٤٤٥.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٣٦٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٣٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٣١٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٨٢.

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٤١٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، ١/ ٣٧٠-٤٤٥.

لإحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، ولأنها مستندة إلى شيء، والفرق بينهما من جهة المعنى أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات، أو الأحوال، أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العادات المحضة[1] ، ومن أمثلة ذلك: الذكر أدبار الصلوات، أو في أي وقت على هيئة الاجتماع بصوت واحد، أو يدعو الإمام والناس يؤمنون أدبار الصلوات، فالذكر مشروع، ولكن أداؤه على هذه الكيفية غير مشروع وبدعة مخالفة للسنة[2] ومن ذلك تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وليلته بقيام، وصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب، وهذه بدع منكرة، وهي بدعة إضافية؛ لأن عبادات الصلاة والصيام الأصل فيها المشروعية، لكن يأتي الابتداع في تخصيص الزمان، أو المكان، أو الكيفية؛ فإن ذلك لم يأت في كتاب ولا سنة، فهي مشروعة باعتبار ذاتها بدعة باعتبار ما عرض لها[3] .

القسم الثاني: البدعة الفعلية والتركية:

١ - **البدعة الفعلية**: تدخل في تعريف البدعة: فهي طريقة في الدين مخترعة، تشبه الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[4] ، ومن أمثلة ذلك: الزيادة في شرع الله ما ليس منه، كمن يزيد في الصلاة ركعة، أو يدخل في الدين ما ليس منه، أو يفعل العبادة

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٣٦٧، ٤٤٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ٤٥٢، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ٩٦.

(٣) انظر: أصول في البدع والسنن، للشيخ العدوي، ص ٣٠، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للسحيمي، ص ٩٦.

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٥٠-٥٦.

على كيفية يخالف فيها هدي النبي ﷺ[١]، أو يخصص وقتاً للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع: كتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وليلته بقيام[٢].

٢- **البدعة التركية**: تدخل في عموم تعريف البدعة، من حيث إنها «طريقة في الدين مخترعة»[٣]، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريماً للمتروك، أو غير تحريم؛ فإن الفعل ـ مثلاً ـ قد يكون حلالاً بالشرع فيحرمه الإنسان على نفسه أو يقصد تركه قصداً، فهذا الترك إما أن يكون لأمر يُعتبر شرعاً أو لا: فإن كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه؛ لأنه ترك ما يجوز تركه أو ما يُطلب بتركه، كالذي يمنع نفسه من الطعام الفلاني من أجل أنه يضره في جسمه، أو عقله، أو دينه، وما أشبه ذلك، فلا مانع هنا من الترك، وهذا راجع إلى الحمية من المضرات، وأصله قوله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»**[٤]، وكذلك لو ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وهذا كترك المشتبه حذراً من الوقوع في الحرام، واستبراءً للدين والعرض.

وإن كان الترك لغير ذلك، فإما أن يكون تديُّناً أو لا؛ فإن لم يكن تديناً فالتارك عابث بتحريمه الفعل، أو بعزيمته على الترك، ولا يسمى هذا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١/ ٣٦٧-٤٤٥، وتنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي، ص ٩٩، وحقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد الغامدي، ٢/ ٣٧، وأصول في البدع والسنن للعدوي ص ٧٠، وعلم أصول البدع، لعلي بن حسن الأثري، ص ١٠٧.

(٢) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ٨٢.

(٣) انظر: الاعتصام، للشاطبي، ١/ ٥٧.

(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، ٢/ ٢٨٠، برقم ١٩٠٥، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته، ٢/ ١٠١٨، برقم ١٤٠٠.

الترك بدعة؛ لأنه لا يدخل تحت لفظ الحد، إلا على الطريقة الثانية القائلة: إن البدعة تدخل في العادات، وأما على الطريقة الأولى، فلا يدخل، لكن هذا التارك يكون مخالفاً بتركه، أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله، وإثم المخالفة يختلف باختلاف درجات المتروك: من حيث: الوجوب، والندب.

أما إن كان الترك تديُّناً فهو الابتداع في الدين، سواء كان المتروك مباحاً أو مأموراً به، وسواء كان في العبادات، أو المعاملات، أو العادات: بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد، إذا قصد بتركه التعبد لله كان مبتدعاً بتركه[1]، ومن الأدلة على أن الترك في مثل ذلك يكون بدعة: قصة الثلاثة الذين جاؤا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها، فكأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له؛ لكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[2].

والمراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء: الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني[3].

---

(١) انظر: الاعتصام، للشاطبي، ١/ ٥٨.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٦/ ١٤٢، برقم ٥٠٦٣، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ٢/ ١٠٢٠، برقم ١٤٠١.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٩/ ١٠٥.

واتضح مما سبق أن البدعة على قسمين: بدعة فعلية، وبدعة تركية، كما ظهر أن السنة على قسمين: سنة فعلية وسنة تركيّة، فسنة النبي ﷺ كما تكون بالفعل تكون بالترك، فكما كلفنا الله باتباع النبي ﷺ في فعله الذي يتقرب به إلى الله - إذا لم يكن من باب الخصوصيات - كذلك طالبنا باتباعه في تركه، فيكون الترك سنة، والفعل سنة، وكما لا نتقرب إلى الله بترك ما فعل، لا نتقرب إليه بفعل ما ترك، فالفاعل لما ترك، كالتارك لما فعل، ولا فرق بينهما[1].

القسم الثالث: البدعة القولية الاعتقادية، والبدعة العملية:

١- **البدعة القولية الاعتقادية**: كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة، واعتقاداتهم، ويدخل في ذلك الفرق التي ظهرت كالقاديانية، والبهائية، وجميع فرق الباطنية المتقدمة: كالاسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والرافضة وغيرهم.

٢- **البدعة العملية وهي أنواع:**

النوع الأول: بدعة في أصل العبادة، كأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياماً غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة، كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون من الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٥٧-٦٠، و ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٩٨، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، لجلال الدين السيوطي، ص ٢٠٥، وأصول في البدع، للشيخ محمد أحمد العدوي، ص ٧٠، وحقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد بن ناصر الغامدي، ٢/ ٣٧-٥٨، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ٩٧، وعلم أصول البدع للشيخ علي بن حسن الأثري، ص ١٠٧، وتحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ص ٨٣.

ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً .

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة، بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وكذلك أداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتعبد بالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة رسول الله ﷺ .

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع : كتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام، وليلته بقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل[١] .

○ المسلك السادس: حكم البدعة في الدين:

لاشك أن كل بدعة في الدين ضلالة، ومحرمة؛ لقوله ﷺ : **«إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[٢] ، وقوله ﷺ : **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، وفي رواية لمسلم : **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٣] ، فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة وكل بدعة ضلالة مردودة، فالبدع في العبادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة :

فمنها : ما هو كفر : كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٨/ ٣٤٦، ٣٥-٤١٤، وكتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ٨١-٨٢، ومجلة الدعوة، العدد ١١٣٩، ٩ رمضان، ١٤٠٨، مقال الدكتور صالح الفوزان في أنواع البدع، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ١٠٠ .

(٢) أبو داود، ٤/ ٢٠١، برقم ٤٦٠٧، والترمذي، ٥/ ٤٤، برقم ٢٦٧٦، وتقدم تخريجه ص ٢٣٤ .

(٣) متفق عليه : البخاري، ٣/ ٢٢٢، برقم ٢٦٩٧، ومسلم، ٣/ ١٣٤٣، برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣ .

الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية، والمعتزلة، والرافضة.

ومنها: ما هو من وسائل الشرك: كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها.

ومنها: ما هو من المعاصي: كبدعة التبتل - ترك الزواج - والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع الشهوة، وغير ذلك[1]، وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله: أن إثم المبتدع ليس على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة واختلافها يقع من جهات، على النحو الآتي:

١- من جهة كون صاحب البدعة مُدَّعياً للاجتهاد أو مقلداً.
٢- من جهة وقوعها في الضروريات: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال أو غيرها.
٣- من جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً.
٤- من جهة كونه داعياً إليها أو غير داع لها.
٥- من جهة كونه خارجاً على أهل السنّة أو غير خارج.
٦- من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية.
٧- من جهة كون البدعة بيِّنة أو مشكلة.
٨- من جهة كون البدعة كفراً أو غير كفر.
٩- من جهة الإصرار على البدعة أو عدمه.

وبين رحمه الله أن هذه المراتب تختلف في الإثم على حسب النظر إلى دركاتها[2]، وأوضح رحمه الله أن هذه المراتب منها ما هو محرم، ومنها

---

(١) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص ٨٢.
(٢) انظر: الاعتصام، ١/ ٢١٦-٢٢٤، و ٢/ ٥١٥-٥٥٩.

ما هو مكروه، وأن وصف الضلال ملازم لها وشامل لأنواعها[١]، ولا شك أن البدع تنقسم على حسب مراتبها في الإثم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفر بواح[٢].

القسم الثاني: كبيرة من كبائر الذنوب[٣].

القسم الثالث: صغيرة من صغائر الذنوب[٤]، وللبدعة الصغيرة شروط، هي:

الشرط الأول: لا يداوم عليها، فإن المداومة تنقلها إلى كبيرة في حقه.

الشرط الثاني: لا يدعو إليها؛ فإن ذلك يعظم الذنب لكثرة العمل بها.

الشرط الثالث: لا يفعلها في مجتمعات الناس، ولا في المواضع التي تقام فيها السنن.

الشرط الرابع: لا يستصغرها ولا يستحقرها، فإن ذلك استهانة بها، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب[٥].

واسم الضلالة يقع على هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن النبي ﷺ جعل كل بدعة ضلالة، وهذا يشمل البدعة المكفرة، والبدعة المفسقة: سواء كانت كبيرة أو صغيرة[٦].

ومنهم من قسم البدع إلى أقسام أحكام الشريعة الخمسة: فقال: قسم من البدع واجب، وقسم محرم، وقسم مندوب إليه، والقسم الرابع:

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي، ٢/ ٥٣٠.
(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي، ٢/ ٥١٦.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٥١٧ و ٢/ ٥٤٣-٥٤٤.
(٤) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٥١٧ و ٢/ ٥٣٩، ٥٤٣-٥٥٠.
(٥) انظر هذه الشروط مع شرحها النفيس: المرجع السابق، ٢/ ٥٥١-٥٥٩.
(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي، ٢/ ٥١٦.

بدعة مكروهة، والقسم الخامس: البدع المباحة. وهذا التقسيم مخالف لقوله ﷺ: «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[١]، وقد رد على هذا التقسيم الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر التقسيم وصاحبه: «والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي: لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب، أو ندب، أو إباحةٍ؛ لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها، أو المخير فيها، فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها، أو ندبها، أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمسلَّمٌ من جهة كونها بدعاً لا من جهةٍ أخرى»[٢].

○ المسلك السابع: أنواع البدع عند القبور:

النوع الأول: من يسأل الميت حاجته[٣]، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٤].

فكل من دعا نبياً، أو ولياً، أو صالحاً وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد تناولته هذه الآية، فإنها عامة في كل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من

---

(١) أبو داود، ٤/ ٢٠١، برقم ٤٦٠٧، والترمذي، ٥/ ٤٤، برقم ٢٦٧٦، وتقدم تخريجه، ص٢٣٤.
(٢) الاعتصام، ١/ ٢٤٦.
(٣) انظر: تعريف البدعة لغة واصطلاحا، ص ٢٢٧ من هذا الكتاب.
(٤) سورة الإسراء، الآيتان، ٥٦-٥٧.

دعا ميتاً، أو غائباً: من الأنبياء، والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أعني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليُعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر.

النوع الثاني: أن يسأل الله تعالى بالميت، وهو من البدع المحدثة في الإسلام وهذا ليس كالذي قبله فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر. والعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسل إليك بنبيك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحق الشيخ فلان، أو بحرمته، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم، وهذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة والذي جاءت به السنة هو التوسل والتوجه بأسماء الله تعالى، وصفاته، وبالأعمال الصالحة كما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة (أصحاب الغار)، وبدعاء المسلم الحي الحاضر لأخيه المسلم.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك فإن هذا من المنكرات إجماعاً ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب ولم يجيؤا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور فقد رأى علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً

يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال: **«لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»**[١]، ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً فغيره أولى بالنهي كائناً ما كان[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[٣].

○ المسلك الثامن: البدع المنتشرة المعاصرة:

البدع المنتشرة المعاصرة كثيرة جداً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

أولا: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي:

الاحتفال بالمولد بدعة منكرة، وأول من أحدثها العبيديون في القرن الرابع الهجري، وقد بين العلماء قديماً وحديثاً بطلان هذه البدعة والرد على من ابتدعها وعمل بها، فلا يجوز الاحتفال بالمولد؛ لأمور وبراهين منها:

أولاً: الاحتفال بالمولد من البدع المحدثة في الدين التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ لأن النبي ﷺ لم يشرعه لا بقوله، ولا فعله، ولا تقريره،

---

(١) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ ص ٣٤، وصححه الألباني في نفس المرجع وله طرق وروايات ذكرها في كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ١٤٠.

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبدالرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥-١٧٤.

(٣) رواه أبو داود، واللفظ له، في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٤٢، وأحمد، ٢/ ٣٦٧، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه: تحذير الساجد، ص ١٤٢.

وهو قدوتنا وإمامنا، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[1] ، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2] ، وقال النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهور رد»**[3] .

ثانياً: الخلفاء الراشدون ومن معهم من أصحاب النبي ﷺ لم يحتفلوا بالمولد، ولم يدعوا إلى الاحتفال به، وهم خير الأمة بعد نبيها، وقد قال ﷺ في حق الخلفاء الراشدين: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[4] .

ثالثا: الاحتفال بالمولد من سنة أهل الزيغ والضلال؛ فإن أول من أحدث الاحتفال بالمولد الفاطميون، العبيديون في القرن الرابع الهجري، وقد انتسبوا إلى فاطمة رضي الله عنها ظلماً وزوراً، وبهتاناً؛ وهم في الحقيقة من اليهود، وقيل من المجوس، وقيل من الملاحدة[5] ، وأولهم المعز لدين الله العبيدي المغربي الذي خرج من المغرب إلى مصر في شوال سنة ٣٦١هـ، وقدم إلى مصر في رمضان سنة ٣٦٢هـ[6] ، فهل لعاقل

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية؛ ٢١.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٢٦٩٧، ومسلم، برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.

(٤) أبو داود، برقم ٤٦٠٧، والترمذي، برقم ٢٦٧٦، وتقدم تخريجه ص ٢٣٤.

(٥) انظر: الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص ٢٥١، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبدالرحمن الجديع، ص ٣٥٩-٣٧٣، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص ٢٣٢.

(٦) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١١/ ٢٧٢-٢٧٣، ٣٤٥، ١٢/ ٢٦٧-٢٦٨، و٦/ ٢٣٢، ١٢/ ٦٣، ١١/ ١٦١، ١٢/ ١٣، ١٢/ ٢٦٦، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٥/ ١٥٩-٢١٥، وذكر أن آخر ملوك العبيدية: العاضد لدين الله، قتله صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٤هـ،=

مسلم أن يقلد الرافضة ويتبع سننهم ويخالف هدي نبيه محمد ﷺ؟

رابعاً: إن الله عز وجل قد كمل الدين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(١)، والنبي ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة، ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء، وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً، ونصحاً لعباد الله، فلو كان الاحتفال بالمولد من الدين الذي يرضاه الله عز وجل لبيَّنه ﷺ لأمته، أو فعله في حياته، قال ﷺ: **«ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»**(٢).

خامساً: إحداث مثل هذه الموالد البدعية يفهم منه أن الله تعالى لم يكمل الدين لهذه الأمة، فلابد من تشريع ما يكمل به الدين! ويفهم منه أن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة حتى جاء هؤلاء المبتدعون المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به سبحانه، زاعمين أن ذلك يقربهم إلى الله، وهذا بلاشك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله عز وجل، وعلى رسوله ﷺ. والله عز وجل قد أكمل الدين وأتم على عباده نعمته.

سادساً: صرح علماء الإسلام المحققون بإنكار الموالد، والتحذير منها عملاً بالنصوص من الكتاب والسنة، التي تحذر من البدع في الدين، وتأمر باتباع النبي ﷺ، وتحذر من مخالفته في القول وفي الفعل والعمل.

= قال: «تلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين إلى أن خلعه وخطب لبني العباس واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا خليفة، والعاضد في اللغة: القاطع، فكان هذا عاضداً لدولة أهل بيته، ١٥/ ٢١٢».

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء: الأول فالأول، ٢/ ١٤٧٣، برقم ١٨٤٤.

سابعاً: إن الاحتفال بالمولد لا يحقق محبة الرسول ﷺ، وإنما يحقق ذلك: اتباعه، والعمل بسنته، وطاعته ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

ثامناً: الاحتفال بالمولد النبوي واتخاذه عيداً فيه تشبه باليهود والنصارى في أعيادهم، وقد نُهينا عن التشبه بهم، وتقليدهم(٢).

تاسعاً: العاقل لا يغتر بكثرة من يحتفل بالمولد من الناس في سائر البلدان؛ فإن الحق لا يعرف بكثرة العاملين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٥).

عاشراً: القاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٦)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾(٧)، ولا شك أن من رد الاحتفال بالمولد إلى الله ورسوله يجد أن الله يأمر باتباع النبي ﷺ كما قال سبحانه:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ٢/ ٦١٤-٦١٥، وزاد المعاد، لابن القيم، ١/ ٥٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.
(٥) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٧) سورة الشورى، الآية: ١٠.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[١] ، ويبين سبحانه أنه قد أكمل الدين وأتم النعمة على المؤمنين. ويجد أن النبي ﷺ لم يأمر بالاحتفال بالمولد، ولم يفعله، ولم يفعله أصحابه، فعلم بذلك أن الاحتفال بالمولد ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة.

الحادي عشر: إن المشروع للمسلم يوم الاثنين أن يصوم إذا أحب؛ لأن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، أو أنزل عليّ فيه**»[٢] ، فالمشرع التأسي بالنبي ﷺ في صيام يوم الإثنين، وعدم الاحتفال بالمولد.

الثاني عشر: عيد المولد النبوي لا يخلو من وقوع المنكرات والمفاسد غالباً، ويعرف ذلك من شاهد هذا الاحتفال ومن هذه المنكرات على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١- أكثر القصائد والمدائح التي يتغنّىٰ بها أهل المولد لا تخلو من ألفاظ شركية، والغلو والاطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله**»[٣] .

٢- يحصل في الاحتفالات بالموالد في الغالب بعض المحرمات الأخرى: كاختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وقد يحصل فيها الشرك الأكبر كالاستغاثة بالرسول ﷺ، أو غيره من الأولياء، والاستهانة بكتاب الله عز وجل

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء، والاثنين والخميس، ٢/ ٨١٩، برقم ١١٦٢.

(٣) البخاري، ٤/ ١٧١، برقم ٣٤٤٥، وتقدم تخريجه، ص ٩٧.

فيشرب الدخان في مجلس القرآن، ويحصل الإسراف والتبذير في الأموال، وإقامة حلقات الذكر المحرف في المساجد أيام الموالد مع ارتفاع أصوات المنشدين مع التصفيق القوي من رئيس الذاكرين، وكل ذلك غير مشروع بإجماع علماء أهل الحق[١] .

٣- يحصل عمل قبيح في الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وذلك يكون بقيام البعض عند ذكر ولادته ﷺ إكراماً له وتعظيماً، لاعتقادهم أن رسول الله ﷺ يحضر المولد في مجلس احتفالهم؛ ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل؛ فإن رسول الله ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلا عليين عند ربه في دار الكرامة[٢] ، كما قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»**[٤] ، فهذه الآية، والحديث الشريف وما جاء في هذا المعنى من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة. قال سماحة العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله: «وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين، ليس فيه نزاع بينهم»[٥] .

---

(١) انظر: الابداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص ٢٥١-٢٥٧ .

(٢) انظر: التحذير من البدع، لسماحة العلامة الإمام عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، ص ١٣ .

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٥-١٦ .

(٤) مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، ٤/ ١٧٨٢، برقم ٢٢٧٨ .

(٥) التحذير من البدع، ص ١٤، وص ٧-١٤، وانظر: الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٢٥٠-٢٥٨، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبدالرحمن الجديع، ص ٣٥٨-٣٧٣، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، ص ٢٢٨-٢٥٠ .

ثانياً: بدعة الاحتفال بأول ليلة جمعة من شهر رجب:

الاحتفال بأول ليلة جمعة من شهر رجب بدعة منكرة، فقد ذكر الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: أنه أخبره أبو محمد المقدسي فقال: «وأما صلاة رجب فلم تحدث عندنا في بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة [٤٨٠هـ] وما كنا رأيناها ولا سمعنا بها قبل ذلك»[١]، وقال الإمام أبو شامة رحمه الله: «وأما صلاة الرغائب فالمشهور بين الناس اليوم أنها هي التي تصلى بين العشائين ليلة أول جمعة من شهر رجب»[٢]، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة، تختص به، والأحاديث المروية في صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذبٌ وباطل لا تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء»[٣]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معيّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه، حديث صحيح يصلح للحجة»[٤]، ثم بيّن رحمه الله أن الأحاديث الواردة في فضل رجب أو فضل صيامه أو صيام شيء منه على قسمين: ضعيفة، وموضوعة[٥]، ثم ذكر حديث صلاة الرغائب، وفيه: أنه يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي بين العشائين ليلة الجمعة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ثلاث مرات، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، ثم ذكر كلاماً طويلاً في صفة

---

(١) الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي، ص ٢٦٧، برقم ٢٣٨.
(٢) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، للإمام أبي شامة، ص ١٣٨.
(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص ٢٢٨.
(٤) تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، ص ٢٣.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣.

التسبيح والاستغفار، والسجود، والصلاة على النبي ﷺ، ثم بين بأن هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، وبين أن من يصلِّيها يحتاج إلى أن يصوم، وربما كان النهار شديد الحر، فإذا صام لم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب، ثم يقف في صلاته، ويقع في ذلك التسبيح الطويل، والسجود الطويل، فيتأذى غاية الأذى، وقال: «وإني لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه، بل هذه عند العوام أعظم وأجل؛ فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات»(١)، وقال الإمام ابن الصلاح رحمه الله، في صلاة الرغائب: «حديثها موضوع على رسول الله ﷺ، وهي بدعة حدثت بعد أربعمائة من الهجرة»(٢)، وأفتى الإمام العز بن عبدالسلام سنة سبع وثلاثين وستمائة [٦٣٧هـ] أن صلاة الرغائب بدعة منكرة، وأن حديثها كذب على رسول الله ﷺ»(٣).

وأختم كلام الأئمة بتلخيصٍ لكلام الإمام أبي شامة في بطلان صلاة الرغائب ومفاسدها، فقد بيَّن رحمه الله ذلك على النحو الآتي:

١- مما يدل على إبتداع هذه الصلاة أن العلماء الذين هم أعلام الدين وأئمة المسلمين: من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، وغيرهم ممن دوَّن الكتب في الشريعة مع شدة حرصهم على تعليم الناس الفرائض والسنن لم ينقل عن واحد منهم أنه ذكر هذه الصلاة، ولا دونها في كتابه، ولا تعرض لها في مجلسه، والعادة تحيل أن تكون هذه سنة وتغيب عن هؤلاء الأعلام.

٢- هذه الصلاة مخالفة للشرع من وجوهٍ ثلاثة:

---

(١) انظر: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، ص ٥٤.
(٢) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، للإمام أبي شامة، ص ١٤٥.
(٣) المرجع السابق، ص ١٤٩.

الوجه الأول: مخالفة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم**»[1] ، فلا يجوز أن تخص ليلة الجمعة بصلاة زائدة على سائر الليالي لهذا الحديث[2] ، وهذا يعم أول ليلة جمعة من رجب وغيرها.

الوجه الثاني: صلاة رجب وشعبان صلاتا بدعة قد كُذِبَ فيهما على رسول الله ﷺ، بوضع ما ليس من حديثه، وكُذِبَ على الله بالتقدير عليه في جزاء الأعمال ما لم يُنزِّل به سلطاناً، فمن الغيرة لله ولرسوله ﷺ تعطيل ما كُذِبَ فيه على الله ورسوله ﷺ وهجره واستقباحه، وتنفير الناس عنه؛ فإنه يلزم من الموافقة على ذلك مفاسد هي:

المفسدة الأولى: اعتماد العوام على ما جاء في فضلها وتكفيرها فيحمل كثيراً منهم على أمرين:

أحدهما: التفريط في الفرائض.

والثاني: الانهماك في المعاصي، وينتظرون مجيء هذه الليلة ويصلون هذه الصلاة فيرون ما فعلوه مجزئاً عما تركوه وماحياً ما ارتكبوه، فعاد ما ظنه واضع الحديث في صلاة الرغائب حاملاً على مزيد الطاعات: مكثراً من مزيد ارتكاب المعاصي والمنكرات.

المفسدة الثانية: إن فعل البدع مما يغري المبتدعين في إضلال الناس إذا رأوا رواج ما وضعوه وإنهماك الناس عليه، فينقلونهم من بدعة إلى بدعة، أما ترك البدع ففيه زجر للمبتدعين والواضعين عن وضع البدع.

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ٢/٣٠٣، برقم ١٩٨٥، ومسلم، كتاب الصيام، باب كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً، ٢/٨٠١، برقم ١١٤٤.

(٢) انظر: كتاب الباعث على إنكار البدع، لأبي شامة، ص ١٥٦.

المفسدة الثالثة : إن الرجل العالم إذا فعل هذه البدعة كان موهماً للعامة أنها من السنن فيكون كاذباً على رسول الله ﷺ بلسان الحال، ولسان الحال قد يقوم مقام لسان المقال، وأكثر ما أُوتي الناس في البدع بهذا السبب.

المفسدة الرابعة : إن العالم إذا صلى هذه الصلاة المبتدعة كان متسبباً إلى أن تكذب العامة على رسول الله ﷺ، فيقولون هذه سنة من السنن.

الوجه الثالث: إن هذه الصلاة البدعية مشتملة على مخالفة سنن الشرع في الصلاة لأمور :

الأمر الأول : مخالفة لسنة النبي ﷺ في الصلاة بسبب عدد السجدات، وعدد التسبيحات، وعدد قراءة سورتي : «القدر» و «الإخلاص» في كل ركعة.

الأمر الثاني : مخالفة لسنة خشوع القلب وخضوعه وحضوره في الصلاة، وتفريغه لله، والوقوف على معاني القرآن.

الأمر الثالث : مخالفة لسنة النوافل في البيوت ؛ لأن فعلها في البيوت أولى من فعلها في المساجد، وفعلها على الانفراد، إلا صلاة التراويح في رمضان.

الأمر الرابع : إن من كمال هذه الصلاة البدعية عند واضعيها صيام يوم الخميس ذلك اليوم، فيلزم بذلك تعطيل سنتين : سنة الإفطار، وسنة تفريغ القلب من ألم الجوع والعطش.

الأمر الخامس : إن سجدتي هذه الصلاة بعد الفراغ منها سجدتان لا سبب لهما[1].

---

(١) انظر : كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة، ص ١٥٣-١٩٦، وهذه المفاسد،=

وكل ما تقدم من الأدلة، وأقوال الأئمة، وأوجه البطلان، وأقسام المفاسد يبيّن للعاقل أن صلاة الرغائب بدعة منكرة قبيحة، محدثة في الإسلام.

ثالثاً: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

ليلة الإسراء والمعراج من آيات الله عز وجل العظيمة الدالة على صدق النبي ﷺ، وعظم منزلته عند الله، وعلى عظم قدرة الله الباهرة، وعلى علوّه عز وجل على جميع خلقه، قال عز وجل: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وتواتر عن رسول الله ﷺ: أنه عرج به إلى السماء، وفتحت له أبوابها، حتى جاوز السماء السابعة، فكلمه ربه عز وجل كما أراد سبحانه وتعالى، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله عز وجل فرضها خمسين صلاة، فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجع ربه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمساً في الفرض وخمسين صلاة في الأجر؛ لأن الحسنة بعشرة أمثالها، فللّه الحمد والشكر على جميع نعمه التي لا تعد ولا تحصى[2].

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء لا يحتفل بها ولا تخص بشيء من أنواع العبادة التي لم تشرع؛ لأمور منها:

أولاً: هذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ خبر صحيح في تحديدها ولا تعيينها لا في رجب ولا في غيره، فقيل: إنها كانت بعد

= وأوجه البطلان تشمل صلاة الرغائب في أول جمعة من رجب، وليلة النصف من شعبان، كما صرح بذلك أبو شامة في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ١٧٤.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) انظر: التحذير من البدع، للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، ص ١٦.

مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقيل: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقيل: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين[١]، وقيل: ليلة سبعة وعشرين من شهر ربيع الأول[٢]، وقال الإمام أبو شامة رحمه الله: «وذكر عن بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتخريج عين الكذب»[٣]، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن ليلة الإسراء لا يعرف أي ليلة كانت[٤].

قال العلامة عبدالعزيز ابن باز حفظه الله: «وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا في غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها»[٥]، ولو ثبت تعيينها لم يجز أن تخص بشيء من أنواع العبادة بدون دليل[٦].

ثانياً: لا يعرف عن أحد من المسلمين: أهل العلم والإيمان أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة عن غيرها؛ ولأن النبي ﷺ وأصحابه، والتابعين وأتباعهم بإحسان لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء من العبادة، ولم يذكروها، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً؛ لبينه رسول الله ﷺ للأمة: إما بالقول وإما بالفعل، ولو وقع أمر من ذلك؛ لعرف واشتهر، ونقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا[٧].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٦٧-٢٦٨.
(٢) انظر: كتاب الحوادث والبدع، لأبي شامة، ص ٢٣٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٢، وانظر: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، لابن حجر، ص ٩، ١٩، ٥٢، ٦٤، ٦٥.
(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ١/ ٥٨.
(٥) التحذير من البدع، ص ١٧.
(٦) انظر: المرجع السابق، ص ١٧.
(٧) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ١/ ٥٨، والتحذير من البدع، للعلامة ابن باز، ص ١٧.

ثالثاً: قد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتم النعمة، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

رابعاً: حذر النبي ﷺ من البدع، وصرح بأن كل بدعة ضلالة، وأنها مردودة على صاحبها، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٣)، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٤)، وحذر السلف الصالح من البدع؛ لأنها زيادة في الدين وشرعٌ لم يأذن به الله، ورسوله ﷺ، وتشبه بأعداء الله: من اليهود والنصارى في زياداتهم في دينهم(٥).

رابعاً: الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص ليلتها بقيام أو يومها بصيام:

أخرج الإمام محمد بن وضاح القرطبي بإسناده عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال: لم أدرك أحداً من مشيختنا، ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحداً منهم يذكر حديث مكحول(٦)

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢١.
(٣) البخاري ٣/ ٢٢٢، برقم ٢٦٩٧، ومسلم، ٣/ ٣٤٤، برقم ١٧١٨، وتقدم ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.
(٤) مسلم، ٣/ ٣٤٤، برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.
(٥) انظر: التحذير من البدع، لابن باز، ص ١٩.
(٦) يعني بحديث مكحول ما أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٥١٢، وابن حبان برقم ٥٦٦٥ [١٢/ ٤٨١]، والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٠٩، برقم ٢١٥، وأبو نعيم في الحلية، ٥/ ١٩١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٥/ ٢٧٢ برقم ٦٦٢٨، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه: «يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحن»، قال الألباني في=

ولا يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي»[1] .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : «وأخبرني أبو محمد المقدسي ، قال : «لم تكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان ، وأول ما حدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة [٤٤٨هـ] ، قدم علينا في بيت المقدس رجل من أهل نابلس يعرف بابن أبي الحمراء ، وكان حسن التلاوة فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهم ثالث ، ورابع ، فما ختمها إلا وهم في جماعة كبيرة ، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير ، ثم جاء من العام القابل فصلى معه خلق كثير ، وشاعت في المسجد ، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ، ومنازلهم ثم استقرت كأنها سنة إلى يومنا هذا»[2] .

وأخرج الإمام ابن وضاح بسنده أن ابن أبي مليكة قيل له إن زياداً النميري يقول إن ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر فقال ابن أبي مليكة : لو سمعته منه وبيدي عصاً لضربته بها ، وكان زيادُ قاضياً»[3] .

وقال الإمام أبو شامة الشافعي رحمه الله : «وأما الألفية فصلاة النصف

= سلسلة الأحاديث الصحيحة : حديث صحيح روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضاً ، وهم : معاذ بن جبل ، وأبو ثعلبة الخشني ، وعبدالله بن عمرو ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ، وأبي بكر الصديق ، وعوف بن مالك ، وعائشة رضي الله عنهم ، ثم خرج هذه الطرق الثمانية ، وتكلم على رجالها في أربع صفحات . قلت : فإن صح هذا الحديث في فضل ليلة النصف من شعبان كما يقول الألباني حفظه الله فليس فيه ما يدل على تخصيص ليلتها بقيام ولا يومها بصيام ، إلا ما كان يعتاده المسلم من العبادات المشروعة في أيام السنة ، لأن العبادات توقيفية .

(١) كتاب فيه ما جاء في البدع ، للإمام ابن وضاح ، المتوفى سنة ٢٨٧هـ ، ص ١٠٠ ، برقم ١١٩ .

(٢) كتاب الحوادث والبدع ، للطرطوشي ، المتوفى سنة ٤٧٤هـ ، ص ٢٦٦ ، برقم ٢٣٨ .

(٣) كتاب فيه ما جاء في البدع ، لابن وضاح ، ص ١٠١ ، برقم ١٢٠ ، ورواه الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع عن ابن وضاح ، ص ٢٦٣ ، برقم ٢٣٥ .

من شعبان سميت بذلك لأنها يقرأ فيها ألف مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لأنها مائة ركعة، في كل ركعة يقرأ الفاتحة مرة، وسورة الإخلاص عشر مرات. وهي صلاة طويلة مستثقلة لم يأتِ فيها خبر، ولا أثر، إلا ضعيف أو موضوع، وللعوام بها افتتان عظيم، والتزم بسببها كثرة الوقيد في جميع مساجد البلاد، التي تصلَّى فيها ويستمر ذلك الليل كله، ويجري فيه الفسوق والعصيان، واختلاط الرجال بالنساء، ومن الفتن المختلفة ما شهرته تغني عن وصفه، وللمتعبدين من العوامِّ فيها اعتقاد متين، وزين لهم الشيطان جعلها من أصل شعائر المسلمين»[1].

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله بعد كلام نفيس: «وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام: كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان ابن عامر، وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثارٌ إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف تعظيمها، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عباد أهل البصرة، وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز، منهم: عطاء، وابن أبي مليكه، ونقله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة، واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين:

إحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، كان خالد بن معدان، ولقمان بن عامر، وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم، ويتبخرون، ويكتحلون، ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم

(١) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، لعبدالرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، المتوفى سنة ٦٦٥هـ، ص ١٢٤.

إسحاق بن راهوية على ذلك، وقال في قيامها في المساجد ليس ذلك ببدعة، نقله عنه حرب الكرماني في مسائله.

والثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص، والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي، إمام أهل الشام، وفقيههم، وعالمهم، وهذا الأقرب إن شاء الله تعالى...»، ثم قال: «ولا يعرف للإمام أحمد كلامٌ في ليلة نصف شعبان، ويخرَّج في استحباب قيامها عنه روايتان، من الروايتين عنه في قيام ليلة العيد؛ فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ وأصحابه، واستحبها في رواية؛ لفعل عبدالرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف من شعبان، لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام»[1].

قال الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله: «وأما ما اختاره الأوزاعي رحمه الله من استحباب قيامها للأفراد، واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول فهو غريب وضعيف؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً لم يجزْ للمسلم أن يحدثه في دين الله، سواء فعله مفرداً أو في جماعة، وسواء أسره أو أعلنه، لعموم قول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]، وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها»[3]، فمما تقدم من كلام الإمام ابن وضاح، والإمام الطرطوشي، والإمام عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي

---

(١) لطائف المعارف، لابن رجب، ص ٢٦٣.
(٢) مسلم، ٣/ ١٣٤٤، برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.
(٣) التحذير من البدع، ص ٢٦.

شامة، والحافظ ابن رجب رحمهم الله، وإمام هذا الزمان عبدالعزيز ابن باز حفظه الله، يتضح أن تخصيص ليلة النصف من شعبان بصلاة أو غيرها من العبادة غير المشروعة بدعة لا أصل له من كتاب، ولا سنة، ولا عمله أحد من أصحاب النبي ﷺ.

خامساً: التبرك:

التبرُّك: هو طلب البركة، والتبرك بالشي: طلب البركة بواسطته[1].

ولاشك أن الخير والبركة بيد الله عز وجل، وقد اختص الله عز وجل بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة، وأصل البركة: الثبوت واللزوم، وتطلق على النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء، يقال: برّك عليه: أي دعا له بالبركة، ويقال: بارك الله الشيءَ وبارك فيه أو بارك عليه: أي وضع فيه البركة، وتبارك لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى، فلا يقال: تبارك فلان؛ لأن المعنى عظُم وهذه صفة لا تنبغي إلا لله عز وجل، واليُمن: هو البركة: فالبركة واليُمن لفظان مترادفان، وقد ظهر من معاني ألفاظ القرآن الكريم أن المقصود بالبركة عدة أمور، منها:

١- ثبوت الخير ودوامه.

٢- كثرة الخير وزيادته واستمراره شيئاً بعد شيء.

٣- وتبارك لا يوصف بها إلا الله، ولا تسند إلا إليه، وذكر ابن القيم رحمه الله أن تباركه سبحانه وتعالى: دوام جوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوّه، وعظمته وتقدسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب الباء مع الراء، مادة «برك»، ١/ ١٢٠، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص ٣٠.

دالة على جملة معان[1] ، والأمور المباركة أنواع منها :

١- القرآن الكريم مبارك : أي كثير البركات والخيرات ؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة ، وطلب البركة من القرآن يكون بتلاوته حق تلاوته والعمل بما فيه على الوجه الذي يرضي الله عز وجل .

٢- الرسول ﷺ مبارك ، جعل الله فيه البركة ، وهذه البركة نوعان :

(أ) بركة معنوية : وهي ما يحصل من بركات رسالته في الدنيا والآخرة ، لأن الله أرسله رحمة للعالمين ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، وختم به الرسل ، ودينه يحمل اليسر والسماحة .

(ب) بركة حسية ، وهي على نوعين : بركة في أفعاله ﷺ ، وهي ما أكرمه الله به من المعجزات الباهرة الدالة على صدقه ، وبركة في ذاته وآثاره الحسية : وهي ما جعل الله له ﷺ من البركة في ذاته ؛ ولهذا تبرك به الصحابة في حياته ، وبما بقي له من آثار جسده بعد وفاته[2] .

والتبرك بالنبي ﷺ في حياته لا يقاس عليه أحد من خلق الله عز وجل ؛ لما جعل الله فيه من البركة ، ولاشك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جعل الله فيهم البركة ، وكذا الملائكة ، والصالحين ، ولكن لا يتبرك بهم لعدم الدليل ؛ وكذلك بعض الأماكن مباركة : كالمساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، ثم سائر المساجد ، وقد جعل الله في بعض الأزمنة بركة : كرمضان ، وليلة القدر ، وعشر ذي الحجة ، والأشهر الحرم ، ويوم الاثنين والخميس ، والجمعة ، ووقت

---

(١) انظر : جلاء الإفهام ص ١٨٠ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ٣/ ٣٩ .
(٢) انظر : التبرك : أنواعه وأحكامه ، للدكتور ناصر الجديع ، ص ٢١-٦٩ .

النزول الإلهي في الثلث الآخر من الليل، وغير ذلك من الأزمنة المباركة، التي لا يتبرك بها المسلم وإنما يطلب البركة من الله عز وجل بقيامه بالأعمال الصالحة المشروعة فيها[١].

هناك أشياء مباركة: كماء زمزم، وكالمطر؛ لأن من بركاته: شرب الناس منه والأنعام والدواب، وإنبات الثمار والأشجار وشجرة الزيتون مباركة، واللبن مبارك، والخيل مباركة، والغنم مباركة، والنخيل مباركة[٢].

والتبرك المشروع يكون بأمور، منها ما يأتي:

١- التبرك بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، ويكون ذلك على الوجه المشروع، وهو طلب البركة من الله عز وجل بذكر القلب، واللسان، والعمل بالقرآن والسنة على الوجه المشروع؛ لأن من بركات ذلك اطمئنان القلب، وقوة القلب على الطاعة، والشفاء من الآفات، والسعادة في الدنيا والآخرة، ومغفرة الذنوب، ونزول السكينة، وأن القرآن يكون شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، ولا يتبرك بالمصحف كوضعه في البيت أو في السيارة وإنما التبرك يكون بالتلاوة والعمل به[٣].

٢- التبرك المشروع بذات النبي ﷺ في حياته؛ لأن النبي ﷺ مبارك في ذاته وما اتصل بذاته؛ ولهذا تبرك الصحابة رضي الله عنهم بذاته ﷺ، ومن ذلك، ما ثبت عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من

(١) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص ٧٠-١٨٢.
(٢) انظر: المرجع السابق: ص ١٨٣-١٩٧.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٤١.

المسك»[1] ، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى منى ، فأتى الجمرة فرماها ، ثم أتى منزله بمنى ونحر ، ثم قال للحلاق : «خذ» وأشار إلى جانبه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس» ، وفي رواية : «ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ، ثم ناوله الشق الأيسر»[2] ، فقال : «احلق» فحلقه ، فأعطاه أبا طلحة فقال : «أقسمه بين الناس»[3] ، وكان الصحابة يتبركون بثياب النبي ﷺ ومواضع أصابعه ، وبماء وضوئه ، وبفضل شربه ، وهو كثير[4] ، ويتبركون بالأشياء المنفصلة منه : كالشعر ، والأشياء التي استعملها وبقيت بعده : كالثياب ، والآنية ، والنعل ، وغير ذلك مما اتصل بجسده ﷺ[5] .

ولا يقاس عليه غيره ﷺ ؛ فإنه لم يؤثر عنه ﷺ أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم أو غيرهم ، ولم ينقل أن الصحابة رضي الله عنهم فعلوا ذلك مع غيره لا في حياته ولا بعد مماته ، ولم يفعلوه مع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ولا مع الخلفاء الراشدين المهديين ، ولا مع العشرة المشهود لهم بالجنة ، قال الإمام الشاطبي رحمه الله : «الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام ، لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه ، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنه ، وهو كان أفضل

---

(١) البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ٤/ ٢٠٠ ، برقم ٣٥٥٣ .
(٢) أي : ناول الحلاق .
(٣) مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ، ثم ينحر ، ثم يحلق ، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق ، ٢/ ٩٤٧ ، برقم ١٣٠٥ .
(٤) انظر : التبرك ، أنواعه وأحكامه ، للدكتور الجديع ، ص ٢٤٨-٢٥٠ .
(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٥٢-٢٦٠ .

الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها»[١] ، ولاشك أن الانتفاع بعلم العلماء، والاستماع إلى وعظهم، ودعائهم، والحصول على فضل مجالس الذكر معهم فيها من الخير والبركة والنفع الشيء العظيم، ولكن لا يتبرك بذواتهم وإنما يعمل بعلمهم الصحيح، ويقتدى بأهل السنة منهم[٢] .

٣- التبرك بشرب ماء زمزم؛ لأنه أفضل مياه الأرض، ويُشبع من شربه ويكفيه عن الطعام، ويستشفى بشربه مع النية الصالحة من الأسقام؛ لأنه لما شرب له؛ قال النبي ﷺ في ماء زمزم: **«إنها مباركة، إنها طعام طعم [وشفاء سقيم]»**[٣] ، وعن جابر رضي الله عنه يرفعه: **«ماء زمزم لما شرب له»**[٤] ، ويذكر أن النبي ﷺ «كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، فكان يصب على المرضى ويسقيهم»[٥] .

٤- التبرك بماء المطر، لاشك أن المطر مبارك لما جعل الله فيه من البركة: من شرب الناس منه، والأنعام، والدواب، وإنبات الأشجار، والثمار،

---

(١) الاعتصام للشاطبي، ٢/ ٨، ٩، وانظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص ٢٦١-٢٦٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٩-٢٧٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، ٤/ ١٩٢٢، برقم ٢٤٧٣، وما بين المعكوفين عند البزار، والبيهقي، والطبراني، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رجاله ثقات»، ٣/ ٢٨٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، ٢/ ١٠١٨، برقم ٣٠٦٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٨٣، وإرواء الغليل، ٤/ ٣٢٠.

(٥) الترمذي بنحوه، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب الحج، بابٌ: حدثنا أبو كريب، ٣/ ٢٨٦، برقم ٩٦٣، والبيهقي، ٥/ ٢٠٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ٢٨٤، والأحاديث الصحيحة، ٢/ ٥٧٢.

وأحيىٰ به الله كل شيء، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه، قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر. قال: فحسر[1] رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه»[2]، قال الإمام النووي رحمه الله: «ومعنى حديث عهد بربه: أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها، فيتبرك بها»[3].

والتبرك الممنوع منه ما يأتي:

١ - التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته ممنوع إلا في أمرين:

الأمر الأول: الإيمان به وطاعته واتباعه، فمن فعل ذلك حصل له الخير الكثير والأجر العظيم والسعادة في الدنيا والآخرة.

الأمر الثاني: التبرك بما بقي من أشياء منفصلة عنه ﷺ: كثيابه، أو شعره، أو آنيته، وقد تقدم بيان ذلك.

وما عدا ذلك من التبرك فلا يشرع، فلا يتبرك بقبره، ولا تشد الرحال لزيارة قبره، وإنما تشد الرحال لزيارة أحد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، وإنما تستحب الزيارة لقبره لمن كان في المدينة، أو زار المسجد ثم زار قبره، وصفة الزيارة: إذا دخل المسجد صلى تحية المسجد، ثم يذهب إلى القبر ويقف بأدب مستقبلاً الحجرة فيقول بأدب وخفض صوت: «السلام عليك يا رسول الله» وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يزيد على ذلك، وإن زاد «السلام

---

(١) أي: كشف بعض بدنه. شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٤٨.
(٢) أخرج مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، ٢/ ٦١٥، برقم ٨٩٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٤٨.

عليك يا رسول الله، يا خيرة الله من خلقه، أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وجاهدت في الله حق جاهده، ونصحت الأمة» فلا بأس بذلك لأن ذلك من صفاته[1] ، ولا يدعو عند القبر؛ لظنه أن الدعاء عنده مستجاب، ولا يطلب منه الشفاعة، ولا يتمسح بالقبر ولا يقبله ولا شيء من جدرانه، ولا يتبرك بالمواضع التي جلس فيها أو صلى فيها، ولا بالطرق التي سار عليها، ولا بالمكان الذي أنزل عليه فيه الوحي، ولا بمكان ولادته، ولا بليلة مولده، ولا بالليلة التي أسري به فيها، ولا بذكرى الهجرة، ولا غير ذلك مما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ[2] .

٢- من التبرك الممنوع: التبرك بالصالحين، فلا يتبرك بذواتهم، ولا آثارهم، ولا مواضع عباداتهم، ولا مكان إقامتهم، ولا بقبورهم، ولا تشد الرحال إلى زيارتها، ولا يصلى عندها، ولا تطلب الحوائج عند قبورهم، ولا يتمسح بها، ولا يعكف عندها، ولا يتبرك بمواليدهم، وغير ذلك ومن فعل شيئاً من ذلك تقرباً إليهم فقد أشرك بالله شركاً أكبر، إذا اعتقد أنهم يضرون أو ينفعون، أو يعطون أو يمنعون، أما من فعل ذلك يرجو البركة من الله بالتبرك بهم فقد ابتدع بدعة نكراء، وعمل عملاً قبيحاً[3] .

٣- من التبرك الممنوع: التبرك بالجبال والمواضع، لأن ذلك يخالف ما كان عليه النبي ﷺ، والتبرك بذلك يسبب تعظيم هذه الجبال والمواضع، ولا يجوز القياس على تقبيل الحجر الأسود أو الطواف بالبيت، فإن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز في الحج والعمرة، ٥/ ٢٨٩ .
(٢) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص ٣١٥-٣٨٠ .
(٣) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص ٣٨١-٤١٨ .

ذلك عبادة لله عز وجل توقيفية، ولا يمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة، لأن النبي ﷺ لم يستلم من الأركان إلا الركنين، اليمانيين باتفاق العلماء[١]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني»[٢].

وقال رحمه الله عند كلامه على خصائص مكة: «ليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غيرها»[٣]، وقال شيخ الإسلام في حكم الطواف بغير الكعبة: «وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة، ومن اتخذه ديناً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[٤]، ولا يجوز التمسح ولا تقبيل مقام إبراهيم ولا الحجر، ولا شيئاً من جدران المسجد، ولا يتبرك بجبل حراء، ويسمى جبل النور، ولا تشرع زيارته، ولا الصعود إليه ولا قصده للصلاة، ولا يتبرك بجبل ثور، ولا تشرع زيارته، ولا جبل عرفات، ولا جبل أبي قبيس، ولا جبل ثبير، ولا يتبرك بالدور: كدار الأرقم ولا غيرها، ولا تشرع زيارة جبل الطور، ولا تشد الرحال إليه، ولا يتبرك بالأشجار والأحجار ونحوها[٥].

وأسباب التبرك الممنوع: الجهل بالدين، والغلو في الصالحين، والتشبه بالكفار، وتعظيم الآثار المكانية[٦].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ٢/ ٧٩٩.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/ ٤٨.
(٣) زاد المعاد، ١/ ٤٨.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٦/ ١٢١.
(٥) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص ٤١٩-٤٦٤.
(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢٠-٤٨١.

وآثار التبرك الممنوع كثيرة منها: الشرك الأكبر، وهو أعظم الآثار وأشدها خطراً، إذا كان التبرك في حد ذاته شركاً، وإذا كان التبرك يؤدي إلى الشرك فيكون من وسائل الشرك الأكبر. ومن آثار التبرك الممنوع الابتداع في الدين، واقتراف المعاصي، والوقوع في أنواع الكذب، وتحريف النصوص وتحميلها ما لا تحمل، وإضاعة السنن، والتغرير بالجهال، وإضاعة الأجيال، كل هذه الأمور من آثار التبرك المحرم المذموم.

أما وسائل مقاومة التبرك الممنوع، فمنها: نشر العلم، والدعوة إلى منهج الحق، وإزالة وسائل الغلو ومظاهر التبرك، وتحطيم كل وسيلة من هذه الوسائل(١) .

قال العلامة السعدي رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد: باب من تبرك بشجرة أو حجرة أو نحوهما: «أي فإن ذلك من الشرك ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار، والأحجار، والبقع، والمشاهد وغيرها؛ فإنَّ هذا التبرك غلوٌّ فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحديث عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم، وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس، وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله، وخضوع لعظمته، فهو روح التعبُّد. فهذا تعظيم للخالق وتَعبُّدٌ له، وذلك تعظيم للمخلوق، وتألُّه له.

---

(١) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص ٤٨٣-٥٠٦، واقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٧٩٥-٨٠٢، وكتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ٩٣.

والفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاصٌ وتوحيدٌ، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد»[١] .

سادساً: بدع منكرة مختلفة، كثيرة جداً:

منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١- الجهر بالنية: كأن يقول المسلم: نويت أن أصلي لله كذا وكذا، أو نويت أن أصوم هذا اليوم فرضاً أو نفلاً لله تعالى، أو يقول نويت أن أتوضأ، أو نويت أن أغتسل، أو نحو ذلك، وهذا التلفظ بالنية بدعة؛ لأن ذلك ليس من هدي النبي ﷺ؛ ولأن الله عز وجل يقول: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢] ، والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «النية هي: قصد القلب ولا يجب التلفظ بما في القلب في شيء من العبادات»[٣] .

٢- الذكر الجماعي بعد الصلوات؛ والمشروع أن يقول كل واحد الذكر الوارد منفرداً، كما كان النبي ﷺ يذكر الله عز وجل أدبار الصلوات، وكما عمله الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم المطبقون لسنته عليه الصلاة والسلام، فلاشك أن الذكر الجماعي بدعة مخالف لهدي النبي ﷺ.

٣- طلب قراءة الفاتحة على أرواح الأموات، أو تقرأ على الأموات، أو قراءتها بعد الدعاء للأموات أو عند خطبة النكاح، كل ذلك من البدع المنكرة التي لم ترد عن رسول الله ﷺ، ولم يفعلها الصحابة رضي الله

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص ٥١ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٦ .

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٩٢ .

عنهم، وهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ، فعلم بذلك أن هذا الفعل بدعة محدثة منكرة.

٤- إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين لقراءة القرآن، يزعمون أن ذلك من باب العزاء، وأنه ينفع الميت، وكل ذلك من البدع، والأغلال التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٥- الأذكار الصوفية بأنواعها التي تخالف هدي محمد ﷺ، سواء كانت المخالفة في الصيغة، و الهيئة، أو الوقت؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

٦- البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، ودفن الأموات فيها، والصلاة إلى القبور، وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بأصحابها أو غيرهم من الموتى، والتبرك بالصلاة عند قبورهم، أو الدعاء عندها، وزيارة النساء للقبور، واتخاذ السرج عليها كل ذلك من البدع المنكرة القبيحة[2].

○ المسلك التاسع: توبة المبتدع:

لاشك أن البدعة أخطر من المعاصي؛ فإن المعاصي إذا اجتمعت على الإنسان وأصر عليها أهلكته، والبدعة أشد هلاكاً من المعاصي، كما قال سفيان الثوري رحمه الله: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع

(١) مسلم، ٣/ ٣٤٤، برقم ١٧١٨، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.
(٢) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ٩٤.
(٣) شرح السنة، للبغوي، ١/ ٢١٦.

الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب مادام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، وبأنه ترك حسناً مأمور به أمر إيجاب أو استحباب؛ ليتوب ويفعله، فمادام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب»[(١)] ، ثم قال: «ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين، وطوائف أهل البدع والضلال»[(٢)] ، وقال رحمه الله: ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً»[(٣)] ، فقد فسر شيخ الإسلام حديث حجب التوبة عن صاحب البدعة بكلامه هذا تفسيراً واضحاً ولله الحمد، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة**»[(٤)] ، وقد وضح المعنى لهذا الحديث في كلام ابن تيمية رحمه الله آنفاً، ولاشك أن النصوص يفسر بعضها بعضاً، والله عز وجل بين لعباده أنه يقبل توبة التائبين إذا أقلعوا عن جرائمهم، وندموا وعزموا على أن لا يعودوا، وردوا الحقوق إلى أهلها إن وجدت فقال سبحانه بعد أن ذكر المشركين والقتلة، والزناة وتوعدهم بالإهانة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٥)] ، وقال عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٠/ ٩.
(٢) المرجع السابق، ١٠/ ٩-١٠.
(٣) المرجع السابق، ١١/ ٦٨٥.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٨/ ٦٢، برقم ٤٧١٣ [مجمع البحرين في زوائد المعجمين] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح، غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة، ١٠/ ١٨٩، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٥٤، برقم ١٦٢٠، وذكر طرقه الأخرى.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٠

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]، وهذه التوبة تعم من تاب من الملحدين والكافرين، والمشركين، والمبتدعين، وغيرهم ممن تاب من أهل المعاصي، إذا اكتملت شروط التوبة، ولله الحمد.

○ المسلك العاشر: آثار البدع وأضرارها:

البدع لها آثار خطيرة، وعواقب وخيمة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي:

١ ـ البدع بريد الكفر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع**» فقيل: يارسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولائك**»[٤]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم**» قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»[٥].

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ٨/ ١٩١، برقم ٧٣١٩.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ٨/ ١٩١، برقم ٧٣٢٠، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤، برقم ٢٦٦٩.

٢ ـ القول على الله بغير علم؛ لأن الناظر في سير المبتدعة يجدهم أكثر الناس كذباً على الله ورسوله ﷺ، وقد حذر الله تعالى عن التقوُّل عليه فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1]. وحذر النبي ﷺ عن الكذب عليه، وتوعد من فعل ذلك بالعذاب الشديد، فقال ﷺ: **«من تعمد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»**[2].

٣ ـ بغض المبتدعة للسنة وأهلها، وهذا مما يدل على خطورة البدع، قال الإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني رحمه الله: «وعلامات أهل البدع ظاهرة على أهلها بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم»[3].

٤ ـ رد عمل المبتدع؛ لقول النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[4].

٥ ـ سوء عاقبة المبتدع؛ لأن الشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من عدة عقبات: العقبة الأولى: الشرك بالله تعالى، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه الشيطان على عقبة البدعة، وهذا يؤكد أن البدع أخطر من المعاصي[5]، ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله:

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ١/ ٤١، برقم ١٠٨، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، ١/ ٧، برقم ٢.

(٣) عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث ص ٢٩٩.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري، ١/ ٩، برقم ١، ومسلم، ٢/ ١٥١٥، برقم ١٩٠٧، وتقدم تخريجه ص ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣٣.

(٥) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٢٢٢.

«البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»[١] ، وهذا في الغالب، والله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٦ ـ انعكاس فهم المبتدع، فيرى الحسنة سيئة، والسيئة حسنة، والسنة بدعة، والبدعة سنة، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «والله لتفشُوَنَّ البدع حتى إذا تُرِكَ منها شيء قالوا: تُرِكت السنة»[٢] .

٧ ـ عدم قبول شهادة المبتدع وروايته، فقد أجمع أهل العلم من المحدِّثين والفقهاء وأصحاب الأصول على أن المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته، وأما الذي لا يكفر ببدعته فاختلفوا في قبول روايته، ورجح الإمام النووي رحمه الله أن روايته تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل إذا كان داعية[٣] .

٨ ـ المبتدعة أكثر من يقع في الفتن، وقد حذر الله عز وجل من الفتن فقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤] ، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥] ، فهل هناك فتنة أخطر من مخالفة سنة رسول الله ﷺ وعصيان أمره؟ وقد حث النبي ﷺ على الأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن فقال: «بادروا بالأعمال

(١) شرح السنة، للبغوي، ١/٢١٦.
(٢) أخرجه الإمام محمد بن وضاح، في كتاب فيه ما جاء في البدع، ص١٢٤، برقم ١٦٢، وانظر: آثاراً في ذلك لابن وضاح في كتابه هذا ص١٢٤ـ١٥٦.
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٧٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٥) سورة النور الآية: ٦٣.

فتناً كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا»(١).

٩ ـ المبتدع استدرك على الشريعة، لأنه ببدعته نصب نفسه مشرعاً مكملاً للدين، والله عز وجل قد أكمل الدين وأتم النعمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢)، وبيَّن سبحانه أنه بيَّن في القرآن الكريم كل شيء، قال عز وجل: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

١٠ ـ المبتدع يلتبس عليه الحق بالباطل، لأن العلم نور يهدي الله به من يشاء من عباده، والمبتدع حُرِمَ التقوى التي يُوفَّقُ صاحبها لإصابة الحق، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤).

١١ ـ المبتدع يحمل إثمه وإثم من تبعه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلم من آثامهم شيئاً»(٥).

١٢ ـ البدعة تُدخِل صاحبها في اللعنة، ففي الحديث الذي رواه

---

(١) مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ١/ ١١٠، برقم ١١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٥) مسلم، ٤/ ٢٠٦٠، برقم ٢٦٧٤، وتقدم تخريجه ص ٢٣٤.

أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال فيمن أحدث في المدينة : «**من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»[١] ، قال الإمام الشاطبي رحمه الله : «وهذا الحديث في سياق العموم فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافي الشرع ، والبدع من أقبح الحدث»[٢] .

١٣ـ المبتدع يحال بينه وبين الشرب من حوض النبي ﷺ ، يوم القيامة ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم**»[٣] ، وفي لفظ فأقول : «**إنهم مني**» فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : «**سحقاً سحقاً لمن غير بعدي**»[٤] ، وعن شقيق عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**ياربِّ أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٥] ، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناسٌ من دوني فأقول : يارَبِّ مني ومن أمتي فيقال : هل شَعَرْت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**» ، فكان ابن أبي

---

(١) متفق عليه : البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب إثم من آوى محدثاً ، ٨/ ١٨٧ ، برقم ٧٣٠٦ ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة ، ٢/ ٩٩٤ ، برقم ١٣٦٦ .

(٢) الاعتصام ، ١/ ٩٦ .

(٣) متفق عليه : البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في حوض النبي ﷺ ، ٧/ ٢٦٤ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، ٤/ ١٧٩٣ ، برقم ٢٢٩٠ .

(٤) البخاري ، كتاب الرقائق ، باب في حوض النبي ﷺ ، ٧/ ٢٦٤ ، برقم ٦٥٨٣ .

(٥) متفق عليه : البخاري ، كتاب الرقائق ، باب في حوض النبي ﷺ ٧/ ٢٦٢ ، برقم ٦٥٧٥ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، ٤/ ١٧٩٦ ، برقم ٢٢٩٧ .

مليكة يقول: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن في ديننا»[١] .

١٤ـ المتبدع مُعرِضٌ عن ذكر الله؛ لأن الله عز وجل شرع لنا أذكاراً ودعوات في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، فمنها ما هو مقيد: كأذكار أدبار الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ منه، ومنها ما هو مطلق لم يحدد بزمان ولا مكان، قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٢] ، فالمبتدعة معرضون عن هذه الأذكار: إما بانشغالهم ببدعهم وافتتانهم بها، وإما باستبدال الأذكار المشروعة بأذكار بدعية، استغنوا بها عما شرع الله ورسوله ﷺ فأعرضوا بها عن ذكر الله تعالى[٣] .

١٥ـ المبتدعة يكتمون الحق ويخفونه على أتباعهم، وقد توعد الله هؤلاء وأمثالهم باللعنة، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[٤] .

١٦ـ عمل المبتدع يُنَفِّر عن الإسلام، فإذا عمل بخرافات بدعته سَبَّبَ ذلك سخرية أعداء الإسلام بالدين الإسلامي، وهو من هذه البدع بريء[٥] .

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقائق، باب في حوض النبي ﷺ، ٧/ ٢٦٦، برقم ٦٥٩٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ٤/ ١٧٩٤، برقم ٢٢٩٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١ ـ ٤٢.

(٣) انظر: تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح بن سعد السحيمي، ص١٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٥) انظر: تنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي، ص١٩٥.

١٧ـ المبتدع يفرق الأمة؛ فإنه ببدعته يفرق هو وأتباعه المسلمين، فيوجد بسبب ذلك أحزاباً وشيعاً متفرقة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾(١).

١٨ـ المبتدع المجاهر ببدعته تجوز غيبته؛ لتحذير الأمة من بدعته، ولاشك أن من أظهر بدعته فهو أشد خطراً ممن أظهر فسقه، والغيبة محرمة بالكتاب والسنة، ولكن تباح بغرض شرعي لستة أسباب(٢): التظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، وتحذير المسلمين من الشر، وإذا جاهر بفسقه، وبدعته، والتعريف(٣)، وقد جمع بعضهم هذه الأمور الستة في قوله:

القدحُ ليس بغيبةٍ في ستةٍ ... متظلمٍ ومعرفٍ ومحذرِ

ومجاهر فسقاً ومستفتٍ ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر(٤)

١٩ـ المبتدع متبع لهواه معاند للشرع، ومشاق له(٥).

٢٠ـ المبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الله وضع الشرائع وألزم المكلفين بالجري على سننها(٦).

والله أسأل لي ولجميع المسلمين العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٢، وانظر: تنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي، ص١٥٣ـ١٩٨.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧١، ٧/ ٨٦.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٤٣.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/ ٦١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ١/ ٦١ـ ٧٠.

المبحث السابع: نور التقوى وظلمات المعاصي

المطلب الأول: نور التقوى

○ المسلك الأول: مفهوم التقوى:

التقوى لغة: الحذر، يقال: اتقيت الشيء، وتَقَيْتُهُ أتقيه تُقَى، وتقيّةً، وتِقاءً: حذرتُه. وقوله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[1] أي هو أهلٌ أن يتقى عقابه، وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته[2].

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه: من غضبه وسخطه، وعقابه وقايةً تقيه من ذلك. وهو فعل طاعته واجتناب معصيته[3]، فظهر من ذلك أن حقيقة التقوى كما قال طلق بن حبيب رحمه الله: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»[4].

ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات، والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعلُ المندوبات، وترك المكروهات، وهو أعلى درجات التقوى[5]، وقد عرف التقوى الكاملة الصحابي

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٥٦.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، باب الياء، فصل الواو، مادة «وقي»، ١٥/ ٤٠٢، والقاموس المحيط، باب الياء، فصل الواو، مادة «وقى»، ص ١٧٣١.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٣٩٨، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير، ٢/ ١٨١.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤٠٠.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٣٩٩.

الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[١]، فقال: «أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر»[٢]، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته، وسكناته، وكلماته: فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها»[٣]، وذكر الإمام القرطبي رحمه الله: «أن قول الله عز وجل: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ بينه قوله تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٤] وأن المعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم وبين أن هذا أصوب من القول بالنسخ، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى»[٥].

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى؟ فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيتُ الشوكَ عدلتُ عنه، أو جاوزتُه، أو قصرتُ عنه، قال: ذاك التقوى. وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خلِّ الذنوب صغيرَها وكبيرَها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يَرَى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، ٩/ ٩٢، برقم ٨٥٠٢، والحاكم في المستدرك، ٢/ ٢٩٤، وابن جرير في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/ ٦٥، وذكر طرقاً كثيرة من رقم ٧٥٣٦ إلى رقم ٧٥٥١.
(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠١.
(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ١٦٦.

لا تحقـــرنَّ صغيـــرة إن الجبالَ من الحصى[١]

○ **المسلك الثاني: أهمية التقوى:**

التقوى من أهم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لأمور، منها:

أولاً: أن الله عز وجل أوصى الأولين والآخرين بالتقوى فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[٢] ، فهذه وصية عظيمة للأولين والآخرين بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن ضيعها وأهملها بأليم العقاب، ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ .

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ ﴾ بأن تتركوا تقوى الله وتشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم ولا تضرون الله شيئاً، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له، خاضعون لأمره؛ ولهذا رتب على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ له الجود الكامل، والإحسان الشامل، الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار»[٣] ، ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، والحميد من أسماء الله تعالى الحسنى الدال على أنه المستحق لكل حمد ومحبة، وثناء وإعظام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال؛ ولما أنعم به على

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١٧١ .

خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال، وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين «الغني الحميد» فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر[١] .

ثانياً: أمر الله عز وجل بالتقوى وأوجب العمل بها على عباده في آيات كثيرة، منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٢] .

٢- وقال عز وجل: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٣] .

٣- وقال عز وجل: ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤] .

٤- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٥] .

٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٦] .

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة جداً[٧] .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٧١ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٨، وانظر: الآية: ١٢٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣١ .

(٥) سورة النساء، الآية: ١ .

(٦) سورة الحشر، الآية: ١٨ .

(٧) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٥٩-٧٦٠، فقد ذكر الأمر بالتقوى في تسعة وسبعين موضعاً في القرآن الكريم.

ثالثاً: أمر النبي ﷺ بالتقوى وحث عليها في أحاديث كثيرة، منها:

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالِكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربّكم**»[1].

٢- أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالتقوى، ووصيته لرجل واحد وصية للأمة فقال: «**اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[2]، وقوله ﷺ: «**اتقِ الله حيثما كنت**» قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «مراده في السر والعلانية، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه»[3]، وكان النبي ﷺ يسأل الله عز وجل خشيته في السر والعلانية فيقول في دعائه: «. . . **أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»[4]، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وخشية الله في الغيب والشهادة: هي من المنجيات»[5]، وقال: «وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفُلُ ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب[6]

(١) الترمذي، كتاب الصلاة، بابٌ منه: ١/ ٢، برقم ٦١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ١٩٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٦٧.

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ٤/ ٣٥٥، برقم ١٩٨٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد في المسند، ٥/ ١٥٣، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٤.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.

(٤) النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر: نوع آخر، ٣/ ٥٤، برقم ١٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٢٨٠، وهو حديث طويل.

(٥) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.

(٦) المرجع السابق، ١/ ٤٠٩.

وقال ابنُ السَّمَّاك رحمه الله(١) ينشد:

يا مدمن الذنب أما تستحي ... واللهُ في الخلـوةِ ثـانيكـا
غـرَّك مـن ربـك إمهـالُـهُ ... وسَتْرُهُ طُولَ مساويكا(٢)

وقال أبو محمد عبدالله بن محمد الأندلسي القحطاني رحمه الله في نونيته:

وإذا ما خلوت بريبة في ظُلْمَةٍ ... والنفـسُ داعيـةٌ إلى الطُّغيـانِ
فاستحي من نَظَرِ الإلـه وقُل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني(٣)

وقال آخر:

يا من يرى مدَّ البعُوضِ جناحه ... في ظلمـة الليـل البهيـم الأليَـلِ
ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخ يجري في تلك العظام النُّحَلِ
امنـن علـيَّ بتـوبـةٍ تمحـو بهـا ... ما كان مني في الزمانِ الأولِ

٣- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها مـوعظـة مودِّع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة...**»(٤). قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة»(٥).

٤- وعن بريدة رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ

---

(١) هو الزاهد القدوة سيد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي ابن السماك، المتوفى سنة ١٩٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨/ ٣٢٨-٣٣٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤١٠.

(٣) نونية القحطاني، ص ٢٥.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤/ ٢٠١، برقم ٤٦٠٧، والترمذي ٥/ ٤٤، برقم ٢٦٧٦، وأحمد في المسند ٤/ ٤٦، وابن ماجه ١/ ١٥، برقم ٤٣، ٤٤، وتقدم تخريجه ص ٢٣٤.

(٥) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١١٦.

أميراً على جيشٍ أو سرية أوصاه في خاصّتِهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. . .»[١] .

٥- ولأهمية التقوى دعا النبي ﷺ ربه فسأله التقى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[٢] .

رابعاً: أكثر ما يدخل الجنة التقوى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الفم والفرج**»[٣] .

خامساً: التقوى أهم من اللباس الحسي الذي لا غنى للإنسان عنه؛ لأن لباس التقوى لا يبلى ولا يبيد، ويستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهر فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع، وبتقدير عدم هذا اللباس تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها مع الضرورة، أما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنه تنكشف عورته الباطنة وينال الخزي والفضيحة[٤] ، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾[٥] ، وهذا اللباس

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ٣/ ١٣٥٦، برقم ١٧٣١ .

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما علم ومن شر ما لم يعلم، ٤/ ٢٠٨٧، برقم ٢٧٢١ .

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ٤/ ٣٦٣، برقم ٢٠٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح غريب»، وحسن الألباني إسناده، في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ١٩٤ .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٨ .

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٦ .

هو الذي لا يستغني عنه الإنسان طرفة عين، وبدونه لا قيمة له ولا كرامة ولا فلاح، ولقد أحسن القائل حين قال:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

سادساً: التقوى أهم من الطعام والشراب، قال الله عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن من كرم الرجل طيب زاده في السفر»[2]، وأمر الله عز وجل بالتزود في السفر؛ لأن في التزود الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، ولأن التزود فيه نفع وإعانة للمسافرين، وهذا الزاد المراد منه: إقامة البنية: بلغةً ومتاعاً. ولما أمر الله بالزاد للسفر في الدنيا أمر بالزاد الحقيقي: زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، وهو الزاد المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى، الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل إلى أكمل لذة، وأجلِّ نعيم، ومن ترك هذا الزاد فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين[3]، وقد أحسن القائل:

تزود من التقى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

○ **المسلك الثالث: صفات المتقين:**

المتقون لهم صفات وأعمال نالوا بها السعادة في الدنيا والآخرة ومن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٢٢٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٤.

هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أولاً: قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1]، ففي هذه الآيات مجموعة مباركة من صفات المتقين هي:

١- الإيمان بالغيب.
٢- إقام الصلاة.
٣- الإنفاق الواجب والمستحب في جميع طرق الخير.
٤- الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة السابقة.
٥- الإيقان والإيمان الكامل بالآخرة، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك.

ومن عمل بهذه الصفات كان على الهدى العظيم، وكان من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة[2].

ثانياً: قال الله عز وجل: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3] ففي هذه الآية العظيمة بين الله عز وجل كثيراً من أعمال

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٤.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

المتقين وصفاتهم الكريمة العظيمة، وهي:

١- الإيمان بالله عز وجل.
٢- الإيمان باليوم الآخر.
٣- الإيمان بالملائكة.
٤- الإيمان بالكتب التي أنزل الله عز وجل.
٥- الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
٦- إعطاء المال، للأقرباء، واليتامي، والمساكين، والمسافرين، والسائلين، وإعتاق الرقاب.
٧- إقام الصلاة.
٨- إيتاء الزكاة.
٩- الوفاء بالعهد.
١٠- الصبر في الفقر، والمرض، ووقت قتال الأعداء.
١١- الصدق في الأقوال والأفعال والأحوال.

فهؤلاء الذين عملوا هذه الأعمال صدقوا في إيمانهم؛ لأن أعمالهم صدَّقت إيمانهم، وهم المفلحون؛ لأنهم تركوا المحظورات وفعلوا المأمورات؛ ولأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير: تضمناً ولزوماً؛ لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ومن قام بهذه الأعمال كان لما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون، المتقون[1].

ثالثاً: قال الله عز وجل بعد أن بين أن الشهوات زينت للناس: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٦.

بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[1] ، وقد ظهرت أعمال مباركة وصفات كريمة من صفات المتقين في هذه الآيات الثلاث ، هي :

١- التوسل إلى الله عز وجل بالإيمان به .
٢- طلب المغفرة من الله عز وجل .
٣- طلبهم من الله عز وجل الوقاية من عذاب النار .
٤- الصبر على طاعة الله ، وعن محارم الله ، وعلى أقدار الله المؤلمة .
٥- الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .
٦- القنوت الذي هو دوام الطاعة مع الخشوع .
٧- الإنفاق في سبيل الخيرات على الفقراء وأهل الحاجات .
٨- الاستغفار خصوصاً وقت الأسحار ، لأنهم مدوا الصلاة إلى وقت السحر فجلسوا يستغفرون الله تعالى[2] .

فهؤلاء لهم أصناف الخيرات والنعيم المقيم ، ولهم رضوان الله ، الذي هو أكبر من كل شيء ، ولهم الأزواج المطهرة من كل آفة ونقص : جميلات الأخلاق ، كاملات الخلائق[3] .

رابعاً: قال الله عز وجل : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٥-١٧ .
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ص ١٠٣ .
(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، ٦/ ٢٥٩-٢٦٧ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ص ١٠٣ .

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1] ، في هذه الآيات أعمال عظيمة وصفات كريمة لأهل التقوى ذكرها الله بعد أن أمرهم بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي أعدها للمتقين، وهذه الصفات على النحو الآتي:

١- الإنفاق: في العسر واليسر، والشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض.

٢- كظم الغيظ وعدم إظهاره، والصبر على مقابلة المسيء إليهم، فلا ينتقمون منه.

٣- العفو عن كل من أساء إليهم بقول أو فعل.

٤- ذكر الله وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين فيسألوه المغفرة لذنوبهم.

٥- المبادرة للتوبة والاستغفار عند عمل السيئات الكبيرة والصغيرة.

٦- عدم الإصرار على الذنوب والاستمرار عليها، بل تابوا عن قريب.

ثم بين الله عز وجل جزاءَهم على عمل هذه الصفات: مغفرة من ربهم وجنات فيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2] .

خامساً: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٣٨٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص١١٦.

ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1] .

في هذه الأيات أعمال عظيمة من أعمال المتقين، وصفات كريمة، هي:

١- الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى عباد الله.

٢- صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان، فكان نومهم بالليل قليلاً.

٣- الاستغفار بالأسحار قبيل الفجر، فقد مدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله.

٤- الإنفاق على المحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يسألونهم.

وهذه صفات المتقين الذين أدخلهم الله الجنات المشتملات على جميع أصناف الأشجار والفواكه، وعلى العيون السارحة تشرب منها تلك البساتين، ويشرب منها عباد الله المتقون[2] .

وهذه نماذج وأمثلة من صفات المتقين، وهي كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

○ المسلك الرابع: ثمرات التقوى:

التقوى لها ثمرات يجنيها المتقي في الدنيا والآخرة، وعلى حسب العمل بصفات المتقين يكون السبق في الحصول على هذه الثمرات، ومن هذه الثمار على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٩.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٥١.

أولاً: الانتفاع بالقرآن الكريم، والفوز بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق، قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١).

ثانياً: معية الله مع المتقين، قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٣)، وهذه معية التوفيق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، كما قال الله عز وجل حكاية عن محمد ﷺ وقوله لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٤)، وأما المعية العامة فهي معية شاملة لكل شيء، بسمعه، وبصره، وعلمه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٥).

ثالثاً: المكانة العالية عند الله يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٦).

رابعاً: التوفيق لنيل العلم النافع وتحصيله، قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٧).

خامساً: التقوى تثمر دخول الجنة وما فيها من أنواع النعيم، ومن ذلك، ما يلي:

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١-٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

١- الفوز بالجنة، قال الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[١].

٢- ميراث الجنة، قال عز وجل: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٤].

٣- المتقون لهم نعم الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[٥].

٤- نيل ما تشتهيه الأنفس، قال الله عز وجل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٧].

٥- المتقون يحشرون وفداً، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[٨]، ذكر الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن علي رضي الله عنه: أنهم يحشرون على نوق من الإبل عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد، يركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[٩].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٠.
(٦) سورة النحل، الآية: ٣١.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٧١.
(٨) سورة مريم، الآية: ٨٥.
(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨/ ٢٥٤-٢٥٥.

٦- المتقون تقرب لهم الجنة، قال الله عز وجل: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[٢].

٧- المتقون لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف، يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال الله عز وجل: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[٤].

٨- المتقون لا يمسهم العذاب بل ينجيهم الله بنجاتهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٥].

٩- المتقون يسلمون من عذاب جهنم ويمرون على الصراط، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٦].

١٠- صحبة المتقين ومحبتهم دائمة في الدنيا والآخرة، وكل صحبة غيرها فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٧].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٩٠.
(٢) سورة ق، الآية: ٣١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٠.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦١.
(٦) سورة مريم، الآيتان: ٧١-٧٢.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

١١- المتقون لهم المقام الأمين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

١٢- التقوى تثمر ورود أنهار الجنة والشرب منها، قال الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[2].

١٣- المتقون في مقعد صدق عند الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[3].

١٤- المتقون أثمرت لهم تقواهم السير تحت ظلال أشجار الجنة، والتنعم بما يشتهون، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها**»[5].

---

(١) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٣) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٤) سورة المرسلات، الآيات، ٤١-٤٣.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٧/ ٢٥٦، برقم ٦٥٥٣، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ٤/ ٢١٧٥، برقم ٢٨٢٦.

١٥- المتقون لهم حسن المرجع في الجنة، قال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾(١).

سادساً: محبة الله للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٣)، وقال النبي ﷺ: «إن الله يحبُ العبدَ التَّقِيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ»(٤)، وذكر الإمام القرطبي، والإمام النووي رحمهما الله: أن المراد بالغني غني النفس، هذا هو المعنى المحبوب؛ لقوله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»(٥)، وقيل: يعني به: من استغنى بالله ورضي بما قسم الله له، والخفي: يعني به الخامل الذي لا يريد العلوَّ في الدنيا، ولا الظهور في مناصبها، وجاء في بعض الروايات: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الحفي»، ومعنى: الحفي: أي العالم من قوله: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾(٦)، وقيل: الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والساعي في حوائجهم(٧)، وقال

---

(١) سورة ص، الآيات: ٤٩-٥٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤، والآية: ٧.
(٤) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب، ٤/ ٢٢٧٧، برقم ٢٩٦٥، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، ٧/ ٢٢٨، برقم ٦٤٤٦، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، ٢/ ٧٢٦، برقم ١٠٥١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٧) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٧/ ١٢٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣١٤.

النووي : «والصحيح بالمعجمة» أي : «الخفي»[1] .

سابعاً: عدم الخوف من ضرر وكيد الأعداء ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2] .

ثامناً: التقوى سبب لنزول المدد من السماء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[3] .

تاسعاً: التقوى تثمر عدم العدوان وعدم إيذاء عباد الله ، قال الله عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[4] ، وقال سبحانه وتعالى في قصة مريم : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[5] .

عاشراً: قبول الأعمال الصالحة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[6] .

الحادي عشر: حصول الفلاح ؛ لأن من اتقى الله أفلح كل الفلاح ، ومن ترك تقواه حصل له الخسران ، وفاتته الأرباح ، قال الله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[7] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآيات : ١٢٣-١٢٥ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٢ .

(٥) سورة مريم، الآيتان : ١٧-١٨ .

(٦) سورة المائدة، الآية : ٢٧ .

(٧) سورة المائدة، الآية : ١٠٠ .

الثاني عشر: التقوى تمنع صاحبها الزيغ والضلال بعد الهداية، قال الله عز وجل: : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وصراط الله الموصل إليه وإلى جنته ما بينه الله عز وجل في كتابه من الأحكام والشرائع، والأخلاق الكريمة، فمن اتبع صراط الله عز وجل بالقيام بالمأمورات والابتعاد عن المنهيات ـ اعتقاداً، وعلماً، وعملاً، وقولاً ـ نال الفوز والفلاح، وكان من عباد الله المتقين، وسلم من الزيغ والضلال[2].

الثالث عشر: السلامة من الخوف والحزن، فمن اتقى ما حرم الله عليه: من الشرك، والكبائر، والصغائر، وأصلح أعماله الظاهرة والباطنة، فلا خوف عليه من الشر، ولا يحزن على ما مضى، فإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة والفلاح الأبدي[3]، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[4].

الرابع عشر: التقوى تثمر فتح البركات من السماء والأرض، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[5]، وقال عز وجل في أهل الكتاب: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٣.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

الخامس عشر: الحصول علي رحمة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2].

السادس عشر: التقوى تثمر الفوز بولاية الله، قال الله عز وجل: ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4].

السابع عشر: التقوى تثمر توفيق صاحبها للتفريق بين الحق والباطل، قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[5].

فقد بين الله عز وجل أن من اتقاه حصل له أربعة أمور عظيمة كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان، وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، **والثاني والثالث:** تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الاطلاق وعند الاجتماع: يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر. **الرابع:** الأجر العظيم والثواب الجزيل[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٩.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٨١.

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

الثامن عشر: التقوى تثمر حماية الإنسان من ضرر الشيطان، فيذكر صاحبها ما أوجب الله عليه، ويبصر ويستغفر، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[3] .

التاسع عشر: البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4] ، أما البشرى في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة[5] ، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال، والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[6] .

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١ .

(٤) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤ .

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، ٤/ ١٧٧٤، برقم ٢٢٦٣، ٢٢٦٤ .

(٦) مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أُثنيَ على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ٤/ ٢٠٣٤، برقم ٢٦٤٢ .

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضا الله تعالى عنه، ومحبته له فيحببه إلى الخلق... هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم»[١]، وأما البشارة في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، والبشارة في القبر برضى الله والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم[٣].

العشرون: حفظ الأجر؛ فإنه من يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الطاعات، وعن المحرمات، وعلى أقدار الله المؤلمة لا يضيع الله أجره، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

الحادي والعشرون: العاقبة الحميدة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، وقال عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٧]، وقال سبحانه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٤٢٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٢٤، والطبعة القديمة ٣/ ٣٦٧.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٠.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.
(٧) سورة هود، الآية: ٤٩.

وتعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١) ، وكان النبي ﷺ يدعو بحسن العاقبة فيقول: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»(٢) .

الثاني والعشرون: الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة للمتقين، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٣) .

الثالث والعشرون: التقوى تفرق بين المؤمنين والفجار، قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(٤) ، وقال عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٥) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٦) ، فالله عز وجل لا يجعل المتقين القائمين بما أمر به المبتعدين عما نهى عنه، كالمفسدين في الأرض والمكثرين من الذنوب المقصرين في حقوق ربهم؛ فإن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل المتقين القانتين لربهم المنقادين لأوامره، المتبعين مراضيه كالمجرمين الذين وقعوا في معاصيه والكفر بآياته، ومن ظن أنه

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) أحمد في المسند، ٤/ ١٨١، والطبراني في الكبير، ٢/ ٣٣، برقم ١١٩٦، ١١٩٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٧٨: رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٢.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٦) سورة القلم، الآيات: ٣٤-٣٦.

تعالى يسوِّى بين هؤلاء في الدنيا والآخرة فقد أساء الحكم وحكمه باطل ورأيه فاسد؛ فإن الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين المتقين لهم النصر، والفلاح، والسعادة في العاجل والآجل كل على قدر عمله، وأن المجرمين المسيئين لهم الغضب والإهانة، والعذاب، والشقاء في الدنيا والآخرة[1].

الرابع والعشرون: التقوى سبب لتعظيم شعائر الله؛ لأن شعائر الله أعلام الدين الظاهرة، وتعظيمها إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، وهذا التعظيم صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله، وإجلاله[2]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3].

الخامس والعشرون: التقوى تصلح بها الأعمال وتقبل، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4]، فأمر سبحانه بالتقوى في السر والعلانية، وخص منها القول السديد، وهذا القول الموافق للصواب أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتعلم العلم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، ولين الكلام، ولطفه، ويترتب على ذلك صلاح العمل فلا يفسد، ومغفرة الذنوب، فبالتقوى تستقيم الأمور، ويندفع بها كل محذور[5].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٢٢، ٨١٥.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤٨٧.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٢٠.

السادس والعشرون: التقوى سبب للإكرام عند الله، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١)، فأكرم الناس عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة، وإنكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله عز وجل عليم خبير يعلم من يقوم بتقوى الله ظاهراً وباطناً، مِمَّن لا يقوم بذلك ظاهراً، ولا باطناً فيجازي كلاً بما يستحق(٢).

السابع والعشرون: التقوى يحصل بها الفرج والمخرج من كلِّ شدة ومشقة وكرب، ويسوق الله بها الرزق للمتقي من حيث لا يحتسبه ولا يشعر به ولا يخطر له على بال، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(٣).

الثامن والعشرون: التقوى يحصل بها تيسير الأمور، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾(٤)، فمن اتقى الله عز وجل يسر له كل أموره، وسهل عليه كل عسير.

التاسع والعشرون: التقوى تكفر بها السيئات وتعظم بها الأجور، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾(٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٦).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٤٥.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٥.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٥.

الثلاثون: التقوى تثمر الاهتداء والاتعاظ للمتقين، لأنهم هم المنتفعون بالآيات، فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، قال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، وقوله عز وجل ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي هذا القرآن جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خاصة، قاله الحسن وقتادة[2]، وجزم بها الحافظ ابن كثير رحمه الله[3]، وقيل: ﴿ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى ما تقدم هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[4]، قال العلامة السعدي رحمه الله: «وكلا المعنيين حق»[5].

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وجميع المؤمنين من هؤلاء المتقين الذين يفوزون بهذه الثمرات العظيمة؛ فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

***

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٧/ ٢٣٢.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٨٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧، واختار هذا القول ابن جرير، انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/ ٢٣٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ١١٧.

المطلب الثاني: ظلمات المعاصي

○ المسلك الأول: مفهوم المعاصي وأسماؤها:

أولاً: مفهوم المعاصي:

المعاصي لغة: العصيان خلاف الطاعة، يقال: عصى العبد ربه: إذا خالف أمره، وعصى فلانٌ أميره يعصيه عَصْياً وعِصْياناً، ومعصيةً إذا لم يطعه، فهو عاصٍ[1]، قال الله عز وجل: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[2]، وقال الجرجاني رحمه الله: «العصيان: هو ترك الانقياد»[3].

والمعاصي في الاصطلاح الشرعي: هي ترك المأمورات، وفعل المحظورات، فتبين بذلك أن المعاصي هي ترك ما أمر الله به أو أمر به رسوله ﷺ، وفعل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله ﷺ: من الأقوال، والأعمال، والمقاصد الظاهرة والباطنة[4]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[6]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، باب الياء، فصل العين، مادة «عصا»، ١٥/ ٦٧.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٣) التعريفات، ص ١٩٥.
(٤) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٢١، والمعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ٣٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[١] .

ثانياً: أسماء المعاصي:

قد جاء معنى المعصية بألفاظ كثيرة ومن ذلك ما يأتي :

١- الفسوق والعصيان، قال الله عز وجل: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[٢] .

٢- الحُوب، قال الله عز وجل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٣] .

٣- الذنب، قال الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قوم لوط، ومدين، وعاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤] .

٤- الخطيئة، قال الله عز وجل في ذكره لقول إخوة يوسف ﷺ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾[٥] .

٥- السيئة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[٦] .

٦- الإثم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢٣ .
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧ .
(٣) سورة النساء، الآية: ٢ .
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠ .
(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٧ .
(٦) سورة هود، الآية: ١١٤ .

﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] .

٧- الفساد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] .

٨- العتو، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[٣] .

○ **المسلك الثاني: أسباب المعاصي:**

المعاصي لها أسباب كثيرة تحصل بسببها، وتكثر وتقل بذلك وهذه الأسباب نوعان:

النوع الأول: الابتلاء والاختبار، ومن ذلك:

١- الابتلاء بالخير والشر، قال الله عز وجل: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٤] ، فالله سبحانه يبتلي عباده بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، فبالخير يختبر هل يؤدى شكره، وبالشر يختبر هل يصبر على ضره[٥] .

٢- الابتلاء بالمال والولد، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨/ ٤٤٠.

فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ، فالأموال والأولاد فتنة : أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه[2] ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فأيكم استعاذ فليستعذ بالله تعالى من مضلات الفتن»[3] .

٣- وقد تكون الفتنة أعم مما تقدم، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[4] ، وهذه الفتن وغيرها مما في معناها تكون من أسباب النجاة عند النجاح في الاختبار، وتكون من أسباب المعاصي والهلاك عند الإخفاق والرسوب في الامتحان، والله نسأل التوفيق والعفو والعافية في الدنيا والآخرة .

النوع الثاني: أسباب الوقوع في المعاصي، ومنها :

١ - ضعف الإيمان واليقين بالله عز وجل، والجهل به سبحانه؛ فإن عدم المراقبة لله عز وجل وعدم الخوف منه، وعدم محبته وإجلاله وتعظيمه وخشيته تجعل الإنسان يستخف بوعد الله عز وجل ووعيده، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال الله عز وجل : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[5] ، وقال عز وجل : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة التغابن، الآية : ١٥ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٣٧٦ .

(٣) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١٦٠ .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٢٠ .

(٥) سورة غافر، الآية : ١٩ .

(٦) سورة الشعراء، الآيتان : ٢١٨-٢١٩ .

٢- الشبهات، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما»(١) .

ففتنة الشبهات تنشأ من ضعف البصيرة وقلة العلم، وفساد القصد، وحصول الهوى، وتنشأ أيضاً من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غَرَضٍ فاسدٍ وهوىً متبع، فهي من عمى في البصيرة وفسادٍ في الإرادة(٢) .

٣- الشهوات، وقد جمع الله بين الشبهات والشهوات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾(٣) ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق: هو النصيب المقدر، ثم قال: وخضتم كالذي خاضوا» فهذا الخوضُ بالباطل وهو الشبهات، فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان: من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد باطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح، فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني فسق الأعمال، فالأول فساد من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات»(٤) ، وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر؛ ولهذا جعل الله عز وجل إمامة

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٢/ ١٦٥ .
(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٦٦ .
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٩ .
(٤) إغاثة اللهفان، ٢/ ١٦٦ .

الدين بالصبر واليقين فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(١)، فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة(٢)، ولاشك أن الشهوات منها ما يكون مباحاً حلالاً ومنها ما يكون حراماً، فحلالها ما أحله الله ورسوله وحرامها ما حرمه الله ورسوله ﷺ.

٤- الشيطان من أعظم أسباب وقوع المعاصي: لأنه أخبث عدو للإنسان، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٣)، والشياطين نوعان: شياطين الإنس وشياطين الجن، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٤)، والمخرج من شياطين الإنس، بالإحسان إليهم، والدفع بالتي هي أحسن، ومقابلة السيئة بالحسنة.

أما شياطين الجن، فالمخرج منها الاستعاذة بالله منهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٥).

والشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها:

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٢) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١٦٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

العقبة الأولى: عقبة الكفر والشرك بالله وبدينه، ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه على:

العقبة الثانية: عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأمور المحدثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئاً، فإن وفق الله العبد لقطع هذه العقبة طلبه الشيطان على:

العقبة الثالثة: عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له وحسَّنها في عينه، فإن قطع العبد هذه العقبة بتوفيق الله طلبه على:

العقبة الرابعة: عقبة الصغائر، فكال له منها بالمكاييل العظيمة ولايزال يهوِّن عليه أمرها حتى يُصِر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه الشيطان على:

العقبة الخامسة: عقبة المباحات التي لا حرج فيها فيشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزوّد لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويت الأرباح والمكاسب العظيمة، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة، ونور هادٍ ومعرفة بقدر الطاعات، طلبه على:

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات فأمره بها وحسنها في عينه، وزينها له؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح،

فإن نجا من هذه العقبة بفقه الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها في الفضل، لم يبق هناك عقبة يطلبه عليها سوى واحدة لابد منها، وهي :

العقبة السابعة : تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد، واللسان، والقلب على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها؛ فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله جد العدو في إغراء السفهاء به، والله المستعان، وعليه التكلان[1] .

○ المسلك الثالث: مداخل المعاصي:

أولاً: النفس الأمارة يدخل عليها الشيطان وأعوانه وجنوده من مرادها، ومحبوباتها، وشهواتها، فإذا صارت النفس الأمارة مع الشيطان وجنوده ملكوا ستة ثغور يدخلون منها على القلب؛ لإفساده :

١- ثغر العين، فيجعلون نظرها تفرجاً وتلهِّياً لا اعتباراً.

٢- ثغر الإذن، فيدخلون معها الباطل، ويمنعون دخول الحق.

٣- ثغر اللسان، فيجرون عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه، ويمنعونه مما ينفعه.

٤- ثغر الفم، فيدخلون معه إلى البطن أنواع المحرمات.

٥- ثغر اليد، فيجعلوها تبطش بالباطل، وتتوقف عن الحق.

٦- ثغر الرجل، فيجعلوها تمشي إلى الباطل[2] .

---

(١) انظر : مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٢٢٢-٢٢٦ .

(٢) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٨٠-١٨٩ .

قال الإمام ابن القيم يحكي عن الشيطان كلامه مع جنوده وحثهم على الاستيلاء على هذه الثغور: «فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة، فمتى دخلتم منها إلى القلب فهو قتيل أسير، أو جريح مثخن بالجراحات»[١] .

ثانياً: أبواب الشيطان التي يُدخِلُ الناسَ معها إلى النار ثلاثة :

١ - باب شبهة أورثت شكاً في دين الله .

٢- باب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته .

٣- باب غضب أورث العدوان على خلق الله عز وجل[٢] .

ثالثاً: طرق الشيطان على الإنسان من ثلاث جهات :

الجهة الأولى : التزيد والإسراف، فيزيد على قدر الحاجة، فتصير فضلة، وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب، وطريق الاحتراز منه عدم إعطاء النفس تمام مطلوبها : من غذاء، أو نوم، أو لذة، أو راحة، فمتى أُغلِق هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه .

الجهة الثانية : الغفلة ؛ فإن الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل فُتِحَ باب الحصن فولجه العدو، فيعسر عليه أو يصعب إخراجه .

الجهة الثالثة : تكلف ما لا يعنيه من جميع الأشياء[٣] .

رابعاً: المداخل التي من حفظها نجا من المهالك أربعة ؛ ولهذا قيل : «من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه : اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات»[٤] .

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨١ .

(٢) انظر : الفوائد، لابن القيم، ص ١٠٥ .

(٣) الفوائد، لابن القيم، ص ٣٣٤ .

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٦٦ .

وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة :

١- النظرة: فاللحظات رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، ومن أطلق بصره في ما حرم الله أورد نفسه موارد الهلاك، قال الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[1] ، ولاشك أن النظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، قال الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد مادام ذا طرف يقلبه ... في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر مُقلتَهُ ما ضرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر[2]

٢- الخطرة: والخطرات شأنها أصعب؛ لأنها مبدأ الخير والشر، ومنها تولد الإرادات، والهم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه، وقهر هواه، ومن استهان بالخطرات قادته إلى الهلكات.

والخطرات المحمودة أقسام تدور على أربعة أصول:

* خطرات يستجلب بها العبد منافع دنياه.
* وخطرات يستدفع بها مضار دنياه.
* وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته.
* وخطرات يستدفع بها مضار آخرته.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١.
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٦٨.

فليحصر العبد خطراته، وأفكاره، وهمومه في هذه الأقسام الأربعة(١).

٣- اللفظة: واللفظات حفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة، فلا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، وإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل تفوتُ بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه، وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى؛ ولهذا قال يحيى بن معاذ رحمه الله: «**القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومغارفها ألسنتها، فانتظر حتى يتكلم الرجل فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه**»(٢)، والمعنى أنك كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقة ذلك، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القِدْر بلسانك(٣)، فيجب على المرء المسلم أن يحفظ لسانه؛ فإن أكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج، واللسان يكب الناس على مناخرهم في النار، وربما تكلم الرجل بكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب، أو يهوي بها في النار سبعين خريفاً، أو يتكلم بكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه.

والمؤمن بالله واليوم الآخر يتكلم بالخير أو يسكت، وإذا حسن إسلامه فإنه لا يتكلم إلا فيما يعنيه، واللسان أخوف ما خاف رسول الله ﷺ،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٩-٢٧٦.
(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ١٠/ ٦٣، وانظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٧٦.
(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٧٦.

على المسلم، وكل كلام ابن آدم عليه لا له: إلا أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، أو ذكراً لله عز وجل، والكلام أسيرك فإذا خرج من فيك صرت أنت أسيره، والله لا يخفى عليه قول القائل، قال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١) ، واللسان فيه آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، فالمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله، والساكت عن الحق شيطان أخرس عاصٍ لله مراءٍ مداهنٍ إذا لم يخف على نفسه، وأهل الوسط من أهل الحق كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله عز وجل وما اتصل به(٢) .

٤- الخطوة: والخطوات حفظها بأن لا ينقل العبد قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم يكن في خطاه مزيد ثوابٍ فالقعود عنها خير له، ويمكنه أن يستخرج من كل مباح بخطوة إليه قُربةً ينويها لله، فتقع خطاه كلها قربة بالنية الصالحة(٣) ، وقد وصف الله عز وجل عباد الرحمن بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾(٤) ، كما جمع الله عز وجل بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٥) .

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨ .
(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٧٦-٢٨١ .
(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٢ .
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣ .
(٥) سورة غافر، الآية: ١٩ .

○ **المسلك الرابع: أصول المعاصي:**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أصول الخطايا كلها ثلاثة:

١- الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

٢- الحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

٣- الحسد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِيَ شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد»[1].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

١- تعلق القلب بغير الله، وهو الشرك، فغاية التعلق بغير الله شرك، وأن يُدعى معه إلـٰه آخر.

٢- طاعة القوة الغضبية، وهي الظلم، وغاية ذلك القتل.

٣- طاعة القوة الشهوانية، وهي الفواحش، وغاية ذلك الزنا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الثلاثة في قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۞ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[2].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض: فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال

---

(١) الفوائد، ص ١٠٥.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨-٦٩.

الله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1] ، فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا، وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة؛ فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد، فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك، والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم. فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض[2] .

وبين رحمه الله تعالى: أن أركان الكفر أربعة:

١- الكبر ٢- الحسد ٣- الغضب ٤- الشهوة

فالكبر يمنع العبد الإنقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة، فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الإنقياد، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة، وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن ابتلي بها، ولاسيما إذا صارت هيئات راسخة، وملكات وصفات ثابتة؛ فإنه لا يستقيم له معها عمل ألبتة، ولا تزكو نفسه، وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة، وإذا استحكمت هذه الأربعة في القلب أرته الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، والمعروف في صورة المنكر، والمنكر في صورة المعروف، وقربت منه الدنيا وبعدت منه الآخرة[3] .

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٥٤.
(٣) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٢٨١.

○ **المسلك الخامس: أقسام المعاصي:**

الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام هي على النحو الآتي:

القسم الأول: الذنوب الملكية، وهي أن يتعاطى الإنسان ما لا يصلح له من صفات الربوبية: كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلو، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

القسم الثاني: الذنوب الشيطانية، وهي الذنوب التي يتشبه الإنسان بالشيطان في عملها، فالتشبه بالشيطان: في الحسد، والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعة الله، وتهجينها، والابتداع في الدين، والدعوة إلى البدع والضلال، وهذا القسم يلي القسم الأول في المفسدة، وإن كانت مفسدته دونه.

القسم الثالث: الذنوب السبعية، وهي التي يشبه الإنسان في فعلها السباع، وهي ذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثب على الضعفاء والعاجزين، ويتولد من هذا القسم أنواع أذى النوع الإنساني، والجرأة على الظلم والعدوان.

القسم الرابع: االذنوب البهيمية، وهي الذنوب التي يشبه الإنسان في فعلها البهائم، مثل: الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنا، والسرقة، وأكل أموال اليتامى، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك، وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق؛ لعجزهم عن الذنوب الملكية، والسبعية، ومن هذا القسم يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجرهم إليها بالزمام[1].

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٢٢-٢٢٣.

○ المسلك السادس: أنواع المعاصي:

المعاصي نوعان: كبائر وصغائر، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد دل القرآن والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر»(١)، قال الله عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾(٢)، وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾(٣)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»** قلت: إن ذلك لعظيم. قال قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**، قال، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«ثم أن تزاني حَليلة جارك»**(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وجلس وكان متكئاً فقال: **«ألا وقول الزور»** فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن**

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ٥/ ١٧٢، برقم ٤٤٧٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١/ ٩٠، برقم ٨٦.

(٥) متفق عليه: البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ٢/ ٢٠٤، برقم ٢٦٥٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، ١/ ٩١، برقم ٨٧.

إذا اجتنبت الكبائر»، وفي رواية: «ما لم تغش الكبائر»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل ما اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[2] .

واختلف في حد الكبيرة وفي عدد الكبائر فقيل: إنها أربع، وقيل: سبعٍ، وقيل: تسع، وقيل: إحدى عشرة، وقيل: سبعون، وقيل: إن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما كم الكبائر أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[3] .

والصواب: أن الكبائر لم تضبط بعدٍ، وأنها كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو توعد عليه بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، أو العقوبة، أو نفي إيمان، وما لم يترتب عليه حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة فهو صغيرة[4] ، ولكن قد تكون الصغائر من الكبائر لأسباب منها:

١ - الإصرار والمداومة عليها، كما في قول ابن عباس رضي الله

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ١/ ٢٠٩، برقم ٢٣٣٢ .

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، ٣/ ٢٥٦، برقم ٢٧٦٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٩٢، برقم ٨٩ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٨/ ٢٤٥، برقم ٩٢٠٧، وانظر: الأقوال في عدد الكبائر هذا المرجع، ٨/ ٢٣٣-٢٥٨، والفتح، لابن حجر، ١٢/ ١٨٣ .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٤٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٤١٨، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

عنهما: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار»[(١)] .

٢- استصغار المعصية واحتقارها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إيَّاكِ ومُحقرَاتِ الأعمال فإن لها من الله طالباً**»[(٢)] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن وادٍ فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»[(٣)] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه[(٤)] .

٣- الفرح بالصغيرة والافتخار بها، كأن يقول ما رأيتني كيف مزقت عرض فلان، وذكرت مساويه حتى خجَّلته، أو خدعته، أو غبنته.

٤- أن يكون عالماً يقتدى به، فإذا فعل العالم الصغيرة وظهرت أمام الناس كبر ذنبه.

٥- إذا فعل الذنب ثم جاهر به؛ لأن المجاهر غير معافى[(٥)] ، فينبغي

---

(١) تقدم تخريجه قبل الهامش السابق.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ٢/ ١٤١٧، برقم ٤٢٤٣، وأحمد، ٦/ ٧٠، وصححه الألباني، في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥١٣، ٢٧٣١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٥/ ٣٣١، وصحح إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٩٠، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ١٢٩، برقم ٣٨٩: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ٧/ ١٨٨، برقم ٦٣٠٨.

(٥) انظر: مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، ص ٢٥٨.

لكل مسلم أن يبتعد عن جميع الذنوب صغيرها وكبيرها؛ ليكون من الفائزين في الدنيا والآخرة.

○ المسلك السابع: آثار المعاصي على الفرد والمجتمع:

أولاً: آثار المعاصي على الفرد:

(أ) آثارها على القلب:

١- ضرر المعاصي على القلب كضرر السموم على الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا سببه الذنوب والمعاصي؟[١].

٢- حرمان العلم؛ فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفىء ذلك النور، وتعمي بصيرة القلب، وتسد طرق العلم، وتحجب موارد الهداية، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٢]، ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه فقال: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية»[٣]، وقال الشافعي رحمه الله:

شكوتُ إلى وكيع سُوْءَ حِفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن علم الله نور ... ونورُ اللهِ لا يهدى لعاصي[٤]

٣- الوحشة في القلب بأنواعها: وحشة بين العاصي وبين ربه، وبينه

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٨٤.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٠٤، ١٤٨، ١٧٣، ٢١٢.
(٤) ديوان الشافعي، ص ٥٤، وانظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٤.

وبين نفسه، وبينه وبين الخلق، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، والوحشة التي بين العاصي وبين ربه لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تفِ بتلك الوحشة، ولو لم تترك الذنوب إلا حذراً من الوقوع في تلك الوحشة لكان العاقل حريًّا بتركها.

وأما الوحشة التي بين العاصي وبين الناس ولاسيما أهل الخير منهم؛ فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان، بقدر ما بَعُدَ من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشاً بنفسه، قال بعض السلف: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلقِ دابتي وامرأتي»[1]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي»[2]، وسر المسألة أن الطاعة توجب القرب من الربِّ سبحانه فكلما قوي القرب قوي الأنس، والمعصية توجب البعد من الرب، وكلما ازداد البعد قويت الوحشة، والوحشة سببها الحجاب، وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة، فالغفلة توجب الوحشة، وأشد منها وحشة المعصية، وأشد منها وحشة الشرك والكفر، ولا تجد أحداً ملابساً شيئاً من ذلك إلا ويعلوه من الوحشة بحسب ما لابسه منه، فتعلو الوحشة وجهه، وقلبه، فيستوحِشُ ويُستوحَشُ منه[3].

٤- الظلمة في القلب؛ فإن العاصي يجد ظلمة في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٠٥، ١٤٤.
(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٨/ ١٠٩.
(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٤٤.

الحسية لبصره، فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع والضلالات، والأمور المهلكة وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل أحد[١]، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»[٢].

٥- توهن القلب وتضعفه؛ أما وهن القلب؛ فإن المعاصي لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية[٣].

وأما ضعف القلب؛ فإن المعاصي تضعفه من عدة وجوه، هي:

(أ) تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولابد شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرَّأ على معاصيه؛ فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[٤]، وتعظيم حرمات الله عز وجل في القلب تحول بين العبد وبين الذنوب[٥].

(ب) تضعف المعصية إرادة الخير في قلب العبد وتقوي إرادة المعصية، فتضعف في قلبه إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٥-١٠٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٦.
(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٦.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٠.
(٥) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٤.

بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، فيأتي من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى أمكنه وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك[1] .

(ج) تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه أو توقفه وتقطعه عن السير، فالذنب إما أن يميت القلب أو يمرضه مرضاً مخوِّفاً، أو يضعف قوته ولابد، حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي ﷺ، فقال: **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»**[2] ، والمقصود أن الذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لهذه الثمانية، كما أنها من أقوى الأسباب الجالبة لـ: **«جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»**[3] ، ومن أقوى الأسباب الجالبة لـ: **«زوال نعمة الله، وتحول عافيته، وفجأة نقمته، وجميع سخطه»**[4] .

٦- تحجب القلب عن الرب في الدنيا، والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[5] ، فكانت الذنوب حجاباً بينهم وبين قلوبهم،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١١٠، وص ٢٠٠.

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال، ٧/ ٢٠٣، برقم ٦٣٦٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل، ٤/ ٢٠٧٩، برقم ٢٧٠٦.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء، ٧/ ١٩٩، برقم ٦٣٤٧، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٤/ ٢٠٨٠، برقم ٢٧٠٧.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، ٤/ ٢٠٩٧، برقم ٢٧٣٩، وانظر: الجواف الكافي، لابن القيم، ص ١٤٠.

(٥) سورة المطففين، الآيتان: ١٤-١٥.

وحجاباً بينهم وبين ربهم وخالقهم[١] .

٧- يألف المعصية، فينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه، وهذا عند أصحاب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يعلم أنه علمها، وهذا الضرب من الناس لا يعافون ويُسد عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**»[٢] .

٨- هوان المعاصي على المصرين عليها، فلايزال العبد يرتكب المعاصي حتى تهون عليه وتصغر في قلبه وعينه، وذلك علامة الهلاك؛ لأن الذنب كلما صغر في قلب العبد وعينه عَظُم عند الله؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»[٣] .

فالمؤمن قلبه فيه نور فهو على يقين من الذنب الصغير وليس على يقين من المغفرة فيخاف الذنب الصغير أن يهلكه كالجبل، والفاجر قليل المعرفة بالله ولذلك قل خوفه من الله واستهان بالمعصية[٤] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢١٥ .

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ٧/ ١١٧، برقم ٦٠٦٩، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، ٤/ ٢٢٩١، برقم ٢٩٩٠ .

(٣) البخاري في صحيحه ٧/ ١٨٨، برقم ٦٣٠٨، وتقدم تخريجه في ص ٣٣٥ .

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٠٥ .

٩- تورث الذل، فإن العز كل العز في طاعة الله عز وجل، والذل كل الذل في معصية الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾(١) ، وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٢) ، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ: **«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وَجُعِل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وَجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**(٣) .

فمن أراد العزة فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: «اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك»، وقال الحسن البصري رحمه الله: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه»(٤) .

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تُميتُ القلوب ... وقد يورثُ الذُّلَ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوب ... وخير لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدِّينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها(٥)

١٠- تفسد العقل وتؤثر فيه؛ فإن للعقل نوراً والمعصية تطفىء نور

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٢/ ٥٠، ٩٢، وابن أبي شيبة في المصنف، ٥/٣١٣، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/١٠٩.
(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٣.
(٥) المرجع السابق، ص ١١٤.

العقل، فإذا طفىء نورُه ضعف ونقص، وغاب، وما عصى الله أحد حتى يغيب عقله؛ لأن واعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله ذو عقل سليم؟

ولاشك أن المعصية إن لم تفسد العقل فهي تنقص من كماله، فلا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله والآخر عاصٍ إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح، ورأيه أسد، والصواب قرينه[1].

١١- تطبع على القلب، فإذا تكاثرت طبعت على قلب صاحبها فكان من الغافلين؛ لأن القلب يصدأ من المعصية فإذا ازدادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وختماً، وقفلاً، فيصير في غشاوة وغلاف[2]، قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

١٢- الذنوب تطفىء غيرة القلب؛ فإن أشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته، وعموم الناس؛ ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق على الأمة، والله عز وجل أشد غيرة منه؛ ولهذا قال ﷺ: **«أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل**

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٤.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٣.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤.

ذلك وعد الله الجنة»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا أُمة محمد ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته يزني، يا أُمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم [الله] عليه»[٣].

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً: «إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة، والاختيال الذي يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة، والاختيال الذي يبغض الله عز وجل الخيلاء في الباطل»[٤]، والمقصود بالغيرة في الريبة: الغيرة في مواضع التهمة والتردد، فتظهر فائدتها، وهي الرهبة والانزجار، وإن كانت الغيرة بدون ريبة فإنها تورث البغض والفتن[٥]، والاختيال في الصدقة أن يكون سخياً، فيعطي طيبة بها نفسه، فلا يستكثر

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، ٨/ ٢٢٠، برقم ٧٤١٦، ومسلم، كتاب اللعان، ٢/ ١١٣٦، برقم ١٤٩٩.

(٢) البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٦/ ١٩١، برقم ٥٢٢١.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٦/ ١٩٦، برقم ٥٢٢٣، ومسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ٤/ ٢١١٤، برقم ٢٧٦١، واللفظ له، وما بين المعكوفين من صحيح البخاري.

(٤) النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، ٥/ ٧٨، برقم ٢٥٥٨، وأحمد في المسند، ٥/ ٤٤٥، وله شاهد عند ابن ماجه برقم ١٩٩٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني بطرقه في إرواء الغليل، ٧/ ٥٨، برقم ١٩٩٩.

(٥) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، ٥/ ٧٩.

كثيراً ولا يعطي منها شيئاً إلا وهو مستقل، وأما الحرب: فأن يتقدم فيها بنشاط وقوة وعدم جبن[1] .

والمقصود أن العاصي كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه، وأهله، وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جداً حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه، ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك؛ ولهذا كان الديوث من أخبث الخلق والجنة حرام عليه؛ لأنه لا غيرة له؛ ولهذا رضي بالسوء في أهله، وهذا يدل على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب وتحمي له الجوارح، وتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح فلا يبقى عندها دفع ألبتة، وهذا يبين أهمية الغيرة ومكانتها[2] .

١٣- الذنوب تذهب الحياء من القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير كله، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ خير كله» أو قال: «الحياءُ كله خير»[3] ، وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[4] ، والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء عند العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية فلا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا بإطلاعهم عليه، بل كثير من أهل المعاصي يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء،

---

(١) انظر: شرح السيوطي على سنن النسائي، ٥/ ٧٩.
(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٠-١٣١.
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ١/ ٦٤، برقم ٣٧.
(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، ٧/ ١٣٠، برقم ٦١١٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ١/ ٦٤، برقم ٣٧.

وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع[١] ، وهذا ينطبق عليه أحد المعنيين لحديث أبي مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»[٢] ، وهذا الحديث له تفسيران:

التفسير الأول: أنه للتهديد والوعيد، والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما شاء من القبائح؛ لأن الحامل على تركها الحياء، فإذا لم يكن هناك حياء يردعه عن القبائح وقع فيها، وهذا المعنى هو المشهور.

التفسير الثاني: أن الفعل إذا لم تستح من الله من فعله فافعله وإنما الذي ينبغي تركه هو ما يستحي منه من الله، فالمعنى الأول تهديداً كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] ، والمعنى الثاني: يكون إذناً وإباحة[٤] .

١٤- المعاصي تلقي الخوف والرعب في القلوب، فلا ترى العاصي دائماً إلا خائفاً مرعوباً؛ فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج منه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه منه مخاوف، فمن خاف الله أمَّنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء[٥] .

١٥- تمرض القلب، وتصرفه عن صحته واستقامته إلى مرضه

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٣١-١٣٣.
(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، ٤/ ١٨٣، برقم ٣٤٨٣.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٠.
(٤) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٢، وجامع الأصول، لابن الأثير، ٣/ ٦٢١.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٣-١٤٤.

وانحرافه، وتأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب ولا دواء لها إلا تركها، وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذا الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيماً ألبتة، ولا تحسبن أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[١] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة: دار الدنيا، والبرزخ، والقرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ ولهذا قال بعض الصالحين: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. ويقول آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف[٢] .

١٦- المعاصي تصغر النفوس، وتقمعها، وتدسّيها، وتحقّرها حتى تصير أصغر شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها، وتكبرّها، قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[٣] ، والمعنى قد أفلح من كبرّها وأعلاها بطاعة الله، وأظهرها، وقد خاب وخسر من أخفاها، وحقّرها وصغّرها بمعصية الله، فالطاعة تكبر النفوس وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه، فما كبرّ النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغّر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله عز وجل[٤] .

١٧- خسف القلب ومسخه، وعلامة خسف القلب أنه لايزال جوّالاً

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣-١٤ .
(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٤٧ .
(٣) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠ .
(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٤٩ .

حول السفليات والقاذورات والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقرَّبه إليه لايزال جوالاً حول العرش، وأما مسخ القلب، فإن من القلوب ما يمسخ بسبب المعاصي كما تمسخ الصورة فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه، وأعماله، وطبيعته، فمن القلوب ما يمسخ على قلب خنزير، لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يمسخ على قلب كلب، أو حمار، أو حية، أو عقرب، ومن الناس من يكون على أخلاق السباع العادية، ومنهم من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، وغير ذلك[١] .

١٨- المعاصي تنكس القلب حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على الهدى، وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب[٢] .

١٩- تُضَيِّق الصدر، فالذي يقع في الجرائم ويعرض عن طاعة الله يضيق صدره بحسب إعراضه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] ، فمن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة ما سواه؛ فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبته[٤] .

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢١٣-٢١٤.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢١٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٢٥.

(ب) آثار المعاصي على الدين:

٢٠ [١] تزرع المعاصي أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يصعب على العبد التخلص منها، كما قال بعض السلف: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها». وهكذا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى يعود إلى الطاعة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاود المعصية[١]، فعلى المسلم أن يقبل على الطاعة ويترك المعصية ويسأل الله عز وجل أن يحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ويجعله من الراشدين.

٢١ [٢] تحرم الطاعة وتثبط عنها، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة وتكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى لكان كافياً في ضرره، فالمعاصي تحرم الطاعات، وتقطع طرق الأعمال الصالحة[٢].

٢٢ [٣] المعصية سبب لهوان العبد العاصي على الله وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري رحمه الله: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم»[٣]، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[٤]، ولو عظمهم الناس في الظاهر خوفاً من شرهم أو لحاجتهم إليهم، فإنهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه[٥].

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٨.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٠٦، ٢١٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.
(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٥) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١٢.

٢٣ [٤] تدخل الذنوب العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ، فإنه لعن على معاصٍ وغيرها أكبر منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة، فلعن: الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة[١] ، ولعن النامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى[٢] ، ولعن آكل الربا وموكله، وكاتبه، وشاهديه وقال هم سواء[٣] ، ومر على حمار قد وُسِمَ في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه»[٤] ، ولعن السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده[٥] ، ولعن من ذبح لغير الله، ومن آوى محدثاً، ومن لعن والديه، ومن غير منار الأرض[٦] ، ولعن المتشبهات بالرجال من النساء، والمتشبهين بالنساء من الرجال[٧] ، ولعن الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه [وآكل ثمنها][٨] ، ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً يرميه[٩] ، ولعن المصور[١٠] ، ولعن من سب أباه، ومن سب أمه، ومن كمه أعمى عن

---

(١) البخاري، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ٧/ ٨١، برقم ٥٩٣٣، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة، ٣/ ١٦٧٧، برقم ٢١٢٤.

(٢) البخاري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ٧/ ٨١، برقم ٥٩٣١، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة، ٣/ ١٦٧٨، برقم ٢١٢٥.

(٣) مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، ٣/ ١٢١٨، برقم ١٥٩٧.

(٤) مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ٣/ ١٦٧٣، برقم ٢١١٧.

(٥) مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، ٣/ ١٣١٤، برقم ١٦٨٧.

(٦) مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله، ٣/ ١٥٦٧، برقم ١٩٧٨.

(٧) البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، برقم ٥٨٨٥.

(٨) أبو داود، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، ٣/ ٣٢٦، برقم ٣٦٧٤، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، ٢/ ١١٢٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٧٠٠، وما بين المعكوفين لابن ماجه.

(٩) مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، ٣/ ١٥٥٠، برقم ١٩٥٨.

(١٠) البخاري، كتاب اللباس، باب من لعن المصور، ٧/ ٨٨، برقم ٥٩٦٢.

الطريق، ومن وقع على بهيمة، ومن عمل بعمل قوم لوط[١] ، ولعن الراشي والمرتشي[٢] ، ولعن زوّرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[٣] ، ولعن من أتى امرأة في دبرها[٤] ، وأخبر أن من باتت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح[٥] ، وأخبر أن من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه[٦] ، وقد لعن الله عز وجل في كتابه من آذاه وآذى رسوله ﷺ[٧] ، ولعن من أفسد في الأرض ونقض عهد الله وقطع ما أمر الله به أن يوصل[٨] ، ولعن من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى[٩] ، ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة[١٠] ، ولعن من جعل سبيل الكافرين أهدى من سبيل المؤمنين[١١] ، ولعن الله ورسوله على أشياء غير هذه، فلو لم يكن في فعل ذلك إلا رضاء فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو إلى تركه، فليبتعد العاقل عن كل معصية حتى

---

(١) أحمد في المسند، ١/ ٢١٧، وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند، ٣/ ٢٦٦، برقم ١٨٧٥ .

(٢) الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي، ٣/ ٦١٣، برقم ١٣٣٦، وأبو داود، كتاب الأقضية، باب كراهة الرشوة، ٣/ ٣٠٠، برقم ٣٥٨٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٤، وإرواء الغليل، برقم ٢٦٢٦، وفي صحيح سنن أبي داود برقم ٣٠٥٥ .

(٣) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء للقبور، ٣/ ٢١٨، برقم ٣٢٣٦، والترمذي، ٢/ ١٣٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ١/ ٣٠٨، وتقدم تخريجه ص ٩٨ .

(٤) أبو داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ٢/ ٢٤٩، برقم ٢١٦٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٤٠٦ .

(٥) البخاري، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ٦/ ١٨٣، برقم ٥١٩٣ .

(٦) مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم، ٤/ ٢٠٢٠، برقم ٢٦١٦ .

(٧) انظر: سورة الأحزاب، الآية: ٥٧ .

(٨) انظر: سورة الرعد، الآية: ٢٥ .

(٩) انظر: سورة البقرة، الآية: ١٥٩ .

(١٠) انظر: سورة النور، الآية: ٢٣ .

(١١) انظر: سورة النساء، الآيتان: ٥١-٥٢ .

ينجو، والله المستعان[١] .

٢٤ [٥] حرمان دعوة الرسول ﷺ والملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وبين سبحانه أن الملائكة يستغفرون لهم، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٢] ، فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرها فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة[٣] .

٢٥ [٦] المعاصي تسبب نسيان الله لعبده ونسيان العبد نفسه، فإذا نسي الله العبد فهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[٤] فقد أخبر الله عز وجل أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه: أي أنساه مصالحها وما ينجيها من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية، وكمال لذتها وسرورها، ونعيمها، فأنساه الله ذلك كله جزاء لما نسيه من عظمة الله وخوفه، والقيام بأمره، فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه مضيعاً لها، قد أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه،

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١١٥-١١٩ .
(٢) سورة غافر، الآيات: ٧-٩ .
(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١٩-١٢٠ .
(٤) سورة الحشر، الآيتان: ١٨-١٩ .

وانفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته وفرط في سعادته الأبدية، واستبدل بها أدنى ما يكون من لذة، وإنما ذلك متاع زائل لا خير فيه، كما قيل:

أحلام نوم أو كظل زائل   إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وأعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه وإهماله لها، وإضاعة حظها، ونصيرها من الله وبيعها ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن، فضيع ما لا غنى له عنه ولا عوض له منه:

من كل شيء إذا ضيعته عوضٌ   وما من الله إن ضيعته عوضُ

فالله عز وجل يعوِّض عن كل ما سواه ولا يعوَّض عنه شيء[١].

٢٦ [٧] تخرج صاحبها من دائرة الإحسان، فإن من عقوبات المعاصي أن تمنع العاصي ثواب المحسنين؛ فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي؛ لأن المحسن يعبد الله كأنه يراه، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية فضلاً عن الوقوع فيها[٢].

٢٧ [٨] تفوِّت ثواب المؤمنين ومن فاته ثواب المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم فاته كل خير رتبه الله في كتابه على الإيمان وهو نحو مائة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها، ومنها:

أ - الأجر العظيم: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

ب- الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٤].

---

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٣٥-١٣٦، و ١٩٠-١٩٥.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٨.

ج - موالاة الله لهم ولا يذل من والاه: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[١] .

د - ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢] .

هـ- معية الله لهم: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

و - الرفعة في الدنيا والآخرة: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٤] .

ز - العزة: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

ح - إعطاؤهم نصيبين من رحمته وإعطاؤهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم.[٦]

ط - أمانهم من الخوف يوم يشتد الخوف: ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٧] .

ي - القرآن هدى لهم وشفاء: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[٨] .

والمقصود أن الإيمان سبب جالب لكل خير في الدنيا والآخرة، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه عدم الإيمان، فكيف يهون على العبد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٥) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٦) انظر: سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٧) سورة الأنعام، الآية؛ ٤٨.
(٨) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

أن يرتكب شيئاً يسبب له الخسارة في الدنيا والآخرة، فإن الإصرار على الذنوب يسبب الرين على القلوب، فيخاف أن يستمر على ذلك فيسبب له ارتكاب ما يخرجه عن الإيمان بالكلية، ومن هنا اشتد خوف السلف فقال بعضهم: «أنتم تخافون الذنوب وأنا أخاف الكفر»(١) .

٢٨ [٩] توجب القطيعة بين العبد والرب، وإذا وقعت القطيعة بين العبد وربه انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر، فأي فلاح، وأيُّ رجاء، وأيُّ عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبين وليّه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين(٢) .

٢٩ [١٠] المعاصي تجعل صاحبها أسيراً للشيطان وفي سجن شهواته وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ حالاً من أسيرٍ أَسَرَهُ أعدى عدوٍّ له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ والله المستعان(٣) .

٣٠ [١١] المعاصي تجعل صاحبها من السفلة؛ فإن الله خلق خلقه قسمين: عُلية، وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية، وأسفل سافلين مستقر السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة(٤) .

٣١ [١٢] تُسْقِط الكرامة، من عقوبات المعاصي: سقوط الجاه،

---

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٣٩، وص ٢١٧-٢١٩.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٥، ١٩٥، ١٤٤.
(٣) انظر: الجواب الكافي، ص ١٥٠.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٦١.

والمنزلة والكرامة عند الله عز وجل؛ فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم[1]، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم أسوأ عيش: خامل الذكر، ساقط القدر، رزيّ الحال، لا حرمة له، ولا فرح له، ولا سرور؛ فإن خمول الذكر، وسقوط القدر والجاه جالب لكل غمٍّ وهمٍّ وحزن، ولا سرور معه، ومن أعظم نعم الله على العبد الطائع أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويعلي قدره[2].

٣٢ [١٣] كراهية الله للعاصي، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[4].

(ج) آثار المعاصي على البدن:

للمعاصي آثار على بدن العاصي، منها على سبيل المثال ما يأتي:

٣٣ [١] العقوبات الشرعية، إذا لم تَرْعِ العاصي العقوبات السابقة ولم يجد لها تأثيراً في قلبه، فلينظر إلى العقوبات الشرعية التي شرعها الله عز وجل ورسوله ﷺ على الجرائم وهي: الحدود، والكفارات، والتعزيرات.

أما الحدود فهي: قتل المرتد، وحد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وهذه تحفظ الضرورات الخمس: «حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال»، وما شرع الله عز وجل

---

(١) ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

هذه الحدود والقصاص إلا لحفظ هذه الضرورات الخمس .

وأما الكفارات : فمنها : كفارة قتل الخطأ، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع في نهار رمضان، والوطء في الإحرام، وفي الحيض، والنفاس، وكفارة اليمين .

وأما التعزيرات : فهي حسب ما يراه الحاكم المسلم وأنه يردع ويزجر[١] ، ولا يصل التعزير إلى الحد، إلا إذا كان الجرم عظيماً فقد يصل التعزير إلى القتل، وذلك حسب القواعد الشرعية، لا على حسب هواه[٢] .

٣٤ [٢] العقوبات القدرية، وهي نوعان: نوع على القلوب والنفوس، ونوع على الأبدان والأموال، فالعقوبات القدرية على القلوب: آلام وجودية يضرب بها القلب، وقطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه، وإذا قطعت عنه حصل له أضدادها .

والعقوبات على الأبدان نوعان: نوع في الدنيا ونوع في الآخرة، والمقصود أن عقوبات السيئات تتنوع إلى عقوبات شرعية، وعقوبات قدرية، وهي إما في القلب، وإما في البدن، وإما فيهما، وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت، وعقوبات يوم حشر الأجساد[٣] .

والخلاصة أن العقوبات القدرية: هي ما يصيب الإنسان في دينه، أو دنياه، أو كليهما: من الفتن، والمحن، والابتلاء، بسائر المصائب

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٠١-٢٠٧، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١١٦-١١٨ .

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة من رئاسة البحوث العلمية، قرار هيئة كبار العلماء رقم ١٣٨، في محكم مهرب ومروج المخدرات، العدد الحادي والعشرون، ص ٣٥٥ .

(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٠٨-٢١١ .

على اختلاف أشكالها، وهي على ثلاثة أنواع: منها ما يكون لرفع الدرجات، ومنها ما يكون لتكفير السيئات، ومنها ما يكون عقاباً للإنسان على ظلمه وعدوانه، وعصيانه لربه، وهذه الدرجة الأخيرة عامة للمسلم والكافر كل على حسب ذنبه وجرمه[١] .

٣٥ [٣] والمعاصي توهن البدن؛ فإن المؤمن قوته من قلبه، وكلما قوي قلبه قوي بدنُه، وأما الفاجر فإنه وإن كان قوي البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم»[٢] .

(د) آثار المعاصي على الرزق:

٣٦ [١] المعاصي تحرم الرزق، ولاشك أن الرجل قد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣] ، فكذلك ترك تقوى الله مجلبة للفقر، وهذا مفهوم الآية؛ فإن من لم يتق الله لا يجعل الله له مخرجاً ولا يرزقه من حيث لا يحتسب، وما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي[٤] .

٣٧ [٢] تزيل النعم، فالمعاصي تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما ذكر عن علي بن

---

(١) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١١٨ .
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٠٦ .
(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.
(٤) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٠٤ .

أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة»[١]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[٣]، فلا يغير الله تعالى نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيَّر غُيِّر عليه جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن غير المعصية بالطاعة غيرَّ الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[٤].

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وحطها بطاعة ربِّ العباد ... فربُّ العباد سريع النقم[٥]

٣٨[٣] تزيل البركة في المال وقد تتلفه، ومن ذلك أن من كذب في بيعه وشرائه وكتم العيوب في السلعة عوقب بمحق البركة، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما»[٦]،

(١) المرجع السابق، ص ١٤٢.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ١٤٢.
(٦) متفق عليه: البخاري، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، ٣/ ١٤، برقم ٢٠٧٩، ومسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، ٣/ ١١٦٤، برقم ١٥٣٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»[1] ، والمعنى أن من أخذ أموال الناس يريد أداءها فإن الله يفتح عليه في الدنيا فييسر له أداءه، أو يتكفل الله به عنه يوم القيامة، ومن أخذها يريد إتلافها وقع له الإتلاف في معاشه وماله، وقيل: المراد بذلك عذاب الآخرة[2] .

(هـ) آثار المعاصي العامة على الفرد:

٣٩ [١] تمحق البركات: بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة تمحق بركات الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره، ودينه، ودنياه ممن عصى الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ، فالمعاصي سبب لمحق البركات في كل شيء. فينبغي للمسلم أن يهرب من المعاصي حتى تحصل البركة في دينه ودنياه وآخرته[4]

٤٠ [٢] المعاصي مجلبة للذم، فإن من عقوباتها أن تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والوَرِع، والصالح، والعابد، والطيِّب، ونحو ذلك. وتكسوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفسد، والخبيث، والكاذب، والخائن، وقاطع الرحم، والغادر، والفاجر، وأمثالها. فلو لم يكن في عقوبة المعصية إلا استحقاق تلك الأسماء القبيحة

---

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ٣/ ١١٣، برقم ٢٣٨٧.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٥/ ٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٤) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٥٧-١٦١.

وموجباتها لكان في العقل ناهٍ عنها. والله المستعان[١].

٤١ [٣] المعاصي تجرِّي على الإنسان أعداءه، وهذا من عقوباتها على فاعلها، فتجرِّي عليه الشياطين بالأذى والإغواء، والوسوسة، والتخويف، والتحزين، وإنسائه ما فيه مصلحته. وتجري عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره. وتجرئ عليه أهله، وخدمه وأولاده، وجيرانه، وهذا يكفي في قبح المعاصي. والله المستعان[٢].

٤٢ [٤] تضعف العبد أمام نفسه، وهذا من أعظم عقوبات المعاصي، فإنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه؛ فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده، وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل، والمعاصي تخون العبد في تحصيل هذا العلم وإيثار الحظ العالي الدائم على الحظ الخسيس المنقطع، فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم، وعن الاشتغال بما هو أولى به وأنفع له في الدارين، فإذا وقع في مكروه واحتاج إلى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه، وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزمه في غمده بحيث لا ينجذب إذا جذبه، فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه، فدهمه العدو وظفر به، فكذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخناً بالمرض فإذا احتاج إلى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئاً، والعبد إنما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب.

والمقصود أن العبد إذا وقع في شدة أو كربة أو بليّة خانه قلبه، ولسانه، وجوارحه عما هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله تعالى

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٥٢.
(٢) انظر: الجواب الكافي، ص ١٦٦.

والإنابة إليه، والتذلل والانكسار بين يديه، ولا يطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فحينئذٍ يذكره بقلب لاهٍ ساهٍ غافل، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه. هذا كله أثر الذنوب والمعاصي.

وهناك أمر أخوف من ذلك وأدهى منه وهو أن يخون العاصي قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك. وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله كثيراً من هذه الوقائع، منها: أن رجلاً شحاذاً قال عند موته: «فلس لله، فلس لله» حتى خرجت روحه، وقيل لتاجر عند موته قل لا إلـه إلا الله، فقال: «هذه القطعة رخيصة هذا مُشتَرَى جيد» حتى قضى، ولقن آخر: «لا إلـه إلا الله، فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها» وغير ذلك من القصص كثير[1]، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

٤٣ [٥] مكر الله بالماكر، ومخادعته للمخادع، واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته لقلب الزائغ عن الحق، وكل ذلك من عقوبات المعاصي، وأضرارها، نسأل الله العافية[2].

٤٤ [٦] المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ، والعذاب في الآخرة كل ذلك من عقوبات المعاصي، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٦٨-١٧١.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢١٥.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.

الله الذي أنزله على رسوله ﷺ: في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلـٰهها، ومعبودها الذي هو الحق وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرَّت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»[١].

٤٥ [٧] تعسير أموره عليه، وهذا من أعظم ما يصيب العاصي، فلا يتوجَّهُ لأمر إلا يجده مُغلقاً دونه، أو متعسراً عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً، فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسراً، ويا لله العجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من أين أُتي؟[٢].

٤٦ [٨] تقصر المعاصي العمر وتمحق بركته ولابد فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر، وقد اختلف العلماء في ذلك فقالت طائفة: نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تأثير المعاصي.

وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق، فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسباباً كثيرة تكثره وتزيده، وللبركة في العمر أسباباً تكثره وتزيده. ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب، فالأرزاق والآجال، والصحة والمرض، والغنى والفقر، وإن كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها لمسبباتها مقتضية لها.

وقالت طائفة أخرى: تأثير المعاصي في محق العمر إنما هو بأن حقيقة

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢١٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٥.

الحياة هي حياة القلب، وعمر الإنسان مدة حياته فليس عمره إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره، فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها، فإذا أعرض العبد عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية[١] .

٤٧ [٩] يرفع الله مهابة العاصي من قلوب الخلق، وهذا من بعض عقوبات المعاصي، فلاشك أنه يهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس، أم كيف يستخف بمعاصي لله ولا يستخف به الخلق؟[٢] قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[٣] .

(و) آثار المعاصي على الأعمال:

لا شك أن الأعمال تتأثر في بعض الأحوال بالمعاصي ومن ذلك ما يأتي:

٤٨ [١] عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً**» قال ثوبان رضي الله عنه: يا رسول الله صفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم**

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ١٠٧ .
(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٣) سورة الحج، الآية: ١٨ .

أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[1] ، قلت: ولعل هؤلاء استحلوا هذه المحارم، أو عملوا عملاً يخرجهم عن الإسلام، أو لهم غرماء أُعطوا هذه الحسنات كلها، والله عز وجل أعلم.

٤٩ [٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة: بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[2] .

ثانياً: آثار المعاصي على المجتمع:

المعاصي لها تأثير عظيم على المجتمعات والأمم ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

٥٠ [١] إهلاك الأمم بسبب المعاصي، لاشك أن جميع الأضرار في الدنيا والآخرة تحصل بسبب المعاصي.

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة، والنعيم، والبهجة، والسرور، إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بُعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً،

(١) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ٢/ ١٤١٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ١٧، برقم ٥٠٥، وفي صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٧.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٧، برقم ٢٥٨١.

وبالجنة ناراً تلظىٰ، وبالإيمان كفرا؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماءُ فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم اتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم: فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون، وداره، وماله، وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميراً؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟[1]

لاشك أن الذي أصاب هؤلاء جميعاً وأهلكهم هي ذنوبهم.

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص ٨٤-٨٦.

٥١ [٢] إزالة النعم، فالمعاصي تزيل النعم بأنواعها؛ فإن شكر الله على نعمه يزيدها، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)، ونعم الله على عباده كثيرة لا تحصى، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣).

ومن هذه النعم على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أ - نعمة الإيمان، وهي أعظم النعم على الإطلاق.
ب- نعمة المال والرزق الحلال.
ج - نعمة الأولاد.
د - نعمة الأمن في الأوطان.
هـ- نعمة العافية في الأبدان(٤).

وهذه النعم وغيرها تزيد بالشكر، وتزول أو تنقص، أو لا يبارك فيها للعبد بالذنوب والمعاصي، والاعراض عن الله عز وجل. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾(٥).

٥٢ [٣] نزول العقوبات العامة المهلكة، ومنها ما يأتي:

أ - ظهور الطاعون.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٤) انظر: الجواب الكافي، ص ١٤٢، وانظر ما تقدم في ص ٣٥٧، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١٤١-١٥٠.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

ب- نزول الأوجاع التي لم تكن في الأسلاف الذين مضوا .
ج - الأخذ بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان .
د - منع القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .
هـ- تسليط الأعداء .
و - يجعل الله بأسهم بينهم .

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل اللهُ بأسهم بينهم»[1] .

وهذا من أعلام نبوة محمد ﷺ فقد وقع ذلك كله بمن وقع في هذه المعاصي، ومن الأدلة المحسوسة على ذلك مرض الإيْدز الذي وقع بمن أعلنوا بالفواحش، نسأل الله العافية[2] .

٥٣ [٤] حلول الهزائم، فإن ذلك بأسباب المعاصي والإعراض عن دين الله عز وجل، كما أن من أسباب النصر الطاعة والإقبال على الله

(١) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب العقوبات، ٢/ ١٣٣٢، برقم ٤٠١٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٤/ ٥٤٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٧٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٧، برقم ١٠٦ .
(٢) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص ٥٠٦ .

سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(١) ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾(٢) ، وقال الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٤) ، وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٥) ، فالأخذ بهذه الأسباب من أعظم أسباب النصر وتركها من أعظم أسباب حلول الهزائم والخسارة في الدنيا والآخرة(٦) .

٥٤ [٥] المعاصي مواريث الأمم الظالمة، فليحذر المسلم أن يرث المعاصي عن الظالمين، فإن اللوطية: ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص: ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون، والتكبر والتجبر: ميراث عن قوم هود، وغير ذلك، فالعاصي لابس ثياب هذه الأمم وهم أعداء الله عز وجل(٧) .

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥-٤٧ .
(٢) سورة غافر، الآية: ٥١ .
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧ .
(٤) سورة الحج، الآية: ٤٠ .
(٥) سورة محمد، الآيتان: ٧-٨ .
(٦) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١٥٣-١٥٤ .
(٧) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١١١ .

٥٥ [٦] المعاصي تؤثر حتى على الدواب، والأشجار، والأرض وعلى المخلوقات.

٥٦ [٧] تسبب عذاب القبر، وعذاب يوم القيامة، وعذاب النار، نعوذ بالله من ذلك[١].

○ **المسلك الثامن: العلاج:**

إن العباد لهم منجيات تنجيهم من المهالك والجرائم، والمصائب إذا حلت بهم، وتنجيهم من حلول العقوبات قبل نزولها، وتسبب لهم السعادة في الدنيا والآخرة ومن هذه الأمور ما يأتي:

أولاً: التوبة النصوح والاستغفار من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، قال الله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤]، وقد مدح الله المسارعين إلى التوبة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٥]، وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[٦]، والتوبة لها فضائل عظيمة

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٤، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص ١٦٤-٢٢٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٦) سورة طه، الآية: ٨٢.

يجنيها التائب، ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

١- محبة الله للتوابين، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

٢- فرح الله عز وجل بتوبة عبده إليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[٢].

٣- تبديل الله عز وجل السيئات حسنات، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣].

٤- التوبة الخالصة الصادقة من جميع الذنوب يدخل الله صاحبها الجنة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ٧/ ١٨٩. برقم ٦٣٠٩، ومسلم واللفظ له، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٤/ ٢١٠٤، برقم ٢٧٤٧.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.

وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] .

والتوبة لها شروط وأركان لا تقبل إلا بها وهي :

أ - الإقلاع عن المعصية وتركها .

ب- العزيمة على عدم العودة إليها أبداً .

ج - الندم على فعلها .

د - إن كانت المعصية في حق آدمي فلها شرط أو ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق ورد الحقوق .

لا تنفع التوبة عند الغرغرة ، أو بعد طلوع الشمس من مغربها[٢] .

ثانيا: تقوى الله عز وجل ، في السر والعلن ، وهي أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . ويجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك[٣] .

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤] ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعُنُّه فلا يستجيب لكم»**[٥] ، وقال الله عز وجل :

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ، ١/ ٢٠١-٤٤٠ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، ١٧/ ٥٩ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ، ١/ ٨٥-١٥٦ ، وغذاء الألباب ، للسفاريني ، ٢/ ٥٦٨-٥٩٦ .

(٣) انظر : ص٢٩١ من هذا البحث .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

(٥) الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ٤/ ٤٦٨ ، برقم ٢١٦٩ ،=

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[1] .

رابعاً: الاقتداء بالنبي ﷺ، في جميع الاعتقادات، والأقوال والأفعال[2] .

خامساً: الدعاء والالتجاء إلى الله عز وجل:

١- الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلَّف عنه أثره: إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله عز وجل، وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وإما لعدم توفر شروط الدعاء المستجاب[3] .

٢- الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء: يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن[4] .

٣- مقامات الدعاء مع البلاء ثلاثة:

أ - أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

ب- أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

ج- أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه[5] .

= وأحمد واللفظ له في مسنده، ٥/ ٣٨٨، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٢٣٣ .

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥ .

(٢) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، ص ٣٠٣-٣٢٢ .

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٢، ٣٥ .

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤ .

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤، ٣٥-٣٧ .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(١)، وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العُمرِ إلا البر**»(٢).

٤- الإلحاح في الدعاء من أنفع الأدوية، فالمسلم الصادق يقبل على الدعاء، ويلزمه ويواظب عليه، ويكرره في أوقات الإجابة، وهذا من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء(٣).

٥- آفات الدعاء: إن من آفات الدعاء التي تمنع ترتب أثره، أن يستعجل العبد ويستبطىء الإجابة، فيستحسر ويترك الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله(٤).

٦- أوقات إجابة الدعاء مهمة ينبغي أن يعتني الداعي في دعائه بها، ومن أعظمها: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى صلاة الجمعة، وآخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة، فإذا حضر القلب في هذه الأوقات وصادف خشوعاً وانكساراً بين يدي

---

(١) الحاكم، ١/ ٤٩٣، وأحمد في المسند، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٣/ ١٥١، برقم ٣٤٠٢.

(٢) الترمذي، في كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا بالدعاء، ٤/ ٤٨٤، برقم ٢١٣٩، بلفظه، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأخرجه الحاكم بنحوه، ١/ ٤٩٣، من حديث ثوبان وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٧٦، برقم ١٥٤، وفي صحيح سنن الترمذي، لشاهده من حديث ثوبان عند الحاكم، وعند ابن ماجه برقم ٤٠٢٢، وأحمد، ٥/ ٢٧٧.

(٣) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ٢٥، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف، ص ٥١-٥٢.

(٤) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٦، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف، ص ٣٩.

الرب، وذلاً له وتضرعاً ورقة، واستقبل الداعي القبلة؛ وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة، وتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته، وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً[1] .

٧- ما يسأل العبد ربه، لاشك أن العبد يسأل الله كل شيء يحتاجه في أمر دينه ودنياه؛ لأن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى، وهو عز وجل لا مانع لما أعطى ولا مطعي لما منع، ويحب عز وجل أن يسأل، فليسأله العبدُ كل شيء يحتاجه حتى شِسع نعله، ويهتم العبد اهتماماً بالغاً بالأمور المهمة العظيمة التي فيها السعادة الحقيقة ومن أهم ذلك تسعة أمور هي:

الأمر الأول: سؤال الله: الهداية والسداد.

الأمر الثاني: سؤال لله: المغفرة لجميع الذنوب.

الأمر الثالث: سؤال الله عز وجل: الجنة والاستعاذة به من النار.

الأمر الرابع: سؤال الله سبحانه: العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

الأمر الخامس: سؤال الله عز وجل: الثبات على دينه.

الأمر السادس: سؤال الله سبحانه: حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

الأمر السابع: سؤال الله تعالى: دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها.

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٢٧-٢٨، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف، ص ٤٥-٩١.

الأمر الثامن: الاستعاذة بالله: من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

الأمر التاسع: سؤال الله: صلاح الدين والدنيا والآخرة[1]

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وينفع به كل من انتهى إليه، فإنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه: نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/٣٨-٤٠، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، للمؤلف، ص١٣٦-١٤٩.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا	٢٨	٢٣٩
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً	٣٠	١٨٩
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه	٣٥-٣٨	١٥٧
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً	١١٠	١٠٣،١١٢

سورة مريم

فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً	١٧-١٨	٣٠٩
وإن منكم إلا واردها	٧١-٧٢	٣٠٦
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً	٦٣	٣٠٥
يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً	٨٥	٣٠٥
إن كل ما في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً	٩٣-٩٤	٨٨
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً	٩٦	١٨٣

سورة طه

وإني لغفار لمن تاب وآمن	٨٢	٢٨٣،٣٦٩
يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن	١٠٩	٩٢
ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً	١٢٤	٣٦١
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها	١٣٢	٣١٣

سورة الأنبياء

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون	٢١-٢٣	٨٠
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا	٢٥	٧٠
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى	٢٨	٩٢
ونبلوكم بالخير والشر فتنة	٣٥	٣٢٠
وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه	٨٧-٨٨	١٨٠
فاستجبنا له ونجيناه من الغم	٨٨	١٨٩

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة نوح

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهـــــرس الآثـــار

٤- فهرس الأشعار والأرجاز

البيت		الشاعر	الصفحة
خلِّ الذنوب صغيرها	وكبيرها فهو التقى		
واصنع كماشٍ فوق	أرض الشوك يحذر ما يَرَى		
لا تحقرنَّ صغيرة	إن الجبال من الحصى	ابن المعتز	٢٩٢
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ		
ولا تحسبن الله يغفُلُ ساعة	ولا أن ما يخفى عليه يغيب	؟	٢٩٥
القدح ليس بغيبة في ستة	متظلم ومعرف ومحذر		
ومجاهر فسقاً ومستفت ومن	طلب الإعانة في إزالة منكر	؟	٢٩٠
تزود من التقى فإنك لا تدري	إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر		
فكم صحيح مات من غير علة	وكم من عليل عاش حيناً من الدهر	؟	٢٩٨
كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر		
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها	كمبلغ السهم بين القوس والوتر		
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه	في أعين الغير موقوف على الخطر		
يسر مُقْلتَهُ ما ضرَّ مُهْجَتَهُ	لا مرحباً بسرور عاد بالضَّرر	؟	٣٢٧
شكوت إلى وكيع سوءَ حفظي	فأرشدني إلى ترك المعاصي		
وأخبرني بأن علم الله نور	ونور الله لا يهدى لعاص	الإمام الشافعي	٣٣٦

٥- المصادر والمراجع

* *القرآن الكريم.*

١- *آداب الزفاف في السنة المطهرة*، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢- *الآداب الشرعية*، للإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ت ٧٦٣ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٣- *الإبداع في مضار الإبداع*، للشيخ علي محفوظ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤- *اجتماع الجيوش الإسلامية*، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق عواد عبد الله المعتق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥- *الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة*، للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري،الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، دار الأرقم، الكويت.

٦- *الإخلاص والشرك الأصغر*، لعبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧- *أربعون حديثاً في مدح السنة وذم البدعة*، يوسف بن إسماعيل النبهاني، بعناية بسام ابن عبد الوهاب الجابي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

٨- *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*، للدكتور صالح بن فوزان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، توزيع المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بسلطانة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٩- *إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقة بأقرب الطرق وأيسر الأسباب*، عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هـ، طبعة ١٤٠٢هـ، مكتبة دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠- *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ت ٩٢٣ هـ، الطبعة السادسة ١٣٠٤ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١- *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٢- *الاستذكار*، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت٤٦٣هـ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤١هـ، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت.

١٣- *إصلاح المساجد من البدع والعوائد*، محمد بن جمال الدين القاسمي، تخريج ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٤- *أصول في البدع والسنن*، محمد بن أحمد العدوي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفتح، الشارقة.

١٥- *أصول وضوابط في التكفير*، العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، اعتنى به عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار المنارة، المملكة العربية السعودية.

١٦- *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت ١٣٩٣ هـ، طبعة ١٤٠٣ هـ، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية .

١٧- *الاعتصام*، للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت ٧٩٠هـ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية.

١٨- *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، مكتبة حميدو، الإسكندرية، مصر.

١٩- *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت٧٢٨، تحقيق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٠- *إكمال إكمال المعلم*، لمحمد بن خليفة الأشناني الأبي، ت ٨٢٨هـ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١- *أمثال القرآن*، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق د ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، دار مكة، المملكة العربية السعودية.

٢٢- *الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع*، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق مشهور ابن حسن بن سلمان، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٢٣- *الإيمان*، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت ٧٢٨هـ، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٤- *البداية والنهاية*، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت٧٧٤هـ، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٢٥- *البدع: أسبابها ومضارها*، للشيخ محمود شلتوت، ت ١٣٨٣هـ، تحقيق علي بن حسن عبد المجيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة بن الجوزي، الأحساء، المملكة العربية السعودية.

٢٦- *البدع والمحدثات وما لا أصل له*، لابن باز، وابن عثيمين ومجموعة من العلماء، جمع حمّود بن عبد الله المطر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٧- *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار*، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هأ، تخريج بدر البدر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، مكتبة السندس، الكويت.

٢٨- *بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل*، للدكتور صالح بن فوزان، طبعة ١٤١٤هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٩- *التبرك أنواعه وأحكامه*، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ دار الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٠- *تبيين العجب بما ورد في شهر رجب*، للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق طارق بن عوض الدارعي، طبع ونشر مؤسسة قرطبة، الأندلس.

٣١- *تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد*، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٢- *تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين*، أحمد بن حجر آل بوطامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٣٣- *التحذير من البدع*، للعلامة عبد العزيز بن عبدالله ابن باز، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، دار إمام الدعوة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٤- *تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي*، لأبي العُلى محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري، ت ١٣٥٣هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٥- *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*، للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ت ٦٥٦هـ، تحقيق محيي الدين ديب مستو، سمير أحمد العطار، يوسف علي بدوي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

٣٦- *التعريفات*، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت ٨١٦هـ، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٣٧- *تفسير البغوي (معالم التنزيل)*، للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت ٥١٦هـ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٨- *تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)*، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار المعارف بمصر.

٣٩- *تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)*، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، طبعة ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤٠- *التفسير القيم للإمام ابن القيم*، جمعه محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤١- *تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار*، الدكتور صالح بن سعد السميحي، الطبعة الأولى، ١٤١٠، دار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٢- *تهذيب سنن أبي داود* (المطبوع مع معالم السنن)، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

٤٣- *التوضيح والبيان لشجرة الإيمان*، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هـ طبعة ١٤٠٦هـ، مكتبة المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية.

٤٤- *تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد*، للعلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٣٣هـ، الطبعة، ١٤٠٦هـ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٥- *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦ هـ، تحقيق محمد زهري النجار، طبعة ١٤٠٤ هـ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٤٦- *ثلاثة الأصول*، لمحمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٠٦هـ، بحاشية عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢هـ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.

٤٧- *جامع الأصول من أحاديث الرسول*، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، ت ٦٠٦ هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٤٨- *جامع بيان العلم وفضله*، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ت ٤٦٣ هـ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية .

٤٩- *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم*، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

٥٠- *الجامع لأحكام القرآن*، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي، ومحمود حامد عثمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، دار الحديث، القاهرة .

٥١- *جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام*، للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم، ت ٧٥١ هـ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ دار العروبة، الصفاة، الكويت.

٥٢- *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق أبي حذيفة عبيد الله بن عالية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٥٣- *حاشية الإمام السندي على سنن النسائي*، للعلامة عبد الهادي السندي، ت ١١٣٨هـ، المطبوع مع سنن النسائي بعناية عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

٥٤- *حقيقة البدعة وأحكامها*، سعيد بن ناصر الغامدي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الرشد، المملكة العربية السعودية.

٥٥- *الحكمة في الدعوة إلى الله*، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض ،المملكة العربية السعودية .

٥٦- *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت٤٣٠ هـ، بدون تاريخ، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.

٥٧- *درء تعارض العقل والنقل*، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت٧٢٨ هـ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .

٥٨- *دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها*، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١٤١٨، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥٩- *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ت١٣٩٢هـ الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٦٠- *ديوان الإمام الشافعي*، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت ٢٠٤هـ، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ، مؤسسة الزعبي، بيروت، لبنان.

٦١- *الرياء: ذمه وأثره السيئ في الأمة*، سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٦٢- *زاد المعاد في هدى خير العباد*، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

٦٣- *الزهد والرقائق*، للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، ت ١٨١ هـ، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٦٤- *سلسلة الأحاديث الصحيحة*، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٦٥- *سنن الترمذي*، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

٦٦- *سنن الدارمي*، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت ٢٥٥ هـ، طبعة ١٤٠٤ هـ، تحقيق عبد الله بن هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٦٧- *سنن أبي داود*، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٦٨- *سنن ابن ماجه*، لمحمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

٦٩- *السنن الكبرى*، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت٤٥٨هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

٧٠- *سنن النسائي*، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣ هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١ هـ، وحاشية السندي، ت ١١٣٨ هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان .

٧١- *سير أعلام النبلاء*، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٧٢- *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، للإمام أبي القاسم هبة الله بن حسن الطبري اللالكائي، ت ٤١٨ هـ، تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٧٣- *شرح الزرقاني على الموطأ*، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، الزرقاني، ت ١١٢٢هـ، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤- *شرح السنة*، للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت ٥١٩هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٧٥- *شرح السيوطي على سنن النسائي*، للعلامة عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد بن سابق الدين، ت ٩١١ هـ، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان .

٧٦- *شرح صحيح مسلم للنووي*، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، دار القلم، بيروت، لبنان .

٧٧- *شرح الطيبي على مشكاة المصابيح*، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، ت٧٤٣ هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز ،الرياض، المملكة العربية السعودية .

٧٨- *شرح العقيدة الطحاوية*، للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ت٧٩٢ هـ ،تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، ١٣٩٠ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٧٩- *شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية*، ت٧٢٨هـ، بقلم العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ، طبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٨٠- *شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية*، تأليف العلامة محمد خليل هراس، تخريج علوي السقاف، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، دار الهجرة، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٨١- *شرح العقيدة الوسطية لابن تيمية*، ت ٧٢٨، شرح محمد بن صالح العثيمين، جمع سعد فواز الجميل، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٨٢- *شرح لمعة الاعتقاد*، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت٦٢٠هـ بقلم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار إبن القيم.

٨٣- *شرح مشكل الآثار*، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت ٣٢١ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٨٤- *شروط الدعاء وموانع الإجابة*، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٥- *شعب الإيمان*، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨ هـ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٨٦- *صحيح البخاري*، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، طبعة ١٤١٤ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان. وطبعة ١٣١٥هـ، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، والنسخة المطبوعة مع فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، بدون تاريخ، مكتبة الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٧- *صحيح الترغيب والترهيب*، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٨٨- *صحيح الجامع الصغير*، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٨٩- *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، للإمام أبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي، ت ٣٥٤ هـ، رتبه الأمير علاء الدين علي بن سليمان بن بلبان الفارسي، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٩٠- *صحيح ابن خزيمة*، للإمام أبي بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري، ت٣١١ هـ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، طبعة١٣٩٠ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٩١- *صحيح سنن الترمذي باختصار السند*، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٩٢- *صحيح سنن أبي داود باختصار السند*، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٩٣- *صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند*، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٩٤- *صحيح سنن النسائي باختصار السند*، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٩٥- *صحيح مسلم*، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

٩٦- *صفات المنافقين*، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ.

٩٧- *صفة النفاق*، للإمام جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، ٣٠١هـ، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

٩٨- *الضوء المنير على التفسير*، جمع علي الحمد المحمد الصالحي من كتب ابن قيم الجوزية، بدون تاريخ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، عنيزة، مكتبة دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٩٩- *الطبقات الكبرى*، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، ت ٢٣٠ هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

١٠٠- *ظلال الجنة في تخريج السنة*، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

١٠١- *عقيدة السلف وأصحاب الحديث*، الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، ت٤٤٩هـ، تحقيق ناص بن عبد الرحمن الجديع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار العاصمة الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٢- *علم أصول البدع*، علي بن حسن بن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٣- *غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام*، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

١٠٤- *غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب*، للشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، ت ١١٨٨ هـ، طبعة ١٣٩٣ هـ، مؤسسة قرطبة، المملكة العربية السعودية.

١٠٥- *الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة*، الدكتور عبد الرحمن معلا اللويحق، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٠٦- *فتاوى إسلامية*، جمع وترتيب، محمد بن عبد العزيز المسند، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٧- *فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية*، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، نشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٨- *فتاوى محمد بن صالح العثيمين*، جمع فهد بن ناصر السليمان، الطبعة الأولى، دار الوطن، المملكة العربية السعودية.

١٠٩- *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف محب الدين الخطيب، بدون تاريخ، مكتبة الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١٠- *فتح رب البرية بتلخيص الحموية*، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت٧٢٨هـ، بقلم العلامة محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

١١١- *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، للإمام محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

١١٢- *فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد*، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ت١٢٨٥ هـ، تحقيق د.الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، وطبعة دار المنار، بعناية صادق ابن سليم بن صادق، الرياض، المملكة العربية السعودية .

١١٣- *فضل الصلاة على النبي* ﷺ، إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي، ت ٢٨٢هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ المكتب الإسلامي.

١١٤- *الفوائد*، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية.

١١٥- *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، للعلامة عبد الرؤوف المناوي، ت ١٠٣١ هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

١١٦- *القاموس المحيط*، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت ٨١٧ هـ الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

١١٧- *قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال*، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١٨- *القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها*، للعلامة عبد العزيز بن عبدالله ابن باز، اعتنى به، خالد بن عبد الرحمن الشايع، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار بلنسية.

١١٩- *القول السديد في مقاصد التوحيد*، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هـ، بعناية وتخريج د. المرتضي الزين أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، مجموعة التحف النفائس الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية .

١٢٠- *كتاب الإخلاص*، حسين العوايشة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.

١٢١- *كتاب الإيمان*، للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحق بن يحيى بن منده، ت ٣٩٥هـ، تحقيق د. علي بن محمد فقيهي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٢٢- *كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث*، للإمام، شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن ابن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، ت ٦٦٥هـ، تحقيق مشهور بن حسن بن سلمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢٣- *كتاب التوحيد* للدكتور صالح بن فوزان الفوزان، طبعة خيرية بدون تاريخ.

١٢٤- *كتاب الحوادث والبدع*، للعلامة إبراهيم بن أحمد الطرطوشي، ت ٥٧٩هـ، تحقيق عبد المجيد تركي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٢٥- *كتاب الزهد*، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق محمد السعيد بسيوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، الرملة، بيروت، لبنان.

١٢٦- *كتاب السنة*، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ت٢٨٧ هـ، ومعه *ظلال الجنة في تخريج السنة* لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

١٢٧- *كتاب فيه ما جاء في البدع*، للإمام محمد بن وضاح القرطبي، ت ٢٨٧هـ، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢٨- *الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة*، للشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، المطبوع ضمن الجامع الفريد، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العالمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢٩- *لسان العرب*، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن علي بن منظور، ت ٧١١ هـ، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، دار صادر، بيروت، لبنان .

١٣٠- *لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف*، للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت٧٩٥هـ، تحقيق ياسين بن محمد السواس، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ، دار ابن كثير، بيروت.

١٣١- *مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة*، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٣٢- *مجلة البحوث الإسلامية*، العدد ١٢، نشرة إدارة البحوث العلمية للإفتاء، المملكة العربية السعودية.

١٣٣- *مجمع البحرين في زوائد المعجمين*، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية .

١٣٤- *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت٨٠٧هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٣٥- *مجموع فتاوى ابن تيمية*، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

١٣٦- *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة*، للعلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والعلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية .

١٣٧- *مجموعة التوحيد*، لشيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، بدون تاريخ، المكتبة السلفية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

١٣٨- *مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب*، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣٩- *مختار الصحاح*، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة ١٩٨٥م، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان .

١٤٠- *مختصر الشمائل المحمدية*، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، ت ٢٧٩ هـ، اختصره محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن .

١٤١- *مختصر منهاج القاصدين*، للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، ت٦٨٩هـ، تعليق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة ١٣٩٨ هـ، مكتبة دار البيان، دمشق .

١٤٢- *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة بدون تاريخ، مكتبة السنة المحمدية، ومكتبة ابن تيمية، القاهرة .

١٤٣- *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، للملا علي القاري، ت ١٠١٤ هـ، طبعة ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان .

١٤٤- *المستدرك على الصحيحين*، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥ هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

١٤٥- *مسند الإمام أحمد بشرح أحمد شاكر*، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ، شرحه وضع فهارسه أحمد محمد شاكر، بدون تاريخ، دار المعارف، مصر .

١٤٦- *مسند الإمام أحمد*، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، لبنان .

١٤٧- *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*، للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت ٥٤٤ هـ، بدون تاريخ، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة .

١٤٨- *مشكاة المصابيح*، لمحمد عبد الله الخطيب التبريزي، ت ٧٣٧ هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

١٤٩- *المصنف*، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت ٢١١ هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٥٠- *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد*، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت ٣٧٧ هـ، تخريج عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية .

١٥١- *المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع*، لحامد المصلح، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، مكتبة الضياء، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٥٢- *معجم الطبراني الكبير*، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠ هـ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية .

١٥٣- *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار الدعوة، إستانبول .

١٥٤- *معجم المقاييس في اللغة*، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥ هـ، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان .

١٥٥- *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا .

١٥٦- *مفردات ألفاظ القرآن*، العلامة الراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢ هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت .

١٥٧- *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ت ٦٥٦ هـ، تحقيق محيي الدين مستو وجماعة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت .

١٥٨- *مقامع الشيطان*، لسليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، المملكة العربية السعودية.

١٥٩- *المنافقون في القرآن الكريم*، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٦٠- *مناهج الجدل في القرآن الكريم*، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، مطابع الفرزدق، الرياض .

١٦١- *موطأ الإمام مالك*، للإمام مالك بن أنس، ت ١٧٩ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده.

١٦٢- *النفاق آثاره ومفاهيمه*، للشيخ عبد الرحمن الدوسري، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، دار الأرقم، الكويت.

١٦٣- *النهاية في غريب الحديث*، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، الجزري، ت ٦٠٦ هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان .

١٦٤- *النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد*، للدوسري.

١٦٥- *نواقض الإيمان الاعتقادية وضابط التكفير عند السلف*، للدكتور محمد بن عبدالله الوهيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار المسلم، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٦- *نواقض الإيمان القولية والعملية*، للدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٧- *نونية القحطاني*، عبد الله بن محمد الأندلسي، ت ٣٨٧هـ، تصحيح وتعليق محمد ابن أحمد سيد أحمد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٦٨- *النية وأثرها في الأحكام الشرعية*، الدكتور صالح بن غانم السدلان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٩- *وجوب التعاون بين المسلمين*، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة ١٢٠٤هـ، مكتبة المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية.

٦- فهرس الموضوعات

ثانياً: الخلفاء الراشدون ومن معهم من أصحاب النبي ﷺ لم يحتفلوا بالمولد ٢٥٧

كتب للمؤلف

١ – الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة ١-٤	٣١- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة
٢ – الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة	٣٢- نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة
٣ – آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة	٣٣- منزلة الصلاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٤ – الدعاء من الكتاب والسنة	٣٤- الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنة
٥ – حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة	٣٥- شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٦ – شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة	٣٦- قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين في ضوء الكتاب والسنة
٧ – قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال	٣٧- أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة
٨ – شرح العقيدة الواسطية	٣٨- سجود السهو.. مشروعيته ومواضعه وأسبابه في ضوء الكتاب والسنة
٩ – من أحكام سورة المائدة	٣٩- صلاة التطوع.. مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع في ضوء الكتاب والسنة
١٠- الجهاد في سبيل الله.. فضله، وأسباب النصر على الأعداء	٤٠- قيام الليل.. فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنة
١١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى	٤١- صلاة الجماعة.. مفهوم، وفضائل، وأحكام، وفوائد، وآداب
١٢- العلاج بالرقى من الكتاب والسنة	٤٢- المساجد.. مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب
١٣- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة	٤٣- الإمامة في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
١٤- العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة	٤٤- صلاة المريض في ضوء الكتاب والسنة
١٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر	٤٥- صلاة المسافر في ضوء الكتاب والسنة
١٦- ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة	٤٦- صلاة الخوف في ضوء الكتاب والسنة
١٧- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة	٤٧- صلاة المؤمن.. مفهوم، وفضائل، وآداب، وأنواع، وأحكام، وكيفية (١-٣)
١٨- طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة	٤٨- صلاة الجمعة في ضوء الكتاب والسنة
١٩- وداع الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته	٤٩- صلاة العيد في ضوء الكتاب والسنة
٢٠- شروط الدعاء وموانع الإجابة	٥٠- الاعتصام بالكتاب والسنة
٢١- الفوز العظيم والخسران المبين	٥١- تبريد حرارة المصيبة في ضوء الكتاب والسنة
٢٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها	٥٢- أنواع الصبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنة
٢٣- نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة	٥٣- الجنة والنار، تحقيق، تأليف عبدالرحمن بن سعيد بن علي، رحمه الله
٢٤- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري – رحمه الله – (١، ٢)	٥٤- صلاة الكسوف في ضوء الكتاب والسنة
٢٥- النور والظلمات في الكتاب والسنة	٥٥- صلاة الاستسقاء في ضوء الكتاب والسنة
٢٦- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة	٥٦- المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة (مخطوط)
٢٧- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة	٥٧- غزوة فتح مكة، تحقيق، تأليف عبدالرحمن بن سعيد بن علي، رحمه الله
٢٨- نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة	٥٨- أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنة (القسم الأول والقسم الثاني)
٢٩- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة	٥٩- سيرة الشاب الصالح (عبدالرحمن بن سعيد بن علي بن وهف رحمه الله)
٣٠- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة	٦٠- أبراج الزجاج في سيرة الحجاج، تحقيق، تأليف عبدالرحمن بن سعيد رحمه الله

♦ جميع الإصدارات توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع

الكتب المترجمة للمؤلف

١-	حصن المسلم باللغة الإنجليزية
٢-	حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣-	حصن المسلم باللغة الأوردية
٤-	حصن المسلم باللغة الأندونيسية
٥-	حصن المسلم باللغة البنغالية
٦-	حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧-	حصن المسلم باللغة السواحلية
٨-	حصن المسلم باللغة التركية
٩-	حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠-	حصن المسلم باللغة الفارسية
١١-	حصن المسلم باللغة المالبارية
١٢-	حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣-	حصن المسلم باللغة اليوربا
١٤-	حصن المسلم باللغة البشتو
١٥-	حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦-	حصن المسلم باللغة الهندية
١٧-	حصن المسلم باللغة الماليزية
١٨-	حصن المسلم باللغة الصينية
١٩-	مرشد الحاج والمعتمر باللغة المالبارية
٢٠-	نور السنة وظلمات البدعة باللغة الأردية
٢١-	شروط الدعاء وموانع الإجابة باللغة الأردية
٢٢-	نور التوحيد وظلمات الشرك باللغة الأردية
٢٣-	الدعاء من الكتاب والسنة باللغة الفارسية
٢٤-	بيان عقيدة أهل السنة والجماعة باللغة الأندونيسية

❖ جميع الإصدارات توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع